

الْحَصْوَلُ الْمُنْيَعَةُ

فِي

بِرَاءَةِ عَائِشَةِ الصَّدِيقَةِ
بِالْتَّفَاقِ أَهْلَ الْمُسْتَبَّةِ وَالشَّيْعَةِ

تألِيفُ

الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَارِفِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ سَعِيدِ
الْمُنْيَرِ الْمُسْعِيْنِيِّ الْمِسْقِيِّ

الموافق ١٣٤٦ هـ

تَعْمِلُهُ

السَّيِّدُ يُوسُفُ أَحْمَدُ

الْحَصْوَلُ الْمُنْيَعَةُ
فِي
بَرَادَةِ عَارِشَةِ الصَّدِيقَةِ
بَا تَفَاقِ أَهْلِ الْكُوَّةِ وَالشَّيْعَةِ

تألِيفُ
الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَارِفِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ عَيْدِ
الْمُنَيْرِ الْمُحَسِّنِيِّ الدِّمِشْقِيِّ
الموافق ١٣٤٥هـ

تَحْقِيقُهُ
السَّيِّدُ يُوسُفُ أَحْمَدُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاحد في سبيل الله حتى أتاه اليقين.

وقد جعل الله أمته خير أمة أخرجت للناس، وذلك في قوله تعالى: **﴿كُتُّمْ خَيْرٌ أُمَّةٌ أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ﴾**؛ ولذا وجب عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلك من سماتها في قوله تعالى: **﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**، وقد حمل الصحابة الكرام أمانة التبليغ بعد النبي ﷺ؛ فنشروا دين الله في مشارق الأرض ومغاربها، ووضعوا قواعد الإسلام، واعتمدوا في ذلك على كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ.

وكان لآل بيت النبوة الدور المهم في إرساء دعائم الإسلام، وخاصة قواعد الفقه وأصول الدين، لما اعتمد عليهم في بيان أحكام كثيرة قد لا تكون ظاهرةً للعيان؛ فكان الاعتماد على آل البيت في ذلك مثل: أحكام الطهارة والاغتسال وغير ذلك.

وكان لأزواج الطاهرات الركن المهم في بيان هذه الأحكام، وعلى رأس أزواجها أم المؤمنين الصديقة الطاهرة بنت الصديق "عائشة بنت أبي بكر الصديق"؛ لمكانتها من رسول الله ﷺ وفقيها وعلمها، وذلك لتزوجها من رسول الله ﷺ وهي جارية صغيرة، وذلك فيما رواه البخاري: "تزوج النبي ﷺ عائشة، وهي ابنة ست، وبني بها وهي ابنة تسع، ومكثت عنده تسعًا". (انظر: البخاري (٥١٥٨) في النكاح).

وقال المزري في تهذيب الكمال (٣٥/٢٢٧): "تزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بستين في قول أبي عبيدة، وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بسنة ونصف، أو نحو ذلك، وهي بنت ست سنين، وبني بها بالمدينة بعد منصرته من وقعة بدر في شوال سنة اثنتين من الهجرة وهي بنت تسع سنين، وقيل: بني بها في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره إلى المدينة، ومناقبها وفضائلها كثيرة جداً (٢٠٠٠)".

وتوفيت في شوال سنة (٥٨) وصلى عليها أبو هريرة، وقيل: توفيت ليلة الثلاثاء لسبعين عشرة حللت من رمضان سنة (٥٨)، وأمرت أن تدفن ليلاً، فدفنت بعد الورق بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة.

وقال الذهبي في سير الأعلام (١٣٥/٢): "بنت الصديق الأكبر خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية التيمية المكية النبوية، أم المؤمنين زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفقه نساء الأمة على الإطلاق".

هاجر بها أبوها، وتزوجها النبي قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خليفة بنت خوبيلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، وقيل: بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنين من صرفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة بدر وهي ابنة تسع، فما تزوج بكرأ سواها، وأحبها حباً شديداً كان يظاهر به. وقد حاولت بعض طوائف من الشيعة سحب هذه الفضائل من أم المؤمنين، وذلك لما كان من موقفها في: وقعة الجمل ضد أمير المؤمنين علي بن طالب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتي ندمت عليها عائشة (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأما ما كان من الحروب في ذلك الوقت فقال النووي: "كانت لكل طائفة شهية اعتقدت تصويب نفسها بسبها وكلهم عدول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومتاؤلون في حروفهم، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة، لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتہاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم، وأعلم أن سب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهه؛ فلشدة اشتباهاها اختلف اجتہادهم، ولم يقتعن بعض طوائف الشيعة بهذا التحقيق والتفسير من الأئمة الكبار العلماء، وحركتهم مشاعر العداوة لأم المؤمنين (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)".

واعتمدوا على بعض الأقوال الواهية، والتفاصيل الضعيفة في اتهام أم المؤمنين في حادث الإفك، وبأنها هي التي أفككت على السيدة مارية القبطية، واتهمتها في خادم لها كما هو موضح في سياق الكتاب وهذا من اختلاط الأمور عندهم بدعم من مشاعر البغض والعداء للصديقة بنت الصديق (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ولم يقف الأمر عند اتهام أم المؤمنين عائشة، بل تعدى ذلك إلى كبار الصحابة وتكفيرهم، وقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سب الصحابة فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه".

وفي ذلك يقول النووي: "اعلم أن سب الصحابة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرام من فواحش المحرمات سواء من لبس الفتنة منهم وغيره، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متاؤلون كما أوضحتنا، قال القاضي: "وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يُقتل... انتهى".

تعريف الشيعة:

هم الذين شارعوا علياً عليه السلام وقاموا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو تبقيه من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين الذي لا يجوز للرسل (عليهم السلام) إغفاله وإهماله ولا تقويضه إلى العامة.

ظهور التشيع:

يبدوا أن التشيع ظهر في حياة النبي صلوات الله عليه وسلم، وكتيبة لأحاديث منسوبة إليه صلوات الله عليه وسلم منها: "من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاده وانصر من نصره، واحذر من خذله، وأدر الحق معه كيما دار"، قوله: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي"، وغيرها من الأحاديث، وكانت لعلي جماعته هي أول فرقة من الشيعة منهم: المقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر.

ويفرق المؤرخون بين هذا التشيع الذي ظهر مبكراً، واشتد أثناء فتنة عثمان، وخروج عليّ بعد ذلك لقتال طلحة والزبير وعائشة، وبعد مقتل عليّ، واستفحلاً بعد مقتل الحسين، وبين التشيع الاصطلاحي الذي تطور، وصار مذهباً له أصوله وقواعد؛ كالقول بوجوب الإمامة وعصمة الإمام والتفقة.

والنظريات في أصول التشيع كثيرة، ومعظمها وضعها المستشرقون، وقد ردوا في قول إلى الروح الفارسية الآرية وقالوا: إن الشيعة فرقة فارسية، وجعلوا التشيع على أصول من عقائدهم في ملوكهم،... الخ.

ومن النظريات في التشيع أنه من تأثير اليهودية، وكما قيل: الشيعة يهود المسلمين، وقالوا مقالة اليهود فلا ملك إلا في آل البيت، كما قالت اليهود: لا ملك إلا في آل داود، ولا جهاد إلا بعد بحث المهدى، كما قالت اليهود: لا جهاد حتى يجيء المسيح المنتظر^(١).

مصادر التشريع الإسلامي:

وبعد؛ فإن الإسلام قام على دعائم أساسية وهي: التمسك بالكتاب والعمل بالسنة النبوية، وهو ركنا الدين، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة الذين تسکعوا بعروة الإسلام، ويتبعون السلف من الصحابة والتابعين، وعلى رأسهم الأئمة الأربع ولا خلاف بين هؤلاء الأئمة في الاعتقادات، وكلهم متفقون إلا ما كان من اختلاف في الأحكام العملية الفقهية التي

(١) انظر موسوعة الفرق والجماعات الإسلامية (ص ٢٦٥-٢٦٧).

ليس عليها دليل قاطع من نص أو إجماع واحتلafهم لا يوجب التكfir وأهل السنة والجماعة هم الفرقة السالفة الذين عناهم الرسول ﷺ لما سُئل عنهم فقال: "الجماعة"، وقال: "ما أنا عليه وأصحابي" .

فنسأله أن يجعلنا من يتمسك بالكتاب والسنّة والمتبعين للجماعة آمين
التعريف بالمصنف:

قال في معجم المؤلفين (١٠٤/١٠٤): محمد عارف بن أحمد بن سعيد الدمشقي الشافعى الشهير بالمنير، فقيه مشارك في بعض العلوم، ولد وتوفي بدمشق (١٢٦٤-١٣٤٢). ومن مؤلفاته: "أسمى المراتب في العقل والعلم والأدب"، "حسن الاتهاب بالإسراء والمعراج"، "الخصوص المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة"، "الامتنان بتکذیب المفتری على القرآن"، "مرشد الطالب إلى أركان الإعراب".

وقال في الأعلام للزرکلی (٦/١٨٠): محمد عارف بن أحمد بن سعيد المنير الحسيني الدمشقي، فاضل من فقهاء الشافعية، مولده ووفاته في دمشق، له رسائل منها: "أسمى المراتب في العقل والعلم والأدب"، "حسن الاتهاب بالإسراء والمعراج"، "الاعتماد في الجهاد"، "أقرب القرب في تفريح الكرب"، "الامتنان بتکذیب المفتری على القرآن"، "الخصوص المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة"، "هدي أهل الإيمان"، "رفع الإعراب عن كنية الإعراب"، وهو أخو محمد صالح، كانا توأمين وعاشا على غير وفاق^(١).

وقد قام (رحمه الله) بعرض حادث الإلفك مع تفنيد آراء الشيعة، وبيان خطأ ما وقعوا فيه من إلصاق تهمة الإلفك إلى أم المؤمنين عائشة، وأنها أنکت على السيدة مارية القبطية، واتهمتها في خادمها، وذلك في ولد النبي ﷺ إبراهيم رض، وكما جاء في سياق الكتاب.

المخطوط:

في دار الكتب المصرية تحت رمز أدب (٤٠٤) في (١٣٩) ورقة، وبخط واضح قام فيه المصنف بتقسيمه إلى: مقدمة واثنين وعشرين باباً وخاتمة.
خطة العمل بالكتاب:

١- تفسير آيات القرآن من مصادر أهل السنة وخاصة تفسير ابن كثير.

(١) انظر ترجمته: "إيضاح المكتون" للبغدادي (١/٨١)، "الأعلام" للزرکلی (٦/١٨٠)، "الأعلام الشرقية" (٢/١١٧)، "ترجم أعيان دمشق" (٨)، "معجم المطبوعات" (٢٥٩-١٢٥٨)، "منتجات التواريخ لدمشق" (٢/٧٥٦-٧٥٩)، "معجم المؤلفين" (١٠٤/١٠).

- ٢- تحرير الأحاديث من كتب الصحاح والسنن.
- ٣- ترجمة للرجال الواردة.
- ٤- الاستعانة بآراء فقهاء الإسلام، والعلماء الكبار منهم: الإمام النووي، وغيره.
- ٥- التحقيق من بعض الكتب الموضحة لفرق والجماعات الإسلامية.

خاتمة المقدمة:

وبعد؛ فإنني أقدم هذا الكتاب راجياً من الأخوة القراء التوجيه والإرشاد مما كان منا من التقصير، فالكمال لله وحده، فالرجاء تقديم النصح لنا بما زلتنا نتعلم منكم، ولابد أن يستمر المسلم في التعليم إلى أن يلقى الله تعالى، سائلاً المولى جل وعلاً أن يغفر لنا ذنبنا وإسرافنا في أمرنا إنه نعم المولى ونعم المصير، وأهدي هذا العمل إلى روح والدي - رحمهما الله - مردداً قوله تعالى: **«رَبَّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا»**، وإلى شريكة الحياة - أم أولادي - بارك الله فيها ونفعنا وإياها بما علمنا، ولفلذات الأكباد ابنتنا "رنا" وأنحويها "أحمد" و"محمد" داعياً المولى أن يكونوا بكتابه متمسكون، ولسنة نبيه ﷺ متبعين.

«رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»

المحق

السيد يوسف أحمد

في يوم الخميس الموافق ٢٩ من صفر سنة ١٤٢٤ هـ -

الموافق الأول من مايو سنة ٢٠٠٣ م

الصورة المنشورة

في تاريخ عادل الصدر

تأليف محمد عارف عواد

الكتاب أقدم المطر المحسني

المسنوي

سازع
د. ع.



احر رساله اخرى بعد ان تم اكتافى التدقيق
في الرد على التحقيق في مسألة الرقيق الذى لم
يتم بعد ابين ففيها رأي الصدوق الاكبر رضي الله
تعالى عنده مماثبته اليه اعداؤه الشيعة كونه
اعتقد بالنبي صلوات الله تعالى عليه والله وعلم
انه ساحر في تفسير قوله تعالى ثاني اثنين
اذها في الغار) تم الكتاب بعون الملك



الْحَصُولُ فِي الْمُنْيَةِ

فِي

بِرَاءَةُ عَارِشَةِ الصَّدِيقَةِ
بِالْتَّفَاقِ أَهْلَكُتَّةِ وَشِيعَةِ

تَأْلِفُ

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَارِفُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ عَيْدَ
الْمُنْيَرِ الْمُسَيْنِيِّ الدِّمْشِقِيِّ

الْمُتَوَفِّ فِي ١٣٤٢ هـ

تَحْقِيقُهُ

السَّيِّدُ يُوسُفُ أَحْمَدُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل الحق سراجاً منيراً، يستضيء به من وبه الله قلباً بصيراً، القائل في القرآن الجيد، لمن ألقى السمع وهو شهيد: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**^(١)، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، المبرأ من وصمة العيب في عالم الشهود والغيب، كما جاء ذلك في الكتاب مسطوراً، المنزل على قلبه الكريم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْفَكِ عَصَبَةً مَنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبُ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّ كِبْرَةً مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**^(٢).

وكان أمر الله قدرًا مقدوراً، وعلى آل الطاهرين وصحابته وأزواجه وذرياته وقرباته، سيم السيدة عائشة الصديقة^(٣) التي لم يكن لها غير الله نصيراً.

ما تعاقب الملوان وأشرق اليران، وزدنا اللهم بالصلوة عليه أجوراً، واجعل ذنبنا بها مغفوراً، وعيينا مستوراً، وسعينا مشكوراً. أمين يارب العالمين.

أما بعد: فيقول العبد الواله في حب النبي ﷺ محمد عارف ابن المرحوم الشيخ أحمد المنير الحسيني الدمشقي^(٤).

(١) سورة الأحزاب (٣٣). قال ابن كثير في تفسيره (٤٩٩/٣): نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة، وهكذا روى أبو حاتم قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين بن واقد عن يزيد التحوي عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾** قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

(٢) سورة التور (١١). هذه العشر آيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) حين رماها أهل الإلفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحث والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه؛ فأنزل الله تعالى براعتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ فقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْفَكِ عَصَبَةً مَنْكُمْ﴾**.

تفسير ابن كثير (٣٠/٣).

(٣) عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق التيمية، أم عبد الله، فقيهة نساء الأمة، دخل بها النبي ﷺ في شوال بعد بدر، وطأ من العمر سبع سنين، وروى عنها جماعة من الصحابة، والأسود ومسروق وابن المسيب وعروة وقاسم والشعبي ومجاحد وعكرمة وعطاء بن أبي رياح وابن أبي مليكة ومعاذة العدوية وعمرة الأنصارية ونافع مولى ابن عمر، وخلق كثير.

قال رسول الله ﷺ: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". تاريخ الإسلام / وفيات سنة (٦٥١-٦٥٠).

(٤) محمد عارف بن أحمد بن سعيد، المنير الدمشقي. ترجمته: انظر الأعلام للزركلي (٦/١٨٠). معجم المؤلفين (١٠/١١٤).

الذى أسبغ الله تعالى عليه من فضله الوارف أحسن الله لهما، ورضي الله بكرمه عنهم، وأسكنهما جنته، ورزقهما بجاه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم). شفاعته وحماهما مما يشينهما يوم الحساب؛ فإنه عز شأنه إليه المرجع والمأب. إنني منذ ميزت بين المعرفة والجهالة، وفرقت المدى عن الضلال، وترسقت في سلك الحفاظ، وصرت أفهم معانى الألفاظ، وقرأت آية الإفك مع الفهم، وسألت عنها أولى العلم، وأعتقد كما يعتقدون أن الشيعة^(١) به يقولون، مصرین إلى الآن، وإن خالفت صريح القرآن، ثم اجتمعت في ربيع الثاني من هذه السنة سنة تسع وثلاث مائة وألف بأحد الشيعة وقد كان يظهر التبرؤ منهم، والتذهب بمذهب أهل السنة^(٢)؛ فسألته عن اعتقادهم بالإفك، وعما يقولون بما جاءنا فيه في كريم القرآن. فقال: لا تصدق، إنهم يعتقدون الإفك في عائشة (رضي الله عنها) في زمان من الأزمان كما هو الشائع عنهم؛ فلم أصدقه ظنًا مني أن ذلك الإنكار جهلاً منه أو تقية منهم، ثم في متصرف جمادى الأول من هذه السنة أيضاً وقعت على تفسير المسمى "الصافى"^(٣) في تفاسير الشيعة المطبوع عند بعض أصحابي، ففتحته، فوجدت مسألة الإفك كما قال ذلك المسئول، لا يعتقدون صحتها لا كما هو عنهم مشهور ومنقول؛ فطلبت إعادة ذلك التفسير المذكور لأحرر رسالةً بين أن براءة السيدة عائشة الصديقة^(٤) مقررة باتفاقهم أيضاً كما في الكتاب مسطور، لكن بعضهم فيه مخالف لبعض؛ ففرقت ووافقت أهل السنة في أن قصة الإفك وقعت على السيدة عائشة البريئة، وأخرى خالفتها وقالت: إنما وقعت على السيدة

(١) الشيعة هم الذين شایعوا علیاً (عليه السلام) وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلیاً وإما خفیاً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت بفظلم يكون من غيره، أو تقية من عنده وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين الذي لا يجوز للرسل (عليهم السلام) إغفاله وإهماله، ولا تفوبيه إلى العامة.

(٢) قسم الشهيرستاني الشيعة إلى خمس فرق هي: الكيسانية والزيدية والإمامية والغلاة والإسماعيلية، وهم عند الأشعري: الشيعة الغالية، وهم خمس عشرة فرقة، والشيعة الإمامية وهم الرافضة، وهم أربع وعشرون فرقة، والشيعة الزيدية وهم ست فرق، ويجتمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص على الإمام، وثبتت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبار والصغار.

(٣) الصافى في تفسير القرآن، تأليف: محسن بن مرتضى بن محمود الكاشى الملقب بفاضى، والمتوفى سنة (١٠٩١).

(٤) من فضائل عائشة روى البخاري في صحيحه (٣٧٧٠)، كتاب فضائل أصحاب النبي (صلوات الله عليه عليه السلام) باب فضل عائشة (رضي الله عنها) عن أنس (رضي الله عنه)، قال: سمعت رسول الله (صلوات الله عليه عليه السلام) يقول: "فضل عائشة على النساء كفضل الشريد على الطعام". ورواه مسلم في صحيحه (٢٤٤٦-٨٩) [كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عائشة (رضي الله تعالى عنها)].

مارية القبطية^(١)؛ فأبى أن يعيّرني إياه إلا بإذن صاحبه^(٢)؛ فذهبت مواراً إلى صاحبه ورجوت إعارةه من جانبه فلم يقبل، وهو عنه في غيبة وعدم حاجة، ثم توافقنا معه أن أنقل منه ما أحتاج إليه عنده بعد كثرة اللجاجة؛ فذهبت لذلك مرات، ونقلت منه بعض ورقات، ثم لما رأى أن في ذلك تعباً شديداً سمح لي باستعارته أربع ليالٍ تحديداً، فشكرت يده على هذه العمة بعد تحميل تلك الرحمة، وتركت ما كنت مشتغلة^{بإتسام} تأليفه من كتابي الذي سميته "التدقيق في الرد على التحقيق"^(٣)، وشرعت بتأليف هذا الكتاب مستمدًا من فيوضات روحانية رفيع الجنان أمطر اللهم عليه سحائب شرائف صلواتك، وعلى آله الكرام مع مزن لطائف تسليماتك وذلك في ليلة الجمعة الحادى والعشرين من ذي الحجة الحرام، ختام ذلك العام سميته: "المحضون المنيعة في براءة عائشة الصديقة، باتفاق أهل السنة والشيعة"^(٤)، وأرجو منه تعالى أن يجعله لي ذخراً يوم الدين، وفخرًا يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم جعلته هدية إلى (سده) ^(٥) مليك أهل السنة والجماعة، ومن يجب له على كل المسلمين الخضوع والطاعة.

المحامي عن شريعة سيد العالمين، والذاب عن حمى آله الطاهرين خادم بيت الله الحرام،

(١) مارية أم إبراهيم القبطية، وكان المقوقس صاحب الإسكندرية قد أهداها إلى النبي ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ قد بعث إليه الكتاب مع حاطب بن أبي بلعة، فقبل المقوقس الكتاب، وأكرم حاطبًا وأحسن نزله، وأهدى معه إلى النبي ﷺ بعلة وكسوة وجاريتين، إحداهما أم إبراهيم وهي السيدة مارية القبطية، والأخرى وهبها النبي ﷺ لجهم بن قثم العبدى، وهي رواية أخرى ثلثة جواري أهدى الثالثة لحسان بن ثابت.

الذهبي في تاريخ الإسلام الجزء الأول ذكر رسول النبي ﷺ.

(٢) النظريات في أصل التشيع كثيرة، ومعظمها وضعه المستشرقون، وقد ردوا في قول إلى الروح الفارسية الآرية، وقالوا: إن الشيعة فرقة فارسية، وجعلوا التشيع على أصول من عقائدهم في ملوكهم، فقد كانوا يقولون بأنهم ينحدرون من الآلهة، وأن النور الإلهي يتنتقل في أصلاب العائلات المصطفاة، وهناك نظريات في التشيع بأنه من تأثير اليهودية، وكما قيل الشيعة يهود المسلمين.

انظر الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية (ص-٢٦٦).

(٣) للمصنف مؤلفات أخرى منها: كتاب "مصادر الفضائل"، وكتاب "حسن الاتهاب بالإسراء والمعراج". انظر: إيضاح المكتنون للبغدادي (٤٠٧/١).

(٤) أهل السنة هم الذين عنهم الرسول ﷺ لما سئل عن الفرق الناجية فقال: "الجماعة، وقال: ما أنا عليه وأصحابي؟"؛ فكانت تسميتهم أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث.

موسوعة الفرق والجماعات (ص-٧٥).

(٥) كلمة غير واضحة بالأصل.

والمتشرف بالاتمام إلى رحاب سيد الأنام، سلطاناً الأعز الذي رفع الله تعالى به منار هذا الدين الحمدي، وأعز الحائن شفاعته، الصادق الأمين البار بحبيته عائشة أم المؤمنين كم أمرنا أن نأخذ عنها شطر الدين التي برأها الله تعالى بتصريح القرآن المبين المشمول باكسير إنطاء^(*) الصديق الأكبر⁽¹⁾، أن وفق الله تعالى بعض عباده لاستنتاج مثل هذا الكبريت الأحمر الذي فيه الأجر العظيم والنفع العزيز العميم، وسرور الموحدين، وكبح الملحدين، إن شاء الله تعالى أيام خلافته، وإشراق ضياء عداته مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان، ابن مولانا المرحوم السلطان الغازي عبد الحميد خان، فانفرد بإبداع هذا التأليف زمانه، وفاز بالحصول على مثله أو وانه نتيجة انطباع ما فطر عليه من حب الحبيب الأعظم لما قابل مرأة طالع سعده الأئم.

حفظه الله تعالى وأله الكرام في دينهم ونفسهم وسلطانهم على الدوام بحرمة سيد الأنام (عليه وعلى آله أفضـل الصـلاة وأتمـ السـلام) ثم إـنـي أـقولـ تـحدـثـاـ بـنـعـمـةـ اللهـ عـجـلـ قدـ اـتـهـىـ تـالـيـفـ (هـذـاـ الـكـتـابـ فـيـ أـقـلـ مـنـ شـاهـنـاهـ عـشـرـ يـوـمـاـ)ـ فـلـهـ مـزـيدـ الـفـضـلـ،ـ إـلـاـ أـنـيـ وـشـجـتـهـ بـعـدـ ذـلـكـ بـدـرـ (فـوـائـدـ،ـ وـمـنـطـقـتـهـ بـغـرـ زـوـائـدـ،ـ دـعـتـ الـمـنـاسـبـ إـلـيـهـ وـالـحـاجـةـ لـلـوقـوفـ عـلـيـهـ،ـ وـقـدـ رـتـبـتـهـ عـلـيـ (مـقـدـمـةـ،ـ وـاثـنـيـنـ وـعـشـرـ بـابـاـ،ـ وـخـاتـمـةـ.ـ آـمـيـنـ).

المقدمة

في بيان معنى الإفك لغة واصطلاحاً

أما لغة فقد جاء في القاموس: أفك كضرب وعلم. إفكا: بالكسر، والفتح، والتحريك، وأفوكاً: كذب^(٣). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (جاءوا بالافك). تكلموا في الكذب، وقال

(١) هو عملاق الإسلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وثاني الشئين إذ هما في الغار، روى البخاري في صحيحه (٣٦٥٦) كتاب فضائل أصحاب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه -باب قول النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: "لو كنت متخدنا حليلًا" ، عن ابن عباس، عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: "لو كنت متخدنا من أمتي حليلًا لاتخذلت أبا بكر، ولكن أخني وصاحبى" .

(*) كذلك بالأصل.

(٢) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "لقد تحدث بأمرِي في الإفك واستفاض فيه، وما أشعر، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أناس من أصحابه، فسألوا جاريةً لِي سوداء كانت تخدمني فقالوا: أخبرينا ما علمك بعائشة؟ قالت: والله ما أعلم منها شيئاً أعيب من أنها ترقد ضحي حتى إن الداجن يدجن أهل البيت تأكل خميرها، فأدarrowها وسألواها حتى فطنت، قالت: سبحان الله، والذي نفسي بيده ما أعلم على عائشة إلا ما يعلم الصانع على تبر الذهب الأحمر، قالت: فكان هذا وما شعرت.

تاریخ الإسلام للذهبی. حدیث الإفك سنۃ (٥٥ھـ).

(٣) أفك (فلانا) أفكًا، وأفكًا: كذب عليه وخدعه، والأمر على وجهه: كذب، فهو أفك، وأفريك، وأفليك،

الإمام الرازي: والإلفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل: هو البهتان^(١)، وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله الألفك، وهو القلب؛ لأنَّه قول مأفوَك عن وجهه، وقال الحلال الحلى: الإلفك أسوأ الكذب، وعبارة الزمخنثري^(٢) كالرازي، وكذا البيضاوي.

وقال السيد صديق بن حسين في تفسيره الذي سماه "فتح البيان في مقاضي القرآن": الإلفك: أسوأ الكذب، وأفحشه وأقبحه، وهو مأحوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه؛ فالإلفك وهو الحديث المقلوب لكونه مصروفاً عن الحق، وقيل البهتان.

وقال الصافي - وهو التفسير المذكور - وإسناد القول إليه هنا، وفيما سيأتي مجاز: بالإلفك بأشد ما يكون من الكذب.

وأما اصطلاحاً فهو الفريدة التي افتروها على السيدة عائشة الصديقة أم المؤمنين وحبيبتها^(٣)، وزوج حبيب رب العالمين، وابنة صاحبه في الغار الصديق الأكبر^(٤) (رضي الله تعالى عنهما) مع سيدنا صفوان بن المعطل السلمي الذكواي.

المؤنفات: الرياح تختلف مهابها: ومدائن قوم لوط التي قلبه الله على قومه.

(١) البهتان: الكذب المفترى، وفي القرآن الكريم **«سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»**.

(٢) كان الزمخنثري من المعتزلة، ويطلق عليهم العدلية لأنهم قالوا: إن الله عادل، ومنزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية، لأنَّه لو خلق الظلم لكان ظالماً، كما لو خلق العدل كان عادلاً، والله تعالى لا يفعل إلا الصالح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد.

وهم قادرون خالقون لأفعالهم خيراً وشرها، ومستحقون على ما يفعلونه ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة، وسموا هذا النمط عدلاً.

انظر: موسوعة الفرق والجماعات (ص ٢٩٢).

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤٧٥٣) كتاب تفسير القرآن، ٩ - باب **«وَلَوْلَا إِذْ سَمَعْتُمُهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»**، من حديث ابن أبي مليكة، قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثني على فضل ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: أذنوا له فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت الله قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عنك من السماء، ودخل ابن الزبير خلفه؛ فقلت: دخل ابن عباس فأنى على، وددت أني كنت نسياً منسياً.

(٤) قال في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي: سماه النبي ﷺ صديقاً، فقال: "يكون بعدي اثنا عشر خليفة: أبو بكر لا يليث إلا قليلاً، وكان علي بن أبي طالب يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء؛ الصديق، وقيل: سمي الصديق يوم أحير النبي ﷺ بالإسراء؛ فكذبته قريش وصدقه أبو بكر.

انظر: مختصر كتاب المواقف وهمائمة (ص ٢١) من تحقيقنا (طبعة دار الكتب العلمية).

قال ابن عباس (رضي الله تعالى عنهم): نزلت فيما قالوا على عائشة من الفرية، وقال الرازى: وأجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة^(١)، وقال الجلالى الملحق: أسوأ الكذب على عائشة أم المؤمنين، قذفها، وقال الزمخشري^(٢) في الكشاف: والمراد ما أفك به على عائشة - (رضي الله تعالى عنها) وكذا البيضاوى فى تفسيره: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ، وقال المفتى أبو السعود فى تفسيره: "والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين" ، المراد بما فى الآية، ما وقع من الإلحاد على عائشة أم المؤمنين.

وقال الصافى فى الجماع: وكان سبب الإلحاد أن عائشة ضاع عقدها^(٣).
ثم قال كذا رواه الزهرى^(٤) عن عائشة.

(١) نزلت آيات الإلحاد فى شأن عائشة أم المؤمنين (١٤١) حين رماها أهل الإلحاد والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحث والفرية التي غار الله لها ولبيه (صلوات الله وسلامه عليه) فأنزل الله تعالى براعتها صيانة لعرض رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فقال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ بِالْإِلْهَاتِ عَصَبَةٌ مِّنْكُمْ»** تفسير ابن كثير (٢٧٦/٣).

(٢) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الخوارزمي النحوى، كان عالمة ويرعى في الأدب وصنف التصانيف، وله كتاب الفائق في غريب الحديث، وربيع الأبرار، وأساس البلاغة، ومشتبه أسامي الرواية، وكتاب النصائح والمنهاج في الأصول، وضالة الناشد، توفي سنة (٥٣٨).

ترجمته: الأنساب (٢٩٧/٦)، نزهة الالباب (٣٩٣، ٣٩١)، المنظم (١١٢/١٠)، معجم البلدان (٣)، معجم الأدباء (١٤٧/١٩-١٢٦/١٩)، الكامل (١٥٣-١٢٦/١١)، إنباه الرواية (٢٦٥/٣)، وفيات الأعيان (١٦٨/٥)، ميزان الاعتدال (١٧٤/٧٨)، العبر (٤/٦)، الجوهر المضية (١٦١، ١٦٠/٢)، لسان الميزان (٦/٤)، والنجمون الراهنون (٥/٤).

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤١٤١) كتاب المغارى ٣٦-باب حديث الإلحاد، عن عائشة في حديث طويل وفيه: لما قضيت شائني أقبلت إلى رحلي، فلست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمسست عقدي فحبسني ابتعاره، قالت: رأيقل الرهط الذين كانوا يرحلونى؛ فاحتلما هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن، ولم يغشهن اللحم الحديث بطروله.

(٤) الزهرى: هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة أبو بكر القرشى الفقىء، الحافظ المدىي الزهرى فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه، أخرج له الستة، توفي سنة (١٢٥/١٢٤، ١٢٤، ١٢٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤٤٥/٩)، تقريب التهذيب (٢٠٧/٢)، الكاشف (٩٦/٣)، التاريخ الكبير (١)، الجرح والتعديل (٣١٨/٨)، ميزان الاعتدال (٤/٤٠)، التاريخ الصغير (١)، حلية الأولياء (٣)، تاريخ الثقات (٤١٢)، تراجم الأحبار (٤/١٣)، طبقات ابن سعد (٤/١٢٦)، سير أعلام النبلاء (٣٦٠)، معنون (٤٢٧)، معرفة الثقات (٣٤٣)، الثقات (٥/١٤٩)، الوافي بالوافي (٥/٢٤)، تاريخ أسماء الثقات (١١٩١).

الباب الأول

في سبب تسميته بالإفك^(١)

قال الرازى: وإنما وصف تعالى ذلك الكذب بكونه إفكًا، لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك، لوجوهه.

وقال في فتح البيان: وإنما وصفه الله بأنه إفك، لأن المعروف من حالها (عليها) خلاف ذلك، ونقل عن الوالحدي أنه قال: ومعنى القلب أي بناء على أنه مأخوذ من معنى القلب في هذا الحديث الذي جاء به أولئك التفر^(٢).

إن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والديانة، وعلو النسب والتسبب والعلفة، لا القذف، فإن الذين رموها بالسوء قلوا الأمر على وجهه فهو إفك قبيح، وكذب ظاهر^(٣).

وقال أبو السعود: لأنه مأفوكل عن وجهه وسته، أي مقلوب.

(١) قال البخاري: والإفك بمنزلة النجس والتجس، يقال: إفكُهم وإنكُهم، فمن قال: إنكُهم صرفهم عن الإيمان وكذبهم، كما قال: **﴿إِنْفَوْكُ عَنْهُ مِنْ أَفْلَكُ﴾** يصرف عنه من صرف.

انظر البخاري تعليقاً في ٣٦-باب حديث الإفك من ٦٤-كتاب المغازي.

(٢) كان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول - رأس المنافقين - فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين؛ فتكلموا به، وجوه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عمر عن الزهرى قال: أخبرنى سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير وعلقة بن وقار وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبراها الله تعالى.

ابن كثير في تفسيره (٣). ٢٧٦/٣).

(٣) قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: "يا معاذ المسلمين من يعذري من رجل قد بلغني أذاء في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معى؛ فقام سعد بن معاذ الأنصاري رض فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من المخرج أمرتنا ففعلنا بأمرك؛ فقام سعد بن عبادة - وهو سيد المخرج -، وكان رجلاً صالحًا ولكن احتمله الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله.... وثاروا على الحيآن الأوس والمخرج؛ فأسكنتهم رسول الله ﷺ.

انظر المرجع السابق مختصرًا (٣). ٢٧٨/٣).

وكذا قال الرمخشري والبيضاوي وغير واحد وكذا قالوا في تفسير قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْلَكٌ مُّبِينٌ﴾**^(١).

قال البيضاوي كما يقول المستيقن المطلع على الحال، وقال الصافي فيه كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

الباب الثاني

في أن الإفك وقع على السيدة عائشة البريئة **(عليها السلام)**

لم يخالف أحد من أهل الإسلام في أن الإفك وقع على السيدة عائشة الصديقة أم المؤمنين، وهذا إجماع عند أهل السنة والجماعة والمعترضة^(٢)، وسائر الفرق، والشيعة إلا فرقة شذت منهم فقالت: وقع على السيدة مارية القبطية، وسيأتي بيان ذلك، والكلام عليه إن شاء الله تعالى^(٣).

قال ابن عباس **(رضي الله عنهما)**: نزلت فيما قالوا على عائشة في الفريدة.

وقال الرازى: أجمع المسلمين على أن المراد ما أفك به على عائشة.

(١) في قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْلَكٌ مُّبِينٌ﴾** قالوا: نزلت في أبي أبوب الأنصاري وامرأته عندما قالت له امرأته: يا أبي أبوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة **(عليها السلام)**? قال: نعم وذلك الكذب أكثت فاعلة ذلك يا أم أبوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك. المرجع السابق ٢٨١/٣).

(٢) المعترضة: ويسعون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرة والعدلية، وأصول مذهبهم هي: التوحيد، والعدل، والوعيد، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المترتبين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن خالفهم في التوحيد سمه مشركاً، ومن خالفهم في الصفات سمه مشبهًا، ومن خالفهم في الوعد والوعيد سمه مرجحاً، ومن اكتملت له وتحققت فيه هذه الأصول الخمسة فهو المعترضي حقاً.

(٣) دعا رسول الله **عليها السلام** علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبيت الوحي يسألهما ويسألهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة بن زيد، فأشار على رسول الله **عليها السلام** بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم في نفسه لهم من الود؛ فقال أسامة: يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر، قالت: فدعا رسول الله **عليها السلام** ببريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يرييك من عائشة فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغضبه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تمام عن عجین أهله؛ فتأنى الداجن فتاكله فقام رسول الله **عليها السلام** من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول. تفسير ابن كثير (٢٧٧/٣).

وقال أيضاً: لا شك أن هذه الآية يعني: **«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ»**^(١) نزلت في قذف عائشة.

وقال الزمخشري^(٢): المراد ما أفلك به على عائشة.

وقال في فتح البيان: وأجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية ما وقع من الإفك على عائشة.

وقال الصافي من الشيعة في الجوامع: وكان سبب الإفك أن عائشة ضاع عقدها... الخ.

وقال القمي: روت العامة أنها نزلت في عائشة، وما رميته بها في غزوة بني المصطلق من خراعة... انتهى. وسيأتي^(٣).

فإن قلت: قال الرازى وغيره: وأجمع المسلمون على أن المراد، ما أفلك به على عائشة^(٤)، وكذا أنت قلت وهذا إجماع.

ثم قلت: إلا فرقة قالت وقع على السيدة مارية القبطية^(٥)، وهذا تناقض أقوال إنما لم يعتبر مخالفة هذه الفرقة، إما لعدم الاطلاع على قولها أو لأنها خرقت الإجماع، وخرق الإجماع لا يجوز، أو لم يعتد بقولها وشنوذها؛ لأنها خالفت العامة من الشيعة أيضاً التي عضدت

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٢٨٣/٣): هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئاً من الكلام السيء؛ فقام بذنه شيء منه، وتكلم به فلا يكتئر منه ولا يشيعه ويدعوه، فقد قال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آتَنُوا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»**، أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح **«لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا»** أي بال今生، وفي الآخرة العذاب الأليم.

(٢) الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الخوارزمي النحوي قال الذهبي عنه في سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠): قال السمعانى: برع في الأدب، وصنف التصانيف، ورد العراق وخرسان، ما دخل بلدًا إلا اجتمعوا عليه، وتلمنوا له، وكان عالمة نسابة جاور مدة حتى هبت على كلامه رياح الbadia، وقد تقدمت ترجمته بأوسع من ذلك.

(٣) قال ابن جرير في تفسيره: حدثني محمد بن عثمان الواسطي، حدثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قالت: تفاحرت عائشة وزينب (عليهما السلام) فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء، وقالت عائشة: أنا التي نزل علري في كتاب الله حين حملني صفوان بن المعطل على الراحلة؛ فقالت لها زينب: يا عائشة ما قلت حين ركتبتيها؟ قالت: قلت حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين. ابن كثير في تفسيره (٢٨٠/٣).

(٤) لما دخل ابن عباس على عائشة (عليها السلام)، وهي في سياق الموت قال لها: ابشرني فإنهك زوجة رسول الله (عليه السلام)، وكان يحبك، ولم يتزوج بكرًا غيرك، ونزلت برأتك من السماء. المرجع السابق (٢٨١/٣).

(٥) مارية القبطية تقدم الكلام عنها وقد توفيت سنة (١٦). انظر تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٦).

مذهب سائر المسلمين، وقد أشار الصافي في تفسيره المذكور إلى أن هذا القول واه جدًا. بقوله: أقول إن صح هذا الخبر... إلى آخره، وذلك ظاهر في تضعيه، وعدم اعتماده عند الشيعة^(١) أنفسهم.

الباب الثالث

في سبب وقوع الإلحاد

قال ابن عباس (ضي الله تعالى عنهم) نزلت-يعني آية الإلحاد- في عبد الله بن أبي ابن سلول^(٢) المنافق، وحسان بن ثابت الأنصاري، ومسطح بن ثابتة^(٣)- ابن حالة أبي بكر الصديق - وعبد بن عبد المطلب، وحمنة بنت جحش الأسدية- فيما قالوا على عائشة - وصفوان بن المعطل في القرية.

وأبي: بضم الهمزة، وفتح الباء الموحدة، وتشديد الياء المثناة التحتية، تصغير أب. وقال الرازى: أما سبب النزول؛ فقد روى الزهرى، عن سعيد بن المسيب^(٤) وعروة بن

(١) الشيعة طوائف كثيرة منهم من كفر الصحابة، وفي اعتقادهم بأن علي بن أبي طالب أولى بالخلافة منهم جيئاً، بل زاد بعضهم فكفر علي بن أبي طالب نفسه لعدم القيام في طلب حقه بزعمهم. وقال القاضي عياض: ولا شك في كفر من قال هذا، لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام، وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فاما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون هم مخطلون في تقديم غيره لا كفار، وبعض المعتزلة لا يقولون بالتخطئة لجواز تقديم المفضول عندهم. النووى في شرح مسلم (١٤٢/١٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) قال أبوأسامة وغيره: حدثنا عبد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر لما توفي عبد الله بن أبي، أتى ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ليكتفه فيه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلى عليه؛ فقام رسول الله ﷺ يصلى عليه؛ فقام عمر فأخذ بشوشه فقال: يا رسول الله أتصلى عليه وقد ناك الله عنه؟ قال: إن ربي خيرني فقال: «استغفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتغفِرْ لَهُمْ إِنَّ سَيِّئَاتِهِنَّ مَرَّةٌ فَلَنْ يَعْفُرَ اللَّهُ لَهُمْ»، وسأزید على السبعين فقال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله: «وَلَا تُصْلِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا تُقْمِدْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»، تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة(٩) هـ.

(٣) روى عائشة حدث الإلحاد بكماله، وفي آخره قالت: فلما أنزل الله هذا في براعيتي، قال أبو بكر- وكان ينفق على مسطح لقراته وقرره -: والله لا أتفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة؛ فأنزلت «وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْدَةَ أَنْ يُؤْتُهُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينُ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَلَيَقُولُوا وَلَيَصْفُحُوا أَلَا تَحْمِلُونَ أَنْ يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُمْ» قال أبو بكر: بل والله إني لأحب أن يغفر الله لي؛ فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، الذهبي في تاريخ الإسلام حوادث سنة(٥) هـ.

(٤) سعيد بن المسيب بن حزم بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، أبو محمد القرشي المخزومي العائذى،

الزبير^(١)، وعلقمة بن وقاص^(٢)، وعبد الله بن عبد الله بن عقبة بن مسعود، كلهم رووا عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً، أقرع بين نسائه. قالت: فأقرع بيننا في غزوة بنى المصطلق، فخرج فيها سهمي^(٣)؛ فخرجت مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف من المدينة نزل منزلأً، ثم آذن بالرحيل.

فقمت حين آذنوا بالرحيل، ومشيت حتى جاوزت الجيش، وأقبلت على رحلي، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع؛ فرجعت والتزمت عقدي، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني، فحملوا هودجي، وهم يحسبون أني فيه^(٤)، فلما رجعت لم أجد أحداً، فجلست،

المدني الأعور، قال ابن حجر في التقريب: انفقو على أن مراسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٤، ٩٣). ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/٨٤)، تقريب التهذيب (١/٥٣٠، ٥٣٠)، الكاشف (١/٣٧٢)، الثقات (٤/٢٧٣)، التاريخ الكبير (٣/٥١)، الحالية (٢/٦١)، الجرح والتعديل (٤/٢٦٢)، سير الأعلام (٤/٢١٧). (١) عروة بن الزبير بن العوام بن خوييل بن أسد بن عبد العزى بن قصى، أبو عبد الله الأسدى المدني، ثقة، فقيه مشهور، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٤، ٩٥، ٩٩).

انظر: تهذيب التهذيب (٧/١٨٠)، تقريب التهذيب (٢/١٩)، سير الأعلام (٤/٤٤١).

(٢) علقة بن وقاص بن محسن بن كلدة بن كلدة بن عبد ياليل بن طريف، أبو عمرو الليثي، العتواري، المدني، ثقة، ثبت، أحاطاً من زعم أن له صحة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وقيل: ولد في عهد النبي ﷺ، وتوفي سنة (٨٠).

انظر: التقريب (٢/٣١)، الجرح والتعديل (٦/٢٢٥٩)، الثقات (٥/٢٠٩)، سير الأعلام (٤/٦١).

(٣) ذكروا أن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه، فرأتهن خرج سهمنا خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة (رضي الله عنها): فأقرع بيننا في غزوة غزاه؛ فخرج فيها سهمي، وخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فانا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه تلوك، ووقف، ودوننا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذن بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من ظفار، وقد انقطع فرجعت والتزمت عقدي فحسبني ابتغاوه... الحديث.

تفسير ابن كثير (٣/٢٧٧).

(٤) قالت عائشة: أقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني، فاحتلوا هودجي، فرحلوا على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه، قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يشقن ولم يغشمن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستترن القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكانت جارية حديثة السن، فبعثوا الحمل، وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعي لاجيب، ففيemptمت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلىي. المرجع السابق (٣/٢٧٧).

فلمت، وكان صفوان^(١) يمكث في العسكر، يتبع أممته الناس، فلما رأني عرفي؛ فنزل وتنحى حتى ركبت، ثم قاد البعير، وافتقدني الناس حين نزلوا، وماج الناس في ذكري، فبینا الناس كذلك، إذ هجمت عليهم؛ فتكلم الناس، وخاضوا في حديثي^(٢). انتهی ملخصاً^(٣).

وقال البيضاوي: والمراد ما أفك على عائشة^(٤)، وذلك أنه ~~يكلل~~ استصحبها في بعض العزوات، فأذن ليلة في القفول بالرحل، فمشت لقضاء حاجة، ثم عادت إلى الرحل، فلمست صدرها، فإذا عقد من جزع ظفار^(٥) قد انقطع؛ فرجعت تلمسه، فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج، فرحله على مطياها وسار، فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحداً، فجلست كي يرجع إليها منشد، وكان صفوان بن المعطل السلمي^(٦) قد عرس وراء الجيش، فأدخل، فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحتها؛ فركبها؛ فقادها حتى أتيا الجيش؛ فاتهمت به.

(١) كان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش، فأدخل فأصبح عند منزله، فرأى سواد إنسان نائم فرأى عرفي حين رأني، وكان قد رأني قبل الحجاب؛ فاستيقظت باسترجاجه حين عرفي؛ فخرمت وجهي بجلابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاجه حين أناخ راحتها فوطع على يدها فركبها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول. المرجع السابق (٢٧٧/٣).

(٢) قام رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في الناس خطيباً، فتشهد فحمد الله وأنهى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ أشيروا على في أنسابنا أهلي، وأيم الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وما علمت على أهلي من سوء، وأبنوهم بن والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غالب معى، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله ائذن لنا أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال: كذبت، أما والله لو كانوا من الأوسط ما أحبت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد وما علمت. المرجع السابق (٢٧٩/٣).

(٣) قال النwoي في قول عائشة "وعقدي من جزع ظفار قد انقطع": أما العقد فمعروف نحو القلادة، والجزع بفتح الجيم وإسكان الراء وهو خرز يماني، وأما ظفار ففتح الظاء المعجمة وكسر الراء، وهي مبنية على الكسر، تقول هذه ظفار، ودخلت ظفار، وإلى ظفار بكسر الراء بلا تنوين في الأحوال كلها، وهي قرية في اليمن.

(٤) صفوان بن المعطل بن ربيعة، أبو عمرو السلمي ثم الذكوانى، صحابي مشهور، توفي سنة (١٩) وقيل سنة (٦٠، ٥٨)، وهو صاحب حديث الإلفك.

ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٤٠٥/٣)، الذيل على الكاشف (٦٧٤)، تعجیل المتفعة (٤٧٤)، تاريخ البخاري الصغير (٤٣)، الجرح والتعديل (٤/١٨٤٤)، أسد الغابة (٣٠/٣)، تجريد أسماء الصحابة (٢٦٧/١)، الإصابة (٤٤٠/٣)، الاستيعاب (٧٢٥/٢)، الوفي بالوفيات (٣٢٠/١٦)، الثقات (١٩٢/٣).

وقال في فتح البيان: حاصله أن سبب النزول هو ما وقع من أهل الإفك الذين تقدم ذكرهم في شأن عائشة، وذلك أنها خرجت من هودجها تلتمس عقداً لها انقطع من جزع، فرحلوا وهم يظنون أنها في هودجها، فرجعت وقد ارتحل الجيش، والهودج معهم فاقامت في ذلك المكان، ومر بها صفوان بن المعطل^(١)، وكان متاخراً عن الجيش، فأناخ راحلته، وحملها عليها، فلما رأى ذلك أهل الإفك قالوا ما قالوا؟ فبرأها الله مما قالوا^(٢).

وقال الصافي: وكان سبب الإفك أن عائشة ضاع عقدها في غزوةبني المصططلق من خراعة^(٣) انتهى.

وكذا قال عامة أهل التفسير والحديث في القديم وفي الحديث.

الباب الرابع

في بيان من جاء بالإفك، وهو كبرهم

قال ابن عباس^(٤): نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، وحسان بن ثابت^(٥) الأنصاري، ومسطح بن أثاثة ابن حالة أبي بكر الصديق، وعبد بن عبد المطلب، وحمنة^(٦)

(١) صفوان بن المعطل: صاحب النبي ﷺ الذي له ذكر في حديث الإفك، وقال فيه النبي ﷺ "ما علمت عليه إلا نحيراً" ، وقال هو: ما كشفت كنف أثني قط. روى عنه سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وسعيد المقبرى، وروايتهم مرسلة إن كان مات سنة (١٩) في غزوة أرميية، وإن كان قد توفي كما قال الواقدي سنة ستين بشمشساط فقد سمعوا منه، وقال خليفة: مات بالجزيرة. النهبي في تاريخ الإسلام سنة (١٩).

(٢) روى مسلم في صحيحه [٥٦-٥٧] [٢٧٧٠] كتاب التوبه، ١٠ - باب في حديث الإفك، وقبول توبية القاذف، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه... الحديث بطوله، وقال النووى: هذا دليل لمالك والشافعى وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات، وفي العتق والوصايا والقسمة، ونحو ذلك، وقد جاء فيها أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، قال أبو عبيد عمل بها ثلاثة من الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين): يونس و زكريا و محمد ﷺ. شرح مسلم للنووى (٨٦/١٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو الحسام، ويقال: أبو الوليد، الأنصاري البجاري، الملنى، الخزرجي شاعر الرسول، صحابي مشهور، أخرج له الستة عدا الترمذى، توفي سنة (٥٤،٥٥). ترجمته: تهذيب التهذيب (٢٤٧/٢)، تقريب التهذيب (١٦١/١)، الكاشف (١/٢١٦)، تاريخ البخاري الكبير (٣/٢٩)، الحرج والتتعديل (٣/٢٦)، الإصابة (٢/٦٢)، أسد الغابة (٢/٥)، تجريد أسماء الصحابة (١/٢٩)، الوافي بالوفيات (١١/٥١٦)، سير الأعلام (١/٥١٢)، الثقات (٣/٧١)، أسماء الصحابة الرواية (٨١٩).

(٤) حمنة بنت جحش الأسدية، أخت زينب أم المؤمنين رض، كانت تحت مصعب بن عمير، ثم طلحة،

بنت جحش الأسدية.

ثم قال: والذي تولى كبره، أشاع وأعظم المقالة فيه، وهو عبد الله بن أبي منهم، له عذاب عظيم في الدنيا بالحد، وفي الآخرة بالنار. اتهى. ولم يذكر زيد بن رفاعة.

وقال الرازي: أما العصبة، فقيل: إنها جماعة من العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة، واعصوصوا: اجتمعوا وهم: عبد الله بن أبي ابن سلول - رأس النفاق - وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت^(١)، ومسطح بن ثابت، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدهم.

ثم قال: والأقرب أن المراد به - أي بالذي تولى كبره - عبد الله بن أبي بن سلول، فإنه كان منافقاً^(٢). اتهى.

ولم يذكر عباد بن المطلب، وزاد زيد بن رفاعة، وكذا ذكر الزمخشري، والبيضاوي، وأبو السعد، والصديق حسن، والجلال الحلي، وأسقط زيد بن رفاعة أيضاً، فيكون جملة من ذكرهم أربعة.

وقول الرازي هو الأقرب، أقول: يعنيه ما جاء في صريح مسلم^(٣) عن عائشة، وكان

وكان تستحضر، وهي أم ولدي طلحة: عمران ومحمد. أخرج لها: البخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه.

ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤١١/٢)، تقرير التهذيب (٥٩٥/٢)، النقاط (٣/٩٩)، أسد الغابة (٧/٦٩)، أعلام النساء (١/٢٥١)، الاستيعاب (٤/١٩١٣)، الإصابة (٧/٥٨٦)، تحرير أسماء الصحابة (٢/٢٥٧)، الكاشف (٣/٤٦٨)، أسماء الصحابة الرواية (١٤/١٠١).

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٧٥٦) كتاب تفسير القرآن، ١١-باب: «وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمُ الْأَيَّاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»، عن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب وقال:

حصان رزان ما تزن برية وتصبح غرثى من لحوم الغواص

قالت: لست كذلك. قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أتزل الله: «وَالَّذِي تَوَلَّ كِبِيرَةً». فقالت: وأي عذاب أشد من العنى. وقالت: وقد كان يرد عن رسول الله ﷺ.

(٢) قال النبي وقال ابن عبيدة، عن عمرو، عن جابر قال: أبى رسول الله ﷺ قبر عبد الله بن أبي بعدما دخل حفرته، فامر به فأنخرج، فوضعه على ركبتيه أو فخذيه، فنفت عليه من ريقه وألبسه قميصه، والله أعلم. متفق عليه.

تاریخ الإسلام وفیات سنة (٩)

(٣) أخرج مسلم في صحيحه [٥٦-٢٧٧٠] كتاب التوبة، ١٠ - باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف من حديث عائشة بطلوله زمه: «فهلك من هلك في شأنى، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن

الذى تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول. وكذا غيرهما كما مر عن ابن عباس^(١). والظاهر أن ذكر عباد، وإسقاط زيد وبالعكس وإسقاطهما معاً من الحالى، مبني على جعلهما من المساعدين، لا من جاعوا به، ويفيد ذلك أنهما لم يذكرا فيمن جلد عند ذكر من جلد، ولا واحد منهما.

وأما الصافى مفسر الشيعة فلم يتعرض لتسمية أحد من جاعوا بالإفك، إما لعدم معرفته إياهم أو لغير ذلك.

ملحق في بيان كيفية أفك مسطوح^(٢).

قال الإمام الرازى: قال المفسرون: نزلت هذه الآية يعني: **﴿وَلَا يَأْتُلُ أُولُو...﴾** في أبي بكر حيث حلف ألا ينفق على مسطوح، وهو ابن حالة أبي بكر^(٣)، وقد كان يتيمًا في حجره،

أبى ابن سلول...الحديث، و قال النووى في قوله: وكان الذى تولى كبره: أي معظمه وهو بكسر الكاف على القراءة المشهورة، وقرئ في الشواذ بضمها وهي لغة.

(١) قال النووى "اعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة: وذكر النووى فوائد كثيرة منها: براءة عائشة (رضي الله عنها) من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشکك فيها إنسان - والعياذ بالله - صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين.

قال ابن عباس وغيره: لم ترن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا إكراام من الله تعالى لهم.

شرح مسلم للإمام النووي (٩٩/١٧) - طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) قالت عائشة (رضي الله عنها): قدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمناها شهراً، والناس يفيفون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يربيني في وجيبي أن لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: "كيف تيكم"؟ .

فذلك الذي يربيني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدهما نفمت، فخرجت مع أم مسطوح قبل المناصر، وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتحد الكتف قريباً من بيوبتنا، وأمرنا أمراً من العرب الأول في التنزه في البرية، وكنا نتأذى بالكتف أن تتحدنا في بيوبتنا، فانطلقت أنا وأم مسطوح، فعثرت فقالت: تعس مسطوح. فقلت لها: بعسماً قلت تسرين رجالاً شهد بدر؟ فقالت: أي هناء ألم تسمع ما قال؟ قلت: وماذا قال: قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك. تفسير ابن كثير (٢٧٧/٣)؟

(٣) قالت عائشة (رضي الله عنها): لما أنزل الله هذا في براعتي قال أبو بكر^(٤) - وكان ينفق على مسطوح بن أئلأة لقرباته منه وفقره - والله لا أنفق عليه شيئاً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله تعالى **﴿وَلَا يَأْتُلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَيِّلِ اللهِ وَلَيُعْفُوا وَلَيُصْفَحُوا أَلَا تَحْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**، قال أبو بكر: بل والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطوح النفقه التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أترعها منه أبداً.

وكان ينفق عليه وعلى قرابته؛ فلما نزلت الآية: أي **«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْلَكَ»** ... إلى قوله **«وَلَا يَأْتُلُ ...»**^(١) الآية، قال لهم أبو بكر: قوموا فلستم مني، ولست منكم، ولا يدخلن على أحدٍ منكم؛ فقال مسطح: أنسدك الله والإسلام، وأنشدك القرابة والرحم أن لا تحوجنا إلى أحد، فما كان في أول الأمر من ذنب؛ فقال لمستطح: إن لم تتكلم فقد صحتك؛ فقال: وقد كان ذلك تعجباً من قول حسان، فلم يقبل عذرها، وقال انطلقاً أيها القوم، فإن الله لم يجعل لكم عذراً ولا فرجاً؛ فخرجوا ولا يدرؤن أين يذهبون، وأين يتوجهون في الأرض.

بعث رسول الله ﷺ يخبره بأن الله تعالى قد أنزل على كتاباً ينهاك فيه أن تخرجهم فكبر أبو بكر وسره، وقرأ رسول الله ﷺ الآية عليه، فلما وصل إلى قوله تعالى: **«أَلَا تَحْجُوْنَ أَنْ يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»**^(٢) قال: بلى يا رب، إني أحب أن يغفر لي، وقد تجاوزت عما كان، فذهب إلى بيته وأرسل إلى مسطح وأصحابه، وقال: قبلت ما أنزل الله على الرأس والعين^(٣)، إنما فعلت بكم ما فعلت إذ سخط الله عليكم أما إذا عفا عنكم فمرحباً بكم، وجعل له مثلي ما كان له قبل ذلك اليوم.

(١) يقول تعالى: **«وَلَا يَأْتُلُ»** من الألية وهي الحلف أي يحلف **«اللَّوَّا الفَضْلُ مِنْكُمْ»** أي الطول والصلة والإحسان **«وَالسُّعْدَةُ أَيُّ الْجَدَةُ»** أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله **«أَيُّ لَا تَحْجُوْنَ أَنْ يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»** الآية علىي المهاجرين في ذلك، وهذا غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام. ولهذا قال تعالى: **«وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا»** أي عما تقدم منهم من الإساءة والأذى، وهذا حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم. المرجع السابق (٢٨٤/٣).

(٢) هذه الآية نزلت في الصديق **طه** حين حلف لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبداً **بعدما قال في عائشة ما قال كما تقدم في الحديث**، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة، واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيمت عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبه ونبيه وهو مسطح بن أثاثة فإنه كان ابن حالة الصديق، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها. المرجع السابق (٢٨٤/٣).

(٣) كان الصديق **طه** معروفاً بالمعروف، له التفضل والأيادي على الأقارب والأجانب فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: **«أَلَا تَحْجُوْنَ أَنْ يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»** الآية، فإن الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى والله إنما نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح وما كان يصله من النفقه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً، فلهذا كان الصديق هو الصديق **طه** وعن بنته.

استنتاج:

في بيان أن سيدنا أبو بكر^(١) يُعلم يكن غضبه على مسطح، وقطع نفقة عنه لحظ نفسه، بل كان الله عَزَّلَهُ، إذ لا يليق بأحد من المسلمين أن يغضب أو يتصرّ لنفسه، بل يغضب الله تعالى، فكيف يقع ذلك من الصديق الأكبر صاحب رسول الله عَزَّلَهُ و الخليفة، وأفضل الخلق بعده؟ فلم يكن غضبه على مسطح إلا الله، سيما وأن في ذلك هجراً، والمجر لا يجوز أكثر من ثلاثة أيام^(٢)، إلا الله سبحانه وتعالى.

بيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما أنزل آيات الإفك، وبراً عائشة، وصفوان^(٣) مما أفك به عليهم، وذكر سبحانه عظيم ذلك عنده، وأنه ليس بهن، وأن لكل أمرٍ من الأفکين ما اكتسب من الإثم، ظهر له أن مسطحاً من الأفکين الآثرين فهجره وقطع عنه نفقة الله تعالى.

ولما علم أن الله سبحانه وتعالى قبل توبته ورضي عنه، حيث يمينه ورجع إلى إنفاقه عليه ابتغاء لمرضاة الله تعالى، وعفا عنه وصفح حباً بغفران الله تعالى، فرضي الله تعالى عنه وأرضاه.

يذلك على ذلك قوله عَلَيْهِ الْمَارُ: "إنما فعلت إذ سخط الله عليكم، أما إذا عفا عنكم فمرحباً بكم"^(٤).

(١) قال النبوي في تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٣). وصح من حديث الحريدي، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة: أي أصحاب النبي عَلَيْهِ الْمَارُ كان أحب إلى رسول الله عَلَيْهِ الْمَارُ؟ قالت: أبو بكر. قلت ثم من؟، قالت: عمر قلت: ثم من؟ قالت أبو عبيدة، قلت ثم من؟ فسكت. تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٣).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه [٢٥٦٠-٢٥٦٠] كتاب البر والصلة والآداب، ٨-باب تحريم المحرر فوق ثلاث، بلا عذر شرعي، عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله عَلَيْهِ الْمَارُ قال: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخيه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".

(٣) روى مسلم في صحيحه (٥٧) كتاب التوبه، ١٠-باب في حديث الإفك، وقبول توبه القاذف، وفيه قال عروة: قالت لعائشة: "والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحانه الله، فوالذي نفسي بيديه، ما كشفت عن كف أثني قط، قالت، ثم قتل بعد ذلك شهيداً في سبيل الله".

(٤) قال النبوي من فوائد حديث الإفك: فيه فضائل لأبي بكر عَلَيْهِ الْمَارُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ الآية، وفيه: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين، وفيه: العفو والصفح عن المسيء، وفيه: استحباب الصدقه، والإإنفاق في سبيل الخيرات، وفيه: أنه يستحب لمن حلف على يمين، ورأى خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، ويکفر عن يمينه.

الباب الخامس

في ذكر الآيات التي نزلت بالإفك

قال الله تبارك وتعالى ^(١): «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصَبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أُمْرٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّ كَبِرَةً مِّنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ. لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بَارِبَعَةٍ شَهَدَاءٍ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأَوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ^(٢)» وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَكُمْ فِي مَا أَفْضَلْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْتُمُ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُوهُنَّ هَيَّا وَهُوَ عَنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا سُبُّ حَالِكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لَمَثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ. وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَكِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الْأَرْضِ أَمْنَوْا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا ^(٣) وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ وَأَنَّ اللَّهَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَبَعُ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ أَبَدًا وَلَكِنْ

(١) قال القاسم بن محمد: "اشتكى عائشة، فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر الصديق، ولو لم يكن إلا ما في القرآن من البراءة لكتفي بذلك شرفاً" ، وله حظ وافر من النصاحة والبلاغة مع ما لها من المناقب (رسالة العترة).

تاریخ الإسلام وفیات (٥١-٦٠).

(٢) إن الله يعذّل لما يبين في أول سورة النور ما في جريمة الزنا من عظيم الفحش، وكثير الشناعة مما لم يجتمع في جريمة أخرى، وتشنيع الفعل، وأمر هذا شأنه يلحق العرض من الرمي به ما ينكس الرأس، ويهدّم الشرف؛ ففرض الله لنا فيما فرض من أحكام حد القذف الراجر الرادع الكفيل لصيانة الأعراض، ومن قذف مسلماً أو مسلمة ولم يستطع إقامة البينة المطلوبة لإثبات قوله، فهو كاذب عند الله، أي: حكمه في شريعة الله تعالى حكم الكاذب يقيناً، فيقام عليه حد الكاذب.

الفقه على المذاهب الأربعة (٥/١٦٧، ٥/١٦٨).

(٣) في الدنيا بإقامة الحد، وفي الآخرة تأدinya للمؤمنين، وتربيّة لنفسهم على الخير، والبعد عن مواطن الشر، وتطهيرها لألسنتهم والتحفظ بها عن المخوض في أغراض الناس، وحفظاً لهم من أن يقعوا في معصية الله تعالى، ويصبحوا من الفاسقين، وفي تشريع الحدود تطهير للمجتمع من الشرور والمفاسد التي تهلكهم وتفرق بين صفوفهم، وإذا قارنا بين المجتمع الذي كان في عهد رسول الله ﷺ وبين مجتمعنا أدركنا الفرق الكبير والبون الشاسع بينهما، وذلك لإقامة الحدود في عهده وعهد الخلفاء الراشدين من بعده.

الفقه على المذاهب الأربعة (٥/١٨٣، ٥/١٨٤).

الله يُنذِّكِي من يشاءُ والله سمِيعٌ عَلَيْهِمْ. وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْمِنُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَيَقُولُوا لَيُصْفِحُوا أَلَا تَحْبُّونَ أَنْ يَقْفَرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يَرْمَوْنَ^(١) الْمُحْصَنَاتَ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتَ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمُ الْأَسْنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. يَوْمَئِذٍ يُوَفَّيْهُمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهُ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ. الْحَيَّاتُ لِلْحَيَّشِينَ وَالْحَيَّشُونَ لِلْحَيَّشَاتِ وَالْطَّيَّاَتِ لِلْطَّيَّيِّنِ وَالْطَّيَّيِّبُونَ لِلْطَّيَّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّوْنَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ^(٢).

علاوة:

روى البخاري^(٣) وغيره أنه لما أنزل الله براءتها، وسرى عن رسول الله ﷺ. وقال لها: أبشرني يا عائشة، أما والله لقد برأك الله، قالت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك، وأن أنها قالت لها: قومي إليه، وقالت والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا لله الذي، أنزل براءتي^(٤).

وسيأتي لفظ البخاري وغيره إن شاء الله تعالى.

(١) اتفق العلماء على أن القاذف إذا أتى بأربعة من الشهود العدول من الرجال العقلاء، يشهدون عليها بما رماها، لا يقام عليه الحد، ولا يعتبر قاذفًا وثبت الزنا، لأنه صادق في قوله، ويقام الحد على الرانية إذا ثبت الشهادة عليها، وإنما اشترطوا أربعة شهود لأنه فعل يغمض الاطلاع عليه، فاحتسب فيه باشتراط الأربعة، الفقه على المذاهب الأربعة (٥/١٧٥).

(٢) [سورة التور: ١١-٢٦]، وقد اختلف العلماء في عدد الآيات، وقد أوضحها ابن حجر في "شرح صحيح البخاري"، وبين فيها آراء العلماء، وعدد الآيات وسيأتي بيانها وذكر رأي ابن حجر كاملاً في تحقيقنا من كتابه فتح الباري.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٤٧٥٠) - كتاب تفسير القرآن، ٦- باب **لَوْلَا إِذْ سَمَّتُمُوهُ طَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ.....الآية**. عن عائشة وفيه: "فَلَمَّا سَرَى عَلَى رَسُولِ اللهِ سَرِى عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلْمَةٍ تَكَلَّمُهَا: يَا عَائِشَةً أَمَا اللهُ يَعْلَمُ فَقْدَ بَرَأَكَ"..... الحديث.

وفي مسلم [٥٦-٢٧٧] [٢٧٧] كتاب التوبه، ١٠ باب في حديث الإفك، وقبول توبه القاذف، عن عائشة وفيه: "فَكَانَ أَوَّلَ كَلْمَةٍ تَكَلَّمُهَا: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةً، أَمَا اللهُ فَقْدَ بَرَأَكَ"..... الحديث.

(٤) قال النووي: معناه قالت لها أمها قومي فاحمديه وقبلي رأسه واشكريه لنعمة الله التي بشرتك، قالت عائشة ما قالت دللاً عليه وتبأً لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن طرائقها وجميل أحوالها وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراء قوم ظالمون، ولا حجة ولا شبهة فيه قالت: وإنما أَحَدَ رِيَسَ بَحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي أَنْزَلَ بِرَاءَتِي وَأَنْعَمَ عَلَى بِمَا لَمْ أَكُنْ أَتَوْقَعَهُ، كَمَا قَالَتْ: وَلِشَانِي كَانَ أَحَقُّ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَنْكُلَ اللهُ تَعَالَى فِي بِأَمْرٍ يَتَلَى.

الباب السادس

فيما فسر به هذه الآيات أهل السنة

وقد اخترت أن أذكر ما قاله الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - في تفسيرها، لأنه ليس الطويل الممل، ولا بالقصير المخل، ولموافقة تفسير الصافي له في الألفاظ غالباً إلا شذ في الشيعة^(١).

قال البيضاوي - رحمه الله تعالى - : **«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْفَكِ»** يبلغ ما يكون من الكذب، وهو الصرف، لأنه قول مأفوكة عن وجهه، والمراد ما أفك به على عائشة (رضي الله عنها)، وذلك أنه **«استصحبها في بعض الغزوات»**^(٢)، فأذن ليلة في القفول في الرحيل، فمشت لقضاء حاجة، ثم عادت إلى الرحل، فلمست صدرها فإذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت لتلتئمه، فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت المودج، فرحله على مطiera وسار^(٣)، فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحداً، فجلست كي يرجع إليها منشد، وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش^(٤) فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ

(١) من النظريات في التشيع أنه من تأثير اليهودية، وكما قيل الشيعة يهود المسلمين ويعضضون الإسلام كبغض اليهود للنصرانية، ولم يدخلوه رغبة ولا رهبة من الله، وإنما مقتاً لل المسلمين يحسبوا فيه فيتمكوا من نشر الفساد والفتنة والفرق بينهم، وبينروا الشك، ويسيلوا الخواطر ويزعزعوا الإيمان، وقالوا مقالة اليهود فلا ملك إلا في آل البيت كما قالت اليهود: لا ملك إلا في آل داود، ولا جهاد إلا بعد مجيء المهدي كما قالت اليهود: لا جهاد حتى يجيء المسيح المنتظر.

الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية (٢٦٦-٢٦٧)

(٢) قال النووي: كانت هذه القصة في غزوة المرسيع وهي غزوة بنى المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق، ومعلوم أن سعد بن معاذ - الذي جاء ذكره في حديث عائشة - مات في إثر غزوة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك في سنة أربعين بإجماع أصحاب السير إلا شيئاً قاله الواقدي وحده، قال القاضي: قال بعض شيوخنا ذكر سعد بن معاذ في هذا وهو والأشبه أنه غيره، وهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير، وإنما قال إن المتكلم أولًا وأخرًا أسد بن حضير.

شرح مسلم للنووي (٩٢/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) في رواية مسلم [٥٦-٢٧٧٠] في التوبة، باب في حديث الإفك: "وأقبل الرهط الذين يحملون لي فحملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كتب أركب، وهو يحسبون أني فيه. قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً، ولم يهبلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستترن القوم قُتل المودج حين رحلوه ورفعوه، وكانت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا... الحديث.

(٤) قوله: "عرس وراء الجيش فأدلج" قال النووي: التعريض النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة، وقال أبو زيد: هو النزول أي وقت كان والمشهور الأول، قوله: أدلج: بتشديد الدال وهو سير آخر الليل.

شرح مسلم للنووي (٨٨/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

راحته فركبها فقاده حتى أتيا الجيش، فاتهمت به.

﴿عُصْبَةُ مَنْكُمْ﴾: جماعة منكم، وهي من العشرة إلى الأربعين، وكذا العصابة.
يريد عبد الله بن أبي، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح ابن أئلة^(١)، وحمنة
بنت جحش، ومساعدهم وهي خبرات^(٢).

وقوله ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًا لَّكُم﴾: مستأنف والخطاب للرسول ﷺ وأبي بكر وعائشة
وصفوان، والهاء للإفادة.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُم﴾: لا تكسبكم به التواب العظيم وظهور كرامتكم على الله، بإنزال
ثمانية عشر آية في براءتكم وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من
طن بكم خيراً.

﴿لِكُلِّ افْرَيٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنِ الْإِثْمِ﴾: لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه
مختصاً به.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّ كَبَرَةُ﴾: معظمه^(٣)، وقرأ يعقوب بالضم، وهو لغة فيه.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الخائضين. وهو ابن أبي^(٤)، فإنه بدأ به، وأذاعه عداوة لرسول الله ﷺ، أو هو

(١) في رواية مسلم: "خرجت معي أم مسطح قبل المناسع وهو متبرزنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتحذذ الكتف قريباً من بيوتنا..... ثم قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد المطلب، فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرتدها فقالت: تعس مسطح فقلت لها ما قلت أتبين رجلاً قد شهد بدراً.... إلى آخر الحديث.

(٢) قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمرى فقال: "يا زينب
ماذا علمت أو رأيت؟" فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً.

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فخصمتها الله تعالى بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك. تفسير ابن كثير (٢٧٨/٣)

(٣) كان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول - رأس المنافقين - فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوه آخر منهن، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن. المرجع السابق (٢٧٦/٣)

(٤) في قوله تعالى **﴿وَالَّذِي تَوَلَّ كَبَرَهُ مِنْهُمْ﴾** قيل: ابتدأ به، وقيل: الذي كان يجمعه ويستوشيه
ويذيعه ويشيعه. **﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**: أي على ذلك، ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد
الله بن أبي بن سلول قبحه الله ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث من استعذار النبي ﷺ من

وحسان، ومسطح، فإنهما شاييعاه بالتصريح به، والذي بمعنى الذين.

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا، وصار ابن أبي مطروداً مشهوراً بالعنف، وحسان أعمى وأشل اليدين، ومسطح مكفوف البصر^(١).
 ﴿لَوْلَا﴾: هلا.

﴿سَعَمْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُم﴾، وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ، وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين^(٢)، والكف عند الطعن فيهم، وذبّ الطاعنين عنهم كما يذبون عن أنفسهم، وإنما جاز الفصل بين: ﴿لَوْلَا﴾ وفعله بالظرف، لأنه منزل منزلته من حيث أنه لا ينفك عنه.

ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره، وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التحضيض على لا يخلوا بأوله ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْلُكٌ مُّبِينٌ﴾^(٣): كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءِ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: من جملة المقول تقديراً لكونه كذباً، فإن ما لا حجه عليه مكذب عند الله - أي

عبد الله بن أبي ابن سلوى، وما كان من أمر المشاجنة بين الأوس والخزرج وقال ذلك مجاهد وغير واحد . تفسير ابن كثير(٣/٢٨١).

(١) روى البخاري في صحيحه(٤٧٥٥-٦٥) كتاب تفسير القرآن، ١٠-باب قوله : ﴿يُعَظِّمُ اللَّهُ أَنْ تَعُوذُوا لِمَلِئِهِ أَيْدِيًّا﴾ عن عائشة قالت: جاء حسان بن ثابت يستاذن عليها، قلت- أي مسروق: أتاذنين لهذا؟ قالت: أو ليس قد أصابه عذاب عظيم؟، قال سفيان: تعني ذهاب بصره، فقال:

حسان رزان ما ثُرِنْ بِرِيَةٍ وَتَبْصِيرٌ غَرْثَى مِنْ لَحُومِ الْغَوَافلِ

قالت: لكن أنت (أي) لست كذلك.

(٢) في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَعَمْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، قيل أنها نزلت في أبي أيوب الأنباري وامرأته (عليها السلام) قالت له امرأته: يا أبي أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة (عليها السلام)؟ قال: نعم، وذلك الكذب أكثت فاعله ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله قال: فعائشة والله خير منك، فلما نزل القرآن بالآيات أي كما قال أبو أيوب وصاحبته.

تفسير ابن كثير مختصرأ(٣/٢١٨).

(٣) ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْلُكٌ مُّبِينٌ﴾ أي قالوا بالستهم هذا كذب ظاهر على أم المؤمنين (عليها السلام)، فإن الذي وقع لم يكن ريبة وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بкамله يشاهدون ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، ولو كان هذا الأمر فيه ريبة، لم يكن هذا جهرة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستوراً.

المرجع السابق(٣/٢٨٢).

في حكمه - لذلك رتب الحد عليه^(١).

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: لو لا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى: لو لا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإهمال للتوبة، ورحمته في الآخرة بالعفو والغفران المقداران لكم.

﴿لَمْسَكْمُ﴾: عاجلا.

﴿فِي مَا أَفْضَمْ فِيهِ﴾: خضتم فيه.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢): يستحرر دونه اللوم والجلد.

﴿إِذْ﴾: ظرف لمسكم أو أفضتم.

﴿تَلَقَوْنَهُ بِالسِّتَّكْمُ﴾: والمعنى يأخذن بعضكم من بعض بالسؤال عنه.

يقال: تلقى القول وتلقفه.

وقرئ: تلقونه على الأصل.

وتلقونه: من لقبه إذا لقفه.

وتلقونه: بكسر حرف المضارعة.

وتلقونه: من القامة بعضهم على بعض.

وتلقونه وتلقونه من الولق والألق: وهو الكذب^(٣).

(١) فيه الحد وذلك لما أمر الله تعالى به في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَاتٍ فَأَجْلِدُهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: [٤] فأوجب على القاذف إذا لم يقم البينة على صحة ما قال ثلاثة أحكام أحدها : الجلد ثمانين جلد، الثاني: أن ترد شهادته أبداً، الثالث: أن يكون فاسقاً ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس.

تفسير ابن كثير (٢٧٣/٣).

(٢) وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسيبه التوبة كمسطح وحسان وحمنة بنت جحش - أخت زينب بنت جحش -، فاما من خاض فيه من المناققين كعبد الله بن أبي ابن سلول، وأضار به فليس أولئك مرادين في هذه الآية لأنه ليس عندهم الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقاً مشرطاً بعدم التوبة أو ما يقابله من عمل صالح يوازن له يد معه عليه.

المرجع السابق (٢٨٢/٣).

(٣) روى البخاري في صحيحه تعليقاً كتاب تفسير القرآن، ٧ باب قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... الْآيَة﴾.

وقال مجاهد: "تلقونه" يرويه بعضكم عن بعض "تفيضون" تقولون.

وتقفونه: من ثقفته إذا طلبه فوجده وتقفونه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾^(١) أي تقولون كلاماً مختصاً بالأفواه بلا مساعدة من القلوب.

﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم.

قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾

﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيْنَا﴾: سهلاً لاتبعة فيه.

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(٢): في الوزر واستجرار العذاب، فهذه ثلاثة آثار متربة على ها مس العذاب العظيم، تلقى الإفك بالستهم، والتحدث به من غير تحقق، واستصغار ذلك، وهو عند الله عظيم.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾^(٣): ما ينبغي لنا، وما يصح

أن تتكلّم بهـا^(٤): يجوز أن تكون الإشارة أي القول المخصوص، وأن تكون إلى نوعه، فإن قذف أحد الناس محرم شرعاً، فضلاً عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله ﷺ.

﴿سُبْحَانَكَ﴾^(٥): تعجب مما يقول ذلك، وأصله أن يذكر كل متعجب تزيهاً لله تعالى من أن يصعب عليه مثله، ثم كثر فاستعمل لك متعجب، أو تزيهاً لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة، فإن فجورها ينفر عنه، ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها.

في رقم (٤٧٥٢) باب "إذا تلقونه بالستكم...." ، قال ابن أبي مليكه: سمعت عائشة تقرأ "إذا تلقونه بالستكم" وهمامشة: قوله تلقونه: من ولق الرجل إذا كذب.

(١) أي: تقولون ما لا تعلمون.

(٢) أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هيـاً فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، عظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل، فإن الله سبحانه وتعالى يغار لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجةنبي من الأنبياء، ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة. تفسير ابن كثير (٣/٢٨٢).

(٣) هذا تأديب آخر بعد الأول الأمر بظن الخير أي إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى بيني الظن بهـم خيراً، وأن لا يشعر نفسه سوـى ذلك، ثم إن عـلـقـ بـنـفـسـهـ شـيـعـ منـ ذـلـكـ وـسـوـسـةـ أوـ خـيـالـ فـلاـ يـبـغـيـ أـنـ يـتـكـلـمـ بـهـ،ـ فـإـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ قـالـ:ـ إـنـ اللـهـ تـعـالـيـ تـجـوزـ عـمـاـ حـدـثـ بـهـ أـنـفـسـهـ مـاـ لـمـ تـقـلـ أـوـ تـعـمـلـ".ـ المرـجـعـ السـابـقـ (٣/٢٨٣).

(٤) أي سبحانه الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله، وحليله حليله. المرجع السابق.

فيكون تقريراً لما قبله، وتهيئاً لقوله: **«هَذَا يُهْتَانٌ عَظِيمٌ»**^(١) لعظمته المبهوت عليه، فإن حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها.

«يَعْظُمُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمُثْلِهِ»^(٢): كراهة أن تعودوا لمثله، تعودوا **«أَبَدًا»**: مادمتם أحيا مكلفين.

«إِنْ كُثُّمْ مُؤْمِنِينَ»: فإن الإيمان يمنع عنه، وفيه تهسيج وتقرير.

«وَيَسِّئُ اللَّهُ لَكُمُ الْأَيَّاتِ»^(٣): الدالة على الشرائع، ومحاسن الآداب، كي تعظوا وشادبوا.

«وَاللَّهُ عَلِيمٌ»: بالأحوال كلها.

«حَكِيمٌ»: في تدابيره، ولا يجوز الكشخنة على نبيه، ولا يقرره عليها.

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ»^(٤): يريدون.

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَاحِشَةُ»: أن تنتشر.

«الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»: بالحد، والسعير، إلى غير ذلك.

«وَاللَّهُ يَعْلَمُ»: ما في الضمائر.

«وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^(٥): فعاقبوا في الدنيا على ما يدل عليه الظاهر، والله سبحانه يعاقب

(١) سورة التور (١٦).

(٢) أي ينهاكم الله متوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا أبداً أي فيما يستقبل، ولهذا قال: إن كتم مؤمنين، أي إن كتمت تؤمنون بالله وشرعيه، وتعظمون رسوله ﷺ فأما من كان متصفًا بالكفر فله حكم آخر. تفسير ابن كثير (٢٨٣/٣).

(٣) أي يوضح لكم الأحكام الشرعية، والحكم القدري **«وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»** أي عليم بما يصلح عباده حكيم في شرعه و قوله.

(٤) هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئاً من الكلام السبع، فقام بذنه شىء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويندعيه فقد قال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»** أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح **«لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا** بالحد وفي الآخرة بالعذاب الأليم.

(٥) **«اللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»** أي فردوا الأمور إليه ترشدون، وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ميمون بن موسى المرئي، حدثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته".

ابن كثير في تفسيره (٢٨٣/٣).

على ما في القلوب من حب الإشاعة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: تكرير للمنة المعالجة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة، ولذا عطف قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١): على حصول فضله ورحمته عليهم، وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾: بإشاعة الفاحشة.

وقرئ بفتح الطاء، وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها.

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِلَهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢): بيان لعنة الشهري عن اتباعه.

والفحشاء: ما أفرط قبحه. والمنكر: ما أنكره الشرع.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾^(٣): بتفقيق التوبة الماحية للذنوب، وشرع الحدود المكفرة لها.

﴿مَا زَكَا﴾: ما ظهر من دنسها.

﴿مِنْكُمْ مَنْ أَحَدَ أَبَدًا﴾: آخر الدهر.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرِكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾: يحمله على التوبة وقبولها.

(١) يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: أي لو لا هذا لكان أمر آخر ولكنه تعالى رعوف بعباده رحيم بهم فتاب على من تاب إليه من هذه القضية وظهر من لهم بالحد الذي أقيمت عليهم، ثم قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني طرائقه ومسالكه وما يأمر به.

المرجع السابق (٢٨٣/٣).

(٢) ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِلَهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: هذا تنفير تحذير.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ عمله، وقال عكرمة: نزعاته، وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان، وقال أبو جلور: النذور في المعاصي من خطوات الشيطان، وقال مسروق: سأله رجل ابن مسعود فقال: إني حرمت أن آكل طعاماً وسماه، فقال: هذا من نزعات الشيطان كفر عن يمينك وكل.

المرجع السابق (٢٨٤/٣).

(٣) أي لو لا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيراً.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرِكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾: أي من خلقه، ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغي، وقوله

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي سميع لأقوال عباده، ﴿عَلِيمٌ﴾ يمن يستحق منهم الحدى والضلال.

المرجع السابق (٢٨٤/٣).

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لمقاتلتهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهم.

﴿وَلَا يَأْتِلُ﴾: ولا يحلف التعال من الألية، أو ولا يقصر من الألو.

ويؤيد الأول أنه قرئ: ولا ياتا، وأنه نزل في أبي بكر، وقد حلف أن لا ينفق على مسطح^(١)، بعد وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين.

﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾: في الدين.

﴿وَالسَّعَةُ﴾: في المال.

وفيه دليل على فضل أبي بكر^(٢) وشرفه.

﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾: على أن لا يؤتوا، أو في أن يؤتوا. وقرئ بالثاء على الالتفات.

﴿أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: صفات الموصوف واحد، ناس جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك. أو الموصفات أقيمت مقامها، فيكون أبلغ في تعليل المقصود.

﴿وَلِيَعْفُوا﴾ لاما فرط منه.

﴿وَلِيَصْفِحُوا﴾ بالإغماض عنه.

﴿أَلَا تَحْبُّونَ أَنْ يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٣) على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم.

(١) لما نزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت الفتوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيمت عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطى الصديق على قريبه ونبيه وهو مسطح بن أثاثة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر^{رض}، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها، وكان الصديق^{رض} معروفاً بالمعروف له الفضل والإيمان على الأقارب والأجانب. تفسير ابن كثير (٣/٢٨٤).

(٢) في فضل أبي بكر الصديق ما رواه الترمذى باب في فضل أبي بكر الصديق في فضائل الصحابة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله^{صل}: "ما لأحد عندنا يداً إلا وقد كافأناه ما حلاً أباً بكر فإنه عندهنا يداً يكافئه الله بها يوم القيمة، وما نفعني مالاً قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخدناً خليلاً لاتخذت أباً بكر خليلاً ألا وإن صاحبكم خليل الله". قال الترمذى حديث حسن غريب، وقال الذهبي: أسلم أباً بكر يوم أسلم وله أربعون ألف دينار. تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٣).

(٣) لما نزلت هذه الآية إلى قوله تعالى ﴿أَلَا تَحْبُّونَ أَنْ يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح الله عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعه أبداً، فلهذا كان الصديق هو الصديق^{رض} وعن ابنته.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: مع كمال قدرته، فتخلقوا بأخلاقه.

روي أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر، فقال: بل أحب. ورجع إلى مسطح نفته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: العفاف.

﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾^(١): مما قذف به المؤمنات بالله وبرسوله، استباحة لعرضهم، وطعنًا في الرسول عليه الصلاة والسلام، والمؤمنين، كابن أبي.

﴿لَعْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٢): كما طعنوا فيهن.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لعظم ذنوبهم، وقيل: هو حكم كل قاذف، ما لم يتتب.

وقيل: مخصوص بمن قذف أزواجه النبي ﷺ.

ولو فتشتت وعيد القرآن لم تجد أغلاط مما نزل في الإفك على عائشة.

﴿يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ﴾^(٣): ظرف كما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لأنه موصوف.

وقرأ حمزة والكسائي^(٤): بالياء للتقديم والفصل **﴿أَسْتَهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ بِمَا كَانُوا**

تفسير ابن كثير(٣/٢٨٤).

(١) هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون الحصنات الغافلات المؤمنات خرج مخرج الغالب فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محسنة ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق (رضي الله عنها).

وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية كافر لأنه معاند للقرآن. وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنه كهي والله أعلم. تفسير ابن كثير(٣/٢٨).

(٢) في قوله تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾** روي ابن أبي حاتم أبو سعيد الأشجع حدثنا عبد الله بن حراس عن العوام عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت في عائشة خاصة، وكذا قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال: حدثنا أحمد بن عبد الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: رميت بما رميت وأنا غافلة بلغعني بعد ذلك. تفسير ابن كثير(٣/٢٨٥).

(٣) روي ابن أبي حاتم وأبي حميرة: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الميثيم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: "إذا كان يوم القيمة عرف الظافر بعمله فيجحد ويخاصم فيقال هؤلاء جيران يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصهم الله فتشهد عليهم أيديهم وأسستهم ثم يدخلهم النار.

المرجع السابق(٣/٢٨٦).

(٤) علي بن حمزة بن عبد الله بن قيس بن فيروز الأستدي مولاهم الكوفي الكسائي، النحوي، شيخ القراءة

يَعْمَلُونَ》 يعترفون بها، بإنطاق الله إياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها. وفي ظهور ذلك مزيد تهويل للعذاب.

﴿يَوْمَئذٍ يُؤْفَيُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ جزاءهم المستحق. لمعاييرهم الأمر ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(١).

الثابت بذاته، الظاهر الوهيت، لا يشاركه في ذلك غيره، ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه. أو ذو الحق البين - أي العادل الظاهر عده.

ومن كان هذا شأنه يتقم من الظالم للمظلوم لا حالة.

﴿الْخَبِيَّثَاتُ لِلْخَبِيَّشِينَ وَالْخَبِيَّشُونَ لِلْخَبِيَّثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلْطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلْطَّيِّبَاتِ﴾: أي الخباث يتزوجن الخباث وبالعكس، وكذلك أهل الطيب^(٢). فيكون كالدليل على قوله: **﴿أُولَئِكَ﴾**: يعني أهل بيت النبي ﷺ، أو الرسول وعائشة، وصفوان.

﴿مُبَرَّوْنَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾^(٣) إذ لم يصدق أنها زوجته ولم يقرر عليه. وقيل: الخباث والطبيات من الأقوال. والإشارة إلى الطيبين. والضمير في يقولون للأفلكين - أي مبرأون مما يقولون فيهم - أو للخبيثين والخباثات - أي مبرأون من أن يقولوا مثل قولهم.

والتحاد، نزل بغداد وأدب الرشيد ثم ولد الأمين، أخذ القراءة عن حمزة الزيات وحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلة، وروى عن جعفر الصادق والأعمش وسليمان بن أرقم، وأبي بكر بن عياش ترجمة: تهذيب التهذيب (٣١٣/٧)، تاريخ البخاري الكبير (٢٦٨٦/٦)، الأساط (١١/٩٩)، نسيم الرياض (١/١٨٢)، معجم المؤلفين (٧/١٤٨)، الجرح والتعديل (٦/١٨٢).

(١) سورة النور (٢٥).

(٢) قال ابن عباس: الخباث من القول للخبيثين من الرجال، والخبشوون من الرجال للخباثات من القول، والطبيات من القول للطبيين من الرجال والطبيون من الرجال والطبيون من الرجال للطبيات من القول، قال: ونزلت في عائشة وأهل الإفك، وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن بن أبي الجシン البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختهاره ابن جرير. تفسير ابن كثير (٣/٢٨٦).

(٣) وجه هذا أن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولى بالطبيين من الناس فما نسبة أهل الفاق إلى عائشة من كلام هم أولى به وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم، وهكذا قال تعالى **﴿أُولَئِكَ مُبَرَّوْنَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾** وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "الخباث من النساء للخبيثين من الرجال والخبشوون من الرجال للخباثات من النساء والطبيات من النساء للطبيين من الرجال والطبيون من الرجال للطبيات من النساء". المرجع السابق (٣/٢٨٦).

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١) يعني الجنة. ولقد برأ الله أربعة بأربعة: - برأ يوسف عليه السلام^(٢) بشاهد من أهلها. وموسى عليه السلام^(٣) من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بشوبه، ومريم بانطاف ولدها، وعائشة^(٤) هذه الآيات مع هذه المبالغات، وما ذاك إلا لإظهار منصب الرسول عليه السلام، وإعلاء منزلته. اتهى، أقول^(٤): وأفضل هذه التبرئات كان لعائشة الصديقة^(٥) خصها الله تعالى به بمزيد تطهير لبيت النبوة، وتكذيباً للمنافقين الكفرة، وأسأل الله تعالى أن يرزقنا شفاعة أهل البيت ويهشرنا في زمرتهم، بجاه النبي عليه السلام، ويزيدنا من حبهم، ويسقينا من كأس صافي ورد ٥٥.

الباب السابع

فيما ذكره الشيعة في تفسير هذه الآيات الكريمة المحكمة

وإنما لم أتعرض في الكتاب لأقوال غير الصافي من الشيعة^(٦) لعدم الحصول بالاطلاع على

(١) ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي عند الله في جنات النعيم وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله عليه السلام في الجنة. انظر ما تقدم.

(٢) في قصة سيدنا يوسف عليه السلام قال ابن عباس: كان من خاصة الملك، وقال ابن زيد بن أسلم والسددي كان ابن عمها، وعن ابن عباس: كان صبياً في المهد وكذا روي عن أبي وهلآل بن يساف والحسن وسعيد بن حبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صبياً في الدار، واختار ابن حبير.

(٣) يقصد ما كان من اليهود من قولهم على سيدنا موسى عليه السلام لما كان منه التستر لا يرى من جلده شيء فقالوا: ما تستر إلا من عيب في جلده إما برض وإما أدره وإما آفة، فخلوا يوماً وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فعدا الحجر بشوبه فأخذ موسى يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من يبني إسرائيل فرأوه أحسن ما خلق الله تعالى وأبرأه الله مما يقولون. وانظر ما رواه البخاري (٤٧٩٩) كتاب تفسير القرآن ١٠ - باب قوله ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ وفي كتاب أحاديث الأنبياء، وباب رقم الحديث (٣٤٠) (٤).

(٤) في تبرئة سيدنا عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله: ﴿أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ تبرئة لأمه مما نسبت إليها من الفاحشة قال: نوف البكالي لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتفع ثديه فنزع الثدي من فمه واتكأ على جنبه الأيسر وقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ الآية تفسير ابن كثير (١٢٣/٣).

(٥) أئمة الشيعة من آل البيت هم :

- ١ - علي بن أبي طالب عليهما السلام، توفي (٤٠) هـ.
- ٢ - الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، توفي (٤٩) هـ.
- ٣ - الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، توفي (٦١) هـ.

غيره، قال الصافي في تفسيره^(١): **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْفَكِ﴾**: بأبلغ ما يكون من الكذب.
﴿عُصْبَةٌ مَنْكُمْ﴾: جماعة منكم.

﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾: استناف، والهاء للإلفك.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لاكسابكم به الثواب العظيم.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾: بقدر ما خاض فيه.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّ كِبْرَهُ﴾: وعظمته.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الخائضين.

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في "الجوابع" وكان سبب الإلفك أن عائشة ضاع عقدها في غزوة بنى المصطلق^(٢)، وكانت قد خرجت لقضاء حاجة، فخرجت طالبة له، وحمل هودجها، على بعيرها ظناً منهم أنها فيه، فلما عادت إلى الموضع، وكان صفوان من وراء الجيش^(٣)، فلما وصل إلى الموضع وعرفها، أanax بعيره حتى ركبته وهو يسوقه حتى أتى الجيش، وقد نزلوا

٤- على زين العابدين ابن الحسين عليه السلام، توفي (٩٤) هـ.

٥- محمد بن علي زين العابدين الباقر عليه السلام، توفي (١١٧) هـ.

٦- جعفر بن محمد بن علي زين العابدين، الصادق عليه السلام، توفي (١٤٨) هـ.

٧- موسى بن جعفر الصادق، الكاظم، (١٨٣) هـ.

٨- علي الرضا، توفي (٢٠٣) هـ. ٩- محمد الجواد التقي، توفي (٢٢٠) هـ.

١٠- على الهادي النقى، (٢٥٤) هـ. ١١- الحسن العسكري (٢٦٠) هـ.

١٢- محمد المهدي (الإمام المنتظر).

انظر: "الفرق والجماعات والمناہب الإسلامية" (ص ٢٦٩)

(١) انظر: ما تقدم من التفسير من ابن كثير وغيره من كتب الصحاح.

(٢) قال الذهبي: قال سليمان: ثنا حماد بن زيد، عن معمر، والنعمان بن راشد، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة (عليها السلام)، أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، قالت: فأقرع بيننا في غزوة المرسيبع، فخرج سهمى، فهلك في من هلك وكذا قال ابن إسحاق والواقدى وغيرهما إن حديث الإلفك كان في غزوة المرسيبع، وروي عن عباد بن عبد الله قال: قلت يا أماه حدثني حديثك في غزوة المرسيبع. تاريخ الإسلام حوادث سنة (٥).

(٣) قالت عائشة: وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فأدخل فأصبح عند منزل فرأى سواد إنسان نائم فأتاني عرفني حين رأني وكان قد رأني قبل الحجابة فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبالي والله ما كلامي كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أanax راحلته فوطع على يدها فركبتها فانطلقت يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش. تفسير ابن كثير (٣/٢٧٧).

في قائم الظفيرة، قال: كذا رواه الزهري^(١) عن عائشة، وقال القمي: روت العامة: أنها نزلت في عائشة وما رُميت به في بني المصطлан من حزاعة وأما الخاصة: فإنهم رروا أنها نزلت في ماريه القبطية، وما كانت رمتها به عائشة، ثم روى عن الباقر^(٢) قال: لما هلك إبراهيم ابن رسول الله^{عليه السلام} حزن عليه رسول الله^{عليه السلام} شديداً فقالت له عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريج، فبعث رسول الله^{عليه السلام} علياً وأمره بقتله^(٣)، فذهب على ومعه سيفه وكان جريج القبطي في حائط فضرب على على باب البستان فأقبل جريج ليفتح له الباب، فلما رأى علياً عرف في وجهه الغضب، فأدبر وأختباً، ولم يفتح باب البستان، فوثب على على الحائط، ونزل إلى البستان، واتبعه، وولي جريج مدبراً، فلما خشي أن يرهقه، صعد في نخلة، وصعد على في أثره، فلما دنا منه رمي بنفسه من فوق النخلة وبدت عورته، فإذا ليس له من الرجال، ولا من النساء، فانصرف علي إلى النبي^{عليه السلام} فقال له: يا رسول الله، إذا بعثتني في أمر أكون فيه كالمسمار الحمي في الوير، أمضى على ذلك، أم أثبتت؟، قال بل أثبتت، قال: والذي

(١) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، أحد الأعلام وحافظ زمانه، طلب العلم في أواخر عصر الصحابة، فروى عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك، ومحمود بن الربيع وعبد الرحمن بن أرهر وأبي الطفيلي وسنين أبي جميلة وريعة بن عياد وعبد الله بن ثعلبة وكثير بن العباس بن عبد المطلب وخلق كثير، عنه: صالح بن كيسان، وعقيل وعمر، ويونس والأوزاعي ومالك والليث بن سعد وشعيب وخلائقه، وروى عنه الكبار: عمر بن عبد العزيز وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار، وعمرو بن شعيب وزيد بن أسلم، توفي سنة (١٢٥، ١٢٤، ١٢٣). تاريخ الإسلام وفيات (١٣٠-١٢١).

(٢) الباقر هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الماشي العلوي، أبو جعفر الباقر سيدبني هاشم في زمانه، روى عن جديه الحسن والحسين وعائشة وأم سلمة وابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وحابر، وسمة بن جنديب وطائفة عنه ابنه جعفر الصادق، وعمرو بن دينار والأعمش وابن جريج والأوزاعي وأخرون، وكان أحد من جمع العلم والفقه والشرف والدينية والثقة والسودد، وكان يصلح للخلافة وهو أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، ولا عصمة إلا لبني وقوفهم الباقر من بقى العلم أي شقة فرف أصله وخفيه، توفي سنة (١١٧).

تاريخ الإسلام وفيات سنة (١١٠-١٢٠).

(٣) توفي إبراهيم ابن النبي^{عليه السلام} وهو ابن سنة ونصف وغسله الفضل بن العباس ونزل قبره الفضل وأسامة بن زيد، فيما قيل، وكان أبيض مسمنا، كثير الشبه بوالده^{عليه السلام}، وقد روى البخاري (٨٥/٢) ومسلم (٢٣٥) قال أنس: فلقد رأيت إبراهيم بين يدي رسول الله^{عليه السلام} يوجد بنفسه، فدمعت عينا رسول الله^{عليه السلام} وقال: "تدمع العين ويحزن القلب ولا تقول إلا ما يرضي رب والله يا إبراهيم إنما بل حزرونون".

بعثك بالحق ما له ما للرجال، وما له ما للنساء^(١)، فقال: الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت وهذه الرواية أوردها القمي بعبارة أخرى في سورة الحجرات عند قوله تعالى ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسْقُ بَنِيَ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢)، وزاد: فأتى به رسول الله ﷺ فقال له: ما شأنك يا جريج؟ فقال: يا رسول الله إن القبط يحمون حشمتهم ومن يدخل إلى أهاليهم، والقبطيون لا يأنسون إلا بالقبطين، فعثني أبوها لأدخل إليها، وأخدمها وأؤنسها أقول: إن صح هذا الخبر، فعلمه إلما بعث علياً إلى جريج ليظهر الحق ويصرف السوء^(٣) وكان قد علم أنه لا يقتله ولم يكن يأمر بقتله مجرد قول عائشة، يدل على هذا ما رواه القمي في سورة الحجرات عن الصادق أنه سئل: كان رسول الله ﷺ أمر بقتل القبطي^(٤)، وقد علم أنها كذبت عليه أولم يعلم، وإنما دفع الله عن القبطي القتل بتشييت علي، فقال: بلى، قد كان والله علم، ولو كانت عزيمة^(٥) من رسول الله ﷺ القتل، ما رجع حتى قتلها، ولكن إنما فعل رسول الله ﷺ لترجع عن ذنبها، فما رجعت، ولا اشتدت عليها، قتل رجل مسلم بكذبها.

﴿لولا﴾: هلا.

(١) أخرج مسلم في صحيحه [٥٩-٢٧٧] - كتاب التوبة، ١- باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة، عن أنس أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعلي: "اذهب فاضرب عنقه" فاتأه على فإذا هو في ركيٍّ يتبرد فيه، فقال له علي: اخرج فناوله يده فأخرجه ، فإذا هو محظوظ ليس له ذكر فكف على عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه محظوظ ما له ذكر.

(٢) سورة الحجرات (٦)، قال ابن كثير في تفسيرها (٤/٢٠٨): - يأمر الله تعالى بالتشييت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخططاً فيكون الحاكم بقوله قد اقتفي وراءه، وقد نهى الله تعالى عن اتباع المفسدين ومن هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر وقبلها آخرون لأنها أمنوا بالتشييت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال، وقد ذكر كثير من المفسرين أنها نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

(انظر القصة في تفسير ابن كثير).

(٣) قال النووي في حديث أنس المتقدم في صحيح مسلم "أن رجلاً كان يتهم بأم ولدته فأمر عليهما^{عليهما} أن يذهب يضرب عنقه فذهب فوجده يغسل في ركيٍّ وهو البغر فرأه محظوظاً فتركه قيل لعله كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر وجعل هذا محركاً لقتله بفاته لا بالرثنا وقد علم انتفاء الرثنا، والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (١٧/١٠٠) - طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) القبط: كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر، ويقصد بهم اليوم المسيحيون من المصريين، وجمعها: أقباط.

(٥) عزم فلان عزماً، وعزيمة: جدًّا، عزم الأمر وعزم عليه: أراد فعله وعقد عليه نيته.

﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِنْكَ مُبِينٌ﴾^(١) كما يقول المستيقين المطلع على الحال، وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ، وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين، والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم، كما يذبون عن أنفسهم.

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءِ﴾^(٢) فِإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عَنَّهُ اللَّهُ هُمْ الْكَاذِبُونَ^(٣): قيل استئناف، أو هو من جملة المقول تقديرأً لكونه كذباً فإن ما لا حاجة عليه مكذب عند الله أي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه^(٤).

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾: لو لا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى: ولو لا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم من جملتها الإهمال للتربية ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقررين لكم.

﴿لَمْسَكُمْ﴾: عاجلاً

﴿فِي مَا أَفْسَثْتُمْ فِيهِ﴾: قضيتم فيه.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يستحرر دونه اللوم والخلد.

(١) قال البيضاوي في تفسيره ص ٤٦٤: - كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة... إلى آخر كلامه وفي آخره وإنما جاز الفصل بين لولا و فعله بالظرف لأنه منزل منزلته من حيث أنه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالا يتسع في غيره وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التخصيص على أن لا يخلو بأوله و قالوا: هذا إفك مبين.

(٢) اتفق العلماء على أن القاذف إذا أتى بأربعة من الشهود العدول من الرجال العقلاة يشهدون عليها بما رماها لا يقام عليه الحد، ولا يعتبر قاذفاً، وثبت الزنا لأنه صادق في قوله ويقام الحد على الزانية إذا ثبتت الشهادة عليها بشرطها.

وأتفقوا أيضاً على أن الشهادة على الزنا لا تثبت إلا بأربعة شهادة بقوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يُاتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُو فَأَسْتَشْهِدُوْا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةٍ مِنْكُمْ﴾. الفقه على المذاهب الأربعة (٥/٧٥).

(٣) إذا قل عدد الشهود عن أربعة قال المالكية: إذا كان الشهادة أقل من أربعة اعتبروا قذفه، ويقام عليهم حد القذف، ويجلد كل واحد منهم شمانين جلد، وقال الحنفية والحنابلة والشافعية في بعض أقوالهم: إذا كان الشهود أقل من أربعة فلا يعتبرون قذفه ولا يقام عليهم حد القذف لأنهم جاءوا شاهدين لا قاذفين، فلا ذنب لهم، ويسد باب الشهادة بالزنا، وقال الشافعية في قوائم الثاني: لو شهد في مجلس المحاكم دون أربعة من الرجال بزنا أحد الناس يقام عليه الحد في الأظهر من المذهب. الفقه على المذاهب الأربعة (٥/٧٦).

﴿إِذْ تَلْقَوْنَهُ بِالْسَّتْكِمْ﴾^(١): يأخذه بعضكم عن بعض بالسؤال عنه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: بلا مساعدة من القلوب.

﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَخْسِبُونَهُ هَيْنَا﴾: سهلاً لا تبعة له.

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيم﴾: في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آنام.

مترتبة على هامس العذاب العظيم^(٢).

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمَعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾: ما ينبغي وما يصح لنا.

﴿أَنْ تُسْكِلُمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾: تعجب من يقول ذلك، فإن الله ينزعه عند كل مستعجب من أن يصعب عليه، أو تنزيه الله من أن يكون حرمة نبيه فاجرة، فإن فجورها تغير عنه، بخلاف كفرها.

﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيم﴾: لعظم المبهوت عليه.

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمُثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣): فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهسيج وتقريع.

﴿وَبُيَسِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْأَيَاتِ﴾: الدالة على الشرائع ومحاسن الأدب كي تتعظوا وتنادبو^(٤).

﴿وَاللَّهُ عَلِيم﴾: بالأحوال كلها.

﴿حَكِيم﴾: في تدبره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا

(١) وأكمل البيضاوي فقال: إذ ظرف لمسلم أو أضض تلقونه بالستكم والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرء تلقونه على الأصل وتلقونه من لقىه إذا لفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة ، وتلقونه من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتلقونه من الولق والألق وهو الكذب وتقفونه من ثقته اذا طلبه وجده وتقفونه اي تتبعونه، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ اي وقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب. تفسير البيضاوي (ص ٤٦٤).

(٢) وقال البيضاوي تكملة لما ذكر: تلقي الإلفك بالستهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولو لا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي لنا يصح أن تتكلم بهذا يجوز أن تكون الإشارة إلى القول المخصوص وأن تكون إلى نوعه، فإن قذف أحد الناس محرم شرعاً فضلاً عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله ﷺ.

(٣) يعظكم الله أن تعودوا لمثله أو في أن تعودوا أبداً ما دمتم أحياه مكلفين إن كنتم مؤمنين، فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهسيج وتقريع. تفسير البيضاوي (ص ٤٦٤).

(٤) انظر تفسير البيضاوي (ص ٤٦٥).

وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(١): في الكافي والأمال والقمي: - عن الصادق قال: - من قال في المؤمن ما رأته عيناه، وسمعته أذناته، فهو من الذين قال الله تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ... الْآيَة»**: في الكافي عن الكاظم ^(٢) أنه قيل له: الرجل من أخوتي بلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأسأل الله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات. فقال: كذب سمعك وبصرك من أخيك، وإن شهد عندك خمسون قمامة. وقال لك قوله، فصدقه وكذبه، ولا تذيع عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مروعته، فتكون من الذين قال الله تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ... الْآيَة»**.

وعن الصادق ^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أذاع فاحشة كان كمبديها» **«وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**: تكرر للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة، وحذف الجواب للاستغناء عنه بذكره مرة. **«وَأَنَّ اللَّهَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ**: حيث لم يعجلكم بالعقوبة. **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ**: بإشاعة الفاحشة ^(٤).

(١) إن الذين يحبون بريدون أن تتشيع أن تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة بالحد والsusir إلى غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر وأنت لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة ولو لا فضل الله عليكم ورحمته.... الخ. تفسير البيضاوي (ص ٤٦٥).

(٢) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، أبو الحسين، أبو الحسن، الهاشمي العلوي، المدني، الكاظم، صدوق، عابد، أخرج له الترمذى وابن ماجة، توفي سنة (١٨٣). ترجمته: تهذيب التهذيب (٣٣٩/١٠)، تقريب التهذيب (٢٨٢/٢)، الكاشف (٣/١٨٢)، الجرح والتعديل (٦٢٥/٨)، ميزان الاعتلال (٤/٢٠١)، لسان الميزان (٧/٤٠٢)، نسيم الرياض (٢/١٦٧)، الضعفاء الكبير (٤/٥٦)، تاريخ بغداد (١٣/٢٧)، تاريخ بغداد (١٢/١٣).

(٣) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، أبو عبد الله، القرشي، الهاشمي العلوي، المدني، الصادق، فقيه، إمام، صدوق، أخرج له: البخاري في الأدب، ومسلم وأصحاب السنن الأربع، توفي (٤٨/١٤٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/٣٠/١)، تقريب التهذيب (١/١٣٢)، الكاشف (١/١٨٦)، تاريخ البخاري الكبير (٢/١٩٨)، الجرح والتعديل (٢/١٩٨٧)، ميزان الاعتلال (١/٤١)، لسان الميزان (٧/١٩٠)، النقائض (٦/١٣١)، سير الأعلام (٦/٢٥٥)، الوافي بالوفيات (١١/١٢٦).

(٤) قال البيضاوي: وفرى بفتح الطاء وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها **«وَمَنْ يَتَّبِعُ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِلَهٌ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**: بيان لعلة النهي عن اتباعه.

تفسير البيضاوي (ص ٤٦٥).

وفي الجمع: عن على خطأ بالمهمزة.

﴿وَمَن يَتَّبِعُ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: الفحشاء: ما أفرط في قبحه، والمنكر: ما أنكره الشرع أو العقل.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بال توفيق للتوبة الماحية للذنوب وشرع المحدود المكفرة لها. (١)

﴿مَا زَكَا﴾: ماطهر من دنسها.

﴿مِنْكُمْ مَنْ أَحَدَ أَبِدَا﴾: آخر الدهر.

﴿وَلَكُنَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾: بحمله على التوبة وقبوها.

﴿وَاللَّهُ سَمِيع﴾: لمقاتلهم.

﴿عَلِيم﴾: بنياتهم.

﴿وَلَا يَأْتِل﴾: ولا يحلف من الألية على وزن فعلة بمعنى اليمين، أو ولا يقصر في الألو. (٢)

﴿أُولُو الْفَضْل﴾: الغنى.

﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَة﴾: في المال.

﴿أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣): في الجوامع: قيل نزلت في جماعة من الصحابة حلفوا ألا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ولا يواسوهم. **وَلَيُصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**: القمي عن الباقر^(٤): أولي

(١) لا يستوفي حد القذف إلا بحضور الإمام أو نائبه لاحتياجه إلى النظر والاجتهداد في شأنه ومن تكرر منه السرقة أو الزنا أو الشرب فعد فهو للكل، وتدخل الحدود، أما لو زنى وسرق وقذف وشرب، فإنه يحد على كل واحد منها حداً على حد أنه لو ضرب لأحدهما فربما اعتقد أنه لا حد في الباقى، فلا ينجر عنها ولا كذلك إذا اتحدثت الجنائية، وفي إقامة الحدود تأديب للمؤمنين وتربيه لفوسهم على الخير، وبعد عن مواطن الشر، وتطهير لآكالاتهم والتحفظ بها عن الخوض في أعراض الناس. الفقه على المذاهب الأربعة (١٨٣، ١٨٨).

(٢) قال البيضاوى: ويؤيد الأول أنه قرئ ولا يتأل، وأنه نزل في أبي بكر وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن حاته وكان من فقراء المهاجرين **أُولُو الْفَضْل** منكم في الدين والسعفة في المال وفيه دليل على فضل أبي بكر ع وشرفه. تفسير البيضاوى (ص ٤٦٥).

(٣) انظر تفسير البيضاوى (٤٦٥) وتقدير تخرجه من تفسير ابن كثير.

(٤) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الماشي العلوي، أبو جعفر الباقر سيدبني هاشم في

فيما ذكره الشيعة في تفسير هذه الآيات الكريمة المحكمة

القربى هم قرابة رسول الله ﷺ، يقول يغفو بعضكم عن بعض، ويصفح بعضكم عن بعض.
فإذا فعلتم كانت رحمة من الله لكم.

يقول: **﴿أَلَا تَحْبُّونَ... الْآيَة﴾**: وفي الجم: عن النبي ﷺ: **﴿وَلَعْنُوا وَلَتَصْفُحُوا﴾** بالباء
كما روی بالباء أيضاً.

وفي المناقب: ما سبق عند تفسير **﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطَقُ بِالْحَقِّ﴾**^(١) من سورة المؤمنين.
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾: مما قدف به.
﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: بالله ورسوله.

﴿لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: كما طعنوا فيهن^(٢).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لعظم ذنوبهم.

﴿يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ﴾: وقرئ بالباء.

﴿الْأَسْتَهِمُ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بإطلاق الله إياها بغير اختيارهم.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفَّيهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾: جزاؤهم المستحق.

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: لمعاييرتهم الأمر.

﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٣): العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه في الكافي

زمانه، روی عن جديه الحسن والحسين وعائشة وأم سلمة وابن عباس وابن عمر وابي سعيد الخدري وجابر وسمرة بن جندب، وعبد الله بن جعفر عن أبيه وسعيد بن المسيب، وطاففة، وعنه: ابنه جعفر الصادق وعمر بن دينار والأعمش وابن حريج والأوزاعي ومرة بن خالد ومحول بن راشد وحرب بن سريج والقاسم بن الفضل الحراني، وآخرون، وكان مولده سنة ٥٦٠ ووفاته سنة ١١٧). انظر تاريخ الإسلام وفيات (١١١ - ٢٠).

(١) سورة المؤمنون (٦٢). قال ابن كثير: يقول الله تعالى مخبراً عن عده في شرعه على عباده في الدنيا أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي إلا ما تطبيق حمله والقيام به وأنه يوم القيمة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء ولهذا قال: **﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطَقُ بِالْحَقِّ﴾** يعني كتاب الأعمال. تفسير ابن كثير (٣٥٦/٣).

(٢) إن الذين يرمون الحصنات العفافات الغافلات مما قدف به المؤمنات بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنًا في الرسول ﷺ والمؤمنين كانوا أبى لعنوا في الدنيا والآخرة كما طعنوا فيهن ولم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم، وقيل: هو حكم كل قاذف ما لم يتب، وقيل: مخصوص بمن قدف أزواج النبي ﷺ قال ابن عباس: **﴿لَا تَوْبَةَ لَهُ﴾** لا توبة له، ولو فتشت وعيادات القرآن لم تجد أغاظط مما نزل في إفك عائشة. تفسير البيضاوي (٤٦٦).

(٣) قال البيضاوي في تفسيره ص ٤٦٦: الثابت بذاته الظاهره الوهيه لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر

عن الباقي: ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب. وقد مضى تمام الحديث في هذه الصورة.

﴿الْخَيَّثَاتُ لِلْخَيَّثِينَ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيَّثَاتِ وَالطَّيَّبَاتُ لِلْطَّيَّبِينَ وَالطَّيْبُونَ لِلْطَّيَّبَاتِ﴾^(١): في الجمع عنهم: الخيثات من النساء للخيثين من الرجال، والخيثون من الرجال للخيثات من النساء، والطبيات من النساء للطبيين من الرجال، والطبيون من الرجال للطبيات من النساء.

قالا: هي مثل قوله: ﴿الَّرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾^(٢): إلا أن ناساً لبقوا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك، وكره ذلك لهم.

وقيل: الخيثات والطبيات من الأقوال والكلم.

القمي يقول: الخيثات من الكلام والعمل للخيثين من الرجال والنساء يسلموه ويصدق عليهم من قال: والطبيون من الرجال والنساء للطبيات من الكلام والعمل. وقد مر ما يقرب هذا من سورة الأنفال هذه الآية.

وفي الاحتجاج عن الحسن المجتبى^(٣)، وقد قام من مجلس معاوية وأصحابه، وقد أفهمهم الحجر.

على الثواب والعقاب سواه ذو الحق البين أي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه يتقم من الظالم للمظلوم لا محالة.

(١) انظر تفسير البيضاوي (ص ٤٦٦).

(٢) سورة النور (٣). وقال ابن كثير: هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة أي لا يطأه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمته ذلك وكذلك ﴿وَالرَّانِي لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانِ﴾ أي عاص بزناه، ﴿أَوْ مُشْرِكَ﴾ لا يعتقد تحريره قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رض: ﴿الَّرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ قال: ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يزني بها إلا زان أو مشرك وهذا إسناد صحيح عنه.

تفسير ابن كثير (٣/٢٧٠).

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب، ابو محمد، ريحانة الرسول، الهاشمي القرشي، سبط رسول الله ص، صحابي جليل أخرج له: أصحاب السنن الأربعة توفي سنة (٤٩، ٥٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/٩٥)، تقييظ التهذيب (١)، الكاشف (١)، تاريخ البخاري الكبير (٢/٢٨٦)، الجرح والتعديل (٣/٧٣)، أسد الغابة (٢/١٠)، الإصابة (٢/٦٨)، الواقي بالوفيات (١٢/٩٢)، سير الأعلام (٣/٤٥)، تجريد أسماء الصحابة (١)، البداية والنهاية (١/١٣٠)، الثقات (٣/٦٧).

﴿الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثَاتِ﴾: هم والله يا معاوية أنت وأصحابك، هؤلاء وشيعتك.

﴿وَالْطَّيَّبَاتُ لِلْطَّيَّبِينَ.....إِلَى آخِرِ الْآيَةِ﴾: هم علي بن أبي طالب^(١) وأصحابه وشيعته.

﴿أُولَئِكَ﴾: يعني الطيبين والطبيات على الأول، والطيبين على الآخر.

﴿مُبَرَّوْنَ مَمَّا يَقُولُونَ﴾: فيهم أو عن أن يقولوا مثل قولهم.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: انتهى.

شهادة من صاحب الجمع عنها على أن السيدة عائشة الصديقة المبرأة^(٢) طيبة^(٣) طاهرة نقية، وذلك لأنه فسر قوله تعالى **﴿الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينَ﴾** بالخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال.

والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطبيات من النساء للطيبين من الرجال، والطبيون من الرجال للطبيات من النساء.

وقد كانت السيدة عائشة الصديقة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤)، وهو أطيب الطيبين من الرجال بالاتفاق.

بالضرورة تكون طيبة لأن كون الطبيات للطيبين، صحيحاً مسلماً بنص القرآن.

وكون السيدة عائشة الصديقة زوجة له عليه وآله الصلاة والسلام، متفق عليه بالتسليم

(١) قال سفيان الثوري: عن الأسود بن قيس عن سعيد بن عمرو قال: خطبنا على فقال: إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئاً رأى رأيناه فاستخلف أبو بكر فقام واستقام ثم استخلف عمر فقام واستقام، ثم ضرب الدين بجرانه، وإن أقواماً طلبو الدنيا، فمن شاء الله أن يعذب منهم عذب، ومن شاء أن يرحم رحم. تاريخ الإسلام للذهبي (٤٠-٣١)

(٢) روى البخاري في صحيحه (٦٢٣٧٧٥) - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة^(٤)، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا حماد، وحدثنا هشام عن أبيه قال: كان الناس يتحرون مهدىا لهم يوم عائشة، قالت عائشة فاجتمع صاحبى إلى أم سلمة فقلت: أيام سلمة والله أن الناس يتحررون مهدىا لهم يوم عائشة وإن نريد الخير كما تريده عائشة فمرى رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان.... وفي آخره فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: "يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منك غيراها".

(٣) قال الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات (٥١/٥٠): كان مسروق إذا حدث عن عائشة^(٥) قال: حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سماوات، فلم أكلها، وقال أبو إسحاق السعبي: "عن عمرو بن غالب أن رجلا نال من عائشة^(٦)، عند عمار بن ياسر فقال: أغرب مقبوحاً منبوحاً أثوذى حبيبة رسول الله ﷺ". صصححه الترمذى.

فتكون هي طيبة أيضاً. ويرتب قياس من الشكل الأول.

هكذا عائشة الصديقة للنبي الطيب، وكل ما كان للنبي أطيب طيب بنص القرآن.

يتبع عائشة الصديقة طيبة بنص القرآن وهو المطلب.

رد:

وأما نقله عن سيدنا الحسن بحق سيدنا معاوية^(١) (عليهما السلام) فلا أصل له.

يرده ما نقلة الصافي نفسه عن الصادق المتقدم.

وهو من قال في المؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناء، فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ: "إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُّونَ..... الْآيَة".

وعن الكاظم^(٢) وهو أنه قيل له: الرجل من إخوانني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فاسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات.

فقال: كذب سمعك وبصرك من أخيك، وإن شهد عندك خمسون قساماً.

وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مرؤته فتكون من الذين قال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ..... الْآيَة".

وعن الصادق^(٣)، عن رسول الله عزّ وجلّ: وهو أنه قال: "من أذاع فاحشة كان كمبديها".

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أبي أمية ابن عبد شمس، أبو عبد الرحمن الأموي، الخليفة القرشي، صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٦٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢٠٧/١٠)، الكاشف (١٥٧/٣)، تاريخ البخاري الكبير (٣٢٦/٧)، الثقات (٣٧٣/٣)، أسد الغابة (٢٠٩/٥)، البداية والنهاية (٢٩/٨)، سير الأعلام (١١٩/٣)، الاستيعاب (٣).

.(١٤١٦)

(٢) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوى الحسيني (تقدمت ترجمته)، وقال أبو حاتم: ثقة إمام، وقال غيره: حج الرشيد فحمل معه موسى من المدينة إلى بغداد وأجلسه إلى أن توفي غير مرضي عليه، بلغنا أنه بعث إلى الرشيد برسالة يقول: إنه لن يقضى عن يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى تقضى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون. تاريخ الإسلام وفيات (١٨١-١٩٠).

(٣) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام العلم، أبو عبد الله الحاشي العلوى الحسيني الملني، وهو سبط القاسم بن محمد، فإن أمه هي أم فروة ابنة القاسم، وأمهما أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان جعفر الصادق يقول: ولدني الصديق مرتين.

وقه يحيى بن معين والشافعى وجماعة، قال أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله. وحدث عنه أبو حنيفة وابن حريج وشعبة والسفيانان وسليمان بن بلال والداروردي وابن أبي حازم ومالك ويعينى القطان وخلق كثير، وتوفي سنة (٤٨). تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (١٤١-١٥٠).

فلا يكون سيدنا الحسين عليه السلام يشيع الفاحشة ، وهي الخبث.

وأي فاحشة أفحش منه متخلقه بما نقله الصافي عن الأئمة من أهل البيت ^(١).
بيان:

إن ما ذكره في هذا الكتاب رد لما ينقله الصافي عن الأئمة رضوان الله عليهم ^(٢) ، أو مخالفًا مبني على عدم صحة النقل عنهم ولا على الود عليهم فليحفظ ، وليلاحظ في كثير من المواطن.

استدراكات:

الأول: أنه لم يذكر أحد من المحدثين ، وأهل السنن والتاريخ من اقتدى بالشيعة في ذكر هذه القصة أن المتهم للسيدة مarie ^(٣) هو السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) كما أدعاه الصافي.

الثاني: أن الذي أهداها للنبي (صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم) المقوقس ^(٤) صاحب

(١) تعتقد الشيعة الإمامية في آل البيت وقد تعلم أسماء اثنى عشر منهم بداية من سيدنا علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين ثم علي بن الحسين الملقب بزين العابدين وابنه محمد بن علي (الباقر) ثم ولده جعفر الصادق ويليه ابنته موسى بن جعفر الملقب بالكاظم، ثم علي الرضا، ثم محمد الجواد التقى، ثم علي الهادي، ثم الحسن العسكري، ثم محمد المهدي والملقب بصاحب الزمان، وأيضاً الإمام المستظر، وتسمى الشيعة الاثني عشرية.

انظر موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية (ص ٢٦٥)

(٢) أهل السنة والجماعة هم الجماعة وهم الذين عنهم الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه لما سُئل عن الفرقة الناجية فقال: "الجماعة" وقال: "ما أنا عليه وأصحابي" فكانت تسمى بهم لذلك أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث، وأما أهل الأهواء هم الذين لا يتبعون الكتاب ويخالفون السنة ويخرجون عن الإجماع، وجميع فرق المخالفين من الشيعة والروافض والخوارج والقدرية والمرجحة والغلاة وغيرهم، كانوا كما وصفهم الله تعالى مفارقين للدين.

(٣) ذكر النهبي حادث الإفك سنة خمسة هجرية بينما ذكر في سنة ثمان من الهجرة في ذكر رسول النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بعضه لخاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فمضى بكتاب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قبل الكتاب وأكرم حاطبا وأحسن نزله، وأهدى معه إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بغلة وكسوة وحاريتين إحداهما أم ل Ibrahim - هي السيدة مarie - والأخرى وهي النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه لهم بن قثم، وفي رواية أخرى للنهبي أهدى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه الثالثة لحسان بن ثابت والثانية لأبي جهم بن حذيفة العدوي.

انظر مختصرًا من تاريخ الإسلام السنة (٨).

(٤) كتب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فيما رواه النهبي في تاريخ الإسلام سنة (٨) هـ: روى يونس بن بكير عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال: كتب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى كسرى فمزقه، فبلغ ذلك النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: أما

الاسكندرية ومصر لا أبوها.

الثالث: إن الخصي أسمه مأبُور، لا جريح وقيل: مأيو، وقيل: هابو.

وسيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى.

الرابع: أن سيدنا علياً لم يمثل أمر النبي (صلى الله تعالى عليه وآلها وسلم) بقتله بعد أن تمكن منه.

الخامس: إن سيدنا علياً لم يكن يعرف أن جريح خصي، وإن لم يغضب ولم يخوفه ويرده.

السادس: أن سيدنا علياً لو كان يعلم أن أمر النبي عليه وآلها الصلاة والسلام بقتل جريح رخصة لا عزيمة من غير أن يخبره النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم)، كان علم أن جريحاً خصي فلم يخوفه ولم يروعه.

السابع: أن رسول الله ﷺ يكن يخبر علياً بأن قتل جريح مشروط بكونه غير خصي، وإنما لم يكن لقوله له عليه وآلها الصلاة والسلام بعد رجوعه من البستان^(١) إذا بعثتني في الأمر أمضى أم أثبت.

الثامن: إن قول النبي ﷺ لما قال له ما له ما للرجال، وما له ما للنساء الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت^(٢) يكون دليلاً على أن الرسول صلى الله تعالى عليه وآلها وسلم لم يكن عالماً من قبل، بكون جريح خصيأً.

التاسع: أنا لو جعلنا قوله صلى الله تعالى عليه وآلها وسلم: الحمد لله على عدم قتل على جريحاً يكون النبي لا يعلم أن علياً لا يقتل جريح.

هؤلاء فسيكون لهم بقية، ثم ذكر ما تقدم من إرسال حاطب بن أبي بلעה إلى المقوص صاحب الإسكندرية. انظر تاريخ الإسلام للذهبي سنة(٨)هـ.

(١) وجده وهو يقتتل في ركي - وهو البير - فرأه محبوباً فتركه، قال النبوي في شرح مسلم وقد تقدم لفظه وفيه "فإذا هو في ركي يتبرد فيها فقال له علي: اخرج فناوله يده فآخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر فكف على عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه محبوب ما له ذكر. انظر شرح مسلم للنبوبي (١٧/١٠٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) مصدقاً لقوله تعالى **لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا** وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هنأ لأنهن بسبب نزول هذه الآية وفي معناها روى ابن حجر عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة. تفسير ابن كثير (٣/٤٩٨).

وقد قال الصافي: وكان - أي رسول الله ﷺ - قد علم أنه - أي على - لا يقتله فينا قضه. العاشر: أن قول على (رضي الله تعالى عنه)^(١) للنبي ﷺ: إذا بعثتني في الأمر أمضى على ذلك أم أثبت بعد رجوعه يدل على أن علياً^(٢) لم يكن يعرف أن النبي (صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وسلم) لا يريد قتله.

الحادي عشر: أن قول الصافي روى بنفسه من فوق السخفة، وبدت عورته يدل على أن كشف جريح عن نفسه كان بطريق الصدفة لا عن قصد.

الثاني عشر: أن في هذا الخبر تناقضًا، لأن قوله: فرمى بنفسه إلى آخره يدل على كون كشف مأمور عن عورته عن غير قصد، مع قوله بعد: وإنما فعل رسول الله لترجع عن ذنبها^(٣). أي بين أنه خصي فيظهر أن تهمتها له على زعده في غير محلها.

وتبين ذلك يقتضي كشف العورة، وهو يستلزم القصد. وأيضاً فإن القتل عنه متوقفاً عليه وذلك يستلزم أن يكون الإطلاع عن قصد أيضاً.

ولأن قوله فلما رأى علياً عرف الغضب في وجهه يدل على أن علياً لم يكن يعرف أن جريحًا غير خصي^(٤). ولا لما غضب مع إثباته له معرفة كون الأمر بقتل جريح رخصة لا عزيمة بدون تعريف فأثبت له العلم في شيء ونفاه عنه في آخر وأما ترك قتله بعد رؤيته إياه خصياً.

(١) من مناقب علي بن أبي طالب رض ما رواه البخاري في صحيحه (٣٧٠٦)، كتاب فضائل أصحاب النبي صل باب فضائل علي بن أبي طالب رض، عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي صل لعلي: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى".

(٢) كان علي جماعته وهي أول فرقة من الشيعة العلوية، منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفارى وعمران بن ياسر ، وهو لاء كانوا منقطعين إليه ويقولون بإمامته، ويفرق المؤرخون بين هذا التشيع الذي ظهر مبكراً، واشتد أثناء فتنة عثمان وخروج علي لقتال طلحة والزبير وعائشة وبعد مقتل علي رض، واستفحلاً بعد مقتل الحسين، والتشيع الإصطلاحى الذي تطور وصار مذهبًا له أصوله وقواعد كالتقول بوجوب الإمامة وعصمة الإمام والتفقة. موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية (ص ٢٦٦).

(٣) يقصد بقوله: أي ترجع السيدة عائشة عن ذنبها فيما اهتمت به كما يدعى السيدة مارية القبطية كما تقدم من كلام الشيعة وهذا كلام عار من الصحة فليس يفعل ذلك أم المؤمنين وحبية رسول الله صل وابنة الصديق الأكبر صاحب رسول الله صل وثانية اثنين إذ هما في الغار رض وعن ابنة الصديق أم المؤمنين.

(٤) خصاء، وخصاء: سلٌ خصيته وزعهما فهو خاص، وذلك مختص، وخاصي.

فلا يخلو إما أن يكون علم أن قتله مبني على تقدير كونه غير خصي، أولاً.
فإن كان علم فهذا العلم أيضاً لا يخلو: إما أن يكون بواسطة قول النبي صلى الله تعالى
عليه وآله، أو بطريق الكشف.

فإن كان بواسطة قول النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام فلا معنى لقوله بعد ذلك له
إذا بعثني^(١) إلى آخره.

وإن كان بطريق الكشف فلم علم ذلك، ولم يعلم أن مراد النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم عدم قتله فلا يقول له ذلك.

ولم يعلم أيضاً أنه خصي فلا يخوفه ولا يروعه بغير حق ولا يغضب.

وإن كان لم يعلم فلم يقتله، ويمثل لأمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. هنا تناقضات من جهات لا يمكن توفيقها.

الثالث عشر: أنه لا دليل على أن الآيات الكريمة المذكورة نزلت في حق السيدة مaries (رضي الله تعالى عنها).

بل الدلائل المتعاضدة قائمة على خلافه، كما سيأتي.

الرابع عشر: أنه لا يمكن أن تكون الآيات المذكورة نزلت في حق السيدة مارية لوجوه منها: أن السيدة مارية (رضي الله تعالى عنها) وصلت المدينة بعد نزول الآيات المذكورة لستين⁽³⁾ على ما سيأتي بيانه مع غيره إن شاء الله تعالى.

(١) في بعث على عليه السلام وقد أعطاه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وذلك مما رواه البخاري (٤٢١٠) كتاب المغازي، ٤٠ -
باب غزوة خير، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، فدعا علياً عليه السلام فبعثه ثم قال: "اذهب فقاتل حتى يفتح
الله عليك ولا تلتفت" قيل علي: علام أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن
محمدًا عبد الله ورسوله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحساهم على الله".

(٢) قال الذهبي في حوادث سنة ثمان من الهجرة: بسنده عن حاطب بن أبي بلقة قال: يعني النبي ﷺ إلى المقوس ملك الإسكندرية فججهته بكتاب رسول الله ﷺ فأثرني في منزله، واقمت عنده ثم بعث إلى وقد جمع بطارقته فقال: إني سأكملك بكلام وأحب أن تفهمه مني قلت: نعم، هلم، قال: أخبرني عن صاحبك، أليس هونبي؟ قلت: بلي هو رسول الله، قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث آخر جهوده، قلت، عيسى أليس تشهد أنه رسول الله، فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه إلى السماء الدنيا قال: أنت حكيم جاء من عند حكيم، هذه هدايا أبعث معك إلى، فأهدي ثلاث جوار منهن أم إبراهيم وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي حمّ بن حذيفة العلوي وواحدة وهبها لحسان بن ثابت.

فيما وافق فيه الشيعة أهل السنة من تفسير هذه الآيات الكريمة

وسيأتي في الباب السادس عشر في نقد ما خالف فيه الشيعة أهل السنة^(١) وتحقيقه رد هذا القول من أصله وبيان فساده. إن شاء الله تعالى.

الباب الثامن

فيما وافق فيه الشيعة أهل السنة^(٢)

من تفسير هذه الآيات الكريمة

قال البيضاوي: **«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ»**: بأبلغ ما يكون من الكذب

قال الصافي: بأبلغ ما يكون من الكذب.

البيضاوي: **«عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ»**: جماعة منكم.

الصافي: جماعة منكم.

البيضاوي^(٣): **«بِلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ»**: لاكتسابهم به الثواب العظيم.

الصافي: لاكتسابهم به الثواب العظيم.

البيضاوي: **«لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنِ الْإِثْمِ»**: بقدر ما خاض فيه.

الصافي: بقدر ما خاض فيه.

(١) أهل السنة والجماعة تسکوا بعروة الإسلام وحبل الدين واجتمعوا في أصولهم غير متفرقين، فكانوا هم أهل النجاة، لا الجماعة، يستعملون في الأدلة الشرعية كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة والقياس، ويجمعون بين جميعها في فروع الشريعة، ويحتجون بجميعها وما من فريق من فرق مخالفتهم إلا وهم يردون شيئاً من هذه الأدلة فبان أن أهل السنة والجماعة هم أهل النجاة باستعمالهم جميع أصول الشريعة دون تعطيل شيء منها.

وأهل السنة على أربعة مذاهب هي : المالكية والحنفية والشافعية والحنفية، وكتبهم المعتمدة هي الصحاح ستة وهي: صحيح البخاري، صحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذى، وسنن ابن ماجة، وسنن النسائي.

موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية (ص ٧٥، ٧٦).

(٢) روى عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: **«يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ»** [آل عمران] أن الذين تبيض وجوههم الجماعة، والذين تسود وجوههم هم أهل الأهواء، وأهل الأهواء هم الذين لا يتبعون الكتاب، ويخالفون السنة ويخرجون عن الإجماع، ويفرقون الأمة.

وجميع فرق المخالفين من الشيعة والروافض والخوارج. والقدرية والمرجئة والغلاة وغيرهم كانوا كما وصفهم الله تعالى مفارقين للدين، وأهل السنة والجماعة تسکوا بعروة الإسلام وحبل الدين.

المرجع السابق (ص ٧٥).

(٣) انظر ما تقدم نقاًلاً عن البيضاوي في تفسيره.

البيضاوي: **﴿وَالَّذِي تَوَلَّ كِبِرَةً﴾**: معظمه.
الصافي: معظمه.

البيضاوي **﴿فَتَهُم﴾**: من الخائضين.
الصافي: من الخائضين.

البيضاوي: والمراد ما أفلَكَ به على عائشة^(١) (عليها السلام).

وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات^(٢)، فإذاً ليلة في القفول بالرُّحيل فلمشت لقضاء حاجة، ثم عادت إلى الرُّحيل، فلمست صدرها فإذاً عقدها من جرع ظفار قد انقطع، فرجعت لتلتمسه فظنَّ الذي كان يرْحَلُها أنها دخلت المودج، فرَحَلَها على مطبيها، وسار.

فلما عادت إلى منزلها لم تجد شَهَةً أحداً. فجلست كي يرجع إليها منشد. وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش^(٣) فادفع، فأصبح عند منزلها فناناً راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش، فاتهمت به.

الصافي: وكان سبب الإفك أن عائشة^(عليها السلام) ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، وكانت قد خرجت لقضاء حاجة، فخرجت طالبة له، وحمل هودجها على بعيرها ظناً منها

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٧٥١) كتاب تفسير القرآن، ٧-باب قوله **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمْسَكُمْ فِي مَا أَفْضَمْتُ فِيهِ عَذَابَ عَظِيمٍ﴾**. عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان أم عائشة أنها قالت: "لما رمت عائشة خرت مغشياً عليها".

(٢) قال النووي: مما رواه مسلم [٢٧٧٠-٥٦] كتاب التوبة، ١-باب في حديث الإفك، في قوله "كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أرد سفراً أفرع بين نسائه، فلماين خرج سبها خرج بها رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معها": هذا دليل لمالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات وفي العتق والوصايا والقسمة ونحو ذلك.

شرح مسلم للإمام النووي (١٧-٨٦) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) قال ابن حجر: قوله من وراء الجيش في رواية معاذ، قد عرس من وراء الجيش، وعرس بمهملات مشدداً أي نزل، قال أبو زيد "التعريف النزول في السفر أي وقت كان، وقال عيره: أصله النزول من آخر الليل في السفر للراحة، وقع في حديث ابن عمر بيان سبب تأخر صفوان ولفظه سأله النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعله على الساقية فكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فمن سقط له شيء أثاره به، وفي حديث أبي هريرة وكان صفوان يختلف عن الناس فيصيّب القدح والجراب والأدواء، وفي مرسى مقاتل بن جبان فيحمله فيقدم به فيعرفه في أصحابه.

أنها كانت فيها^(١). فلما عادت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا. وكان صفوان من وراء الجيش، فلما وصل الموضع وعرفها أanax بعيده حتى ركبته وهو يسوقه حتى أتى الجيش وقد نزلوا في قائم الظهيره. قال: كذا رواه الزهري عن عائشة.

وقال القمي: روت العامة أنها نزلت في عائشة وما رميته به في غزوة بنى المصطلق^(٢) من خزاعة.

البيضاوي: **﴿لَوْلَا﴾** هلا.

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: إنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين، والكف عن الطعن فيهم، وذب الطاعنين عنهم، كما يذبون عن أنفسهم.

وقالوا: **﴿هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾**: كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

الصافي: **﴿لَوْلَا﴾** هلا.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

ولهذا عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين^(٣)، والكف عن الطعن فيهم، وذب الطاعنين عنهم، كما يذبون عن أنفسهم.

(١) قال ابن حجر: في لفظ البخاري "فلم يستتر القوم خفة المودج" مرادها إقامة عذرهم في تحمل المودج وهي ليست فيه فكاكها تقول كأنها لحفة جسمها بحيث أن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها وهذا أردف ذلك بقولها وكانت حاربة حدثة السن أي أنها مع تناهتها صغيرة السن، فذلك أبلغ في خفتها، ويستفاد من ذلك أيضاً أن الذين كانوا يرثون بعيدها كانوا في غاية الأدب معها والمبالغة في ترك التتقيق عما في المودج بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظلون أنها فيه وكأنهم جزروا أنها نائمة. فتح الباري (٣٧٠/٨).

(٢) هي غزوة بنى المصطلق صرخ بذلك محمد بن إسحاق في روايته وكذا أفلح بن عبد الله عند الطبراني، وعنه في رواية أبي أويسم فحرج سهم عائشة في غزوة بنى المصطلق من خزاعة، وعند البراز من حديث أبي هريرة فأصابت عائشة القرعة في غزوة بنى المصطلق. فتح الباري (٨٦٢/٨).

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤٧٥٣) كتاب التفسير باب **﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَكُمْ تَتَكَلَّمُ بِهَذَا﴾** الآية. من حديث ابن أبي مليكة قال: "استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت أخشى أن يشي علي: فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: أذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: إن اتفيت، قال: فأنت بخير إن شاء الله تعالى زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلفه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى على ووددت أني كنت نسيًا منسياً".

البيضاوي: **﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بَأْرَبْعَةَ شَهَدَاءَ فَإِذَا كُمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عَنْهُ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾** من جملة القول تقريراً لكونه كذباً، فإن ما لا حجة عليه مكذوب عند الله - أي في حكمه - ولذلك رتب الحد عليه.

الصافي: وهو من جملة القول تقريراً لكونه كذباً، فإن ما لا حجة عليه مكذوب عند الله - أي في حكمه - ولذلك رتب الحد عليه.

وفي أصل الصافي "حاجة" بدلاً من "حججة" كما سلف وهو غلط طبع لعدم معنى حاجة، ولوجود في الأصل، وهو البيضاوي حجة.

البيضاوي: **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾** : لو لا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى لو لا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإيمان للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم^(١).

﴿لَمْسَكُمْ﴾ : عاجلاً.

﴿فِي مَا أَفْضَلْتُمْ فِيهِ﴾ : خضتم فيه.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ : يستحرر دونه اللوم و الجلد^(٢).

الصافي: لو لا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى لو لا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإيمان للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم.

﴿لَمْسَكُمْ﴾ : عاجلاً.

﴿فِي مَا أَفْضَلْتُمْ فِيهِ﴾ : قضيتم فيه.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ : يستحرر دونه اللوم و الجلد، انتهى.

وفي أصل الصافي: إهمال بدل إهمال - كما مر - ولعله غلط طبع، وقضيتم بدل خضتم، وهو مثلها لظهور المعنى، ولو جودها في الأصل، وهو البيضاوي.

(١) انظر البيضاوي في تفسيره (ص ٤٦٤).

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٢٨٢): أي الخائضون في شأن عائشة بأن قبل توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى دار الآخرة **﴿لَمْسَكُمْ فِي مَا أَفْضَلْتُمْ فِيهِ﴾** من قضية الإفك.

(٢) البيضاوي في تفسيره (ص ٤٦٤).

قال ابن كثير (٣/٢٨٢): وهذا في من عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة كمسطح وحسان وحمنة بنت جحش - أخت زينب بنت حميش -، فاما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأخبار به فليس أولئك مرادين في هذه الآية، لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارض، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقاً مشروطاً بعدم التوبة، أو ما يقابلها من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه.

فيما وافق فيه الشيعة أهل السنة من تفسير هذه الآيات الكريمة

البيضاوي: **﴿إِذْ تَلَقَّوْهُمْ بِالسُّتُّرِ﴾**: والمعنى: يأخذه بعضكم عن بعض بالسؤال عنه^(١).

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾^(٢): بلا مساعدة من القلوب.

﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَخْسِبُونَهُ هَيَّنًا﴾: سهلاً لا تبعة فيه.

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾: في الوزر واستجرار العذاب؛ فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم^(٣).

الصافي: يأخذه بعضكم عن بعض بالسؤال عنه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: بلا مساعدة من القلوب.

﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَخْسِبُونَهُ هَيَّنًا﴾: سهلاً.

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾: في الوزر واستجرار العذاب؛ فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم.

البيضاوي: **﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾**^(٤): ما ينبغي لنا وما يصح.

﴿أَنْ تُكَلِّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾: تعجب من يقول ذلك، وأصله أن يذكر عند كل

متعجب تنزيهها الله تعالى من أن يصعب عليه، ثم قال: أو تنزيهها الله تعالى من أن تكون حرمة

نبأه^(٥) فاجرة، فإن فجورها ينفر عنه، ثم قال: بخلاف كفرها.

(١) وزاد البيضاوي: يقال: تلقى القول وتلقفه وتلقونه، وقرئ تلقونه على الأصل، وتلقونه من لقى الفقه، وتلقونه بكسر حرف المضارعة، وتلقونه من القائم بعضهم على بعض، وتلقونه وتلقونه من الواق والأقل وهو الكذب، وتلقونه من تتفقته إذا طلبه فوجده، وتلقونه أي تبعون أثره.

تفسير البيضاوي (ص ٤٦٤)

(٢) أي تقولون كلاماً مختصاً بالأنفواه بلا مساعدة من القلوب، **﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾**: لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم، كقوله يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

تفسير البيضاوي (ص ٤٦٤).

(٣) البيضاوي في تفسيره (ص ٤٦٤).

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٢٨٣/٣): أي ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد **﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾** أي سبحانه الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله وحليله خليله، ثم قال تعالى: **﴿يَعْظُمُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعْوُذُوا لِمَلَكِ أَبْدًا﴾** أي ينهاكم الله متوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا أبداً، أي: فيما يستقبل؛ وهذا قال: **﴿إِنْ كُتُّشَ مُؤْمِنِينَ﴾**.

(٥) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٤٣-٥١٨) قصة حادث الإفك وفيه: فقام رسول الله ﷺ في الناس فخطبهم فقال: أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت عليهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت عليه إلا خيراً، ولا يدخل بيتي من بيتي إلا وهو معي".

﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾: لعظمة المبهوت عليه.

الصافي: ما ينبغي وما يصح لنا.

﴿أَن تَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾: تعجب من أن يصعب عليه، أو تزية الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة، فإن فجورها تغير عنه، بخلاف كفرها.

﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾: لعظمة المبهوت عليه.

البيضاوي^(١): ﴿يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمُثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
فإن الإيمان يمنع عنه، وفيه تهسيج وتقرير. انتهى.

وفسر قوله تعالى: ﴿يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمُثْلِهِ أَبَدًا﴾ الصافي: فإن الإيمان يمنع عنه، وفيه تهسيج وتقرير.

البيضاوي: ﴿وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: الدالة على الشرائع، ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتأدبوا^(٢).

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالأحوال كلها، ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدابيره.

الصافي: نص العبارة ذاتها.

البيضاوي^(٣): ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُهُ﴾: تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة.

الصافي: تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة^(٤).

(١) في تفسير البيضاوي (ص ٤٦٥): ﴿يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمُثْلِهِ﴾: كراهة أن تعودوا لمثله أو في أن تعودوا، **أبَدًا**: ما دمتم أحياء مكفين. **إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**: فإن الإيمان يمنع عنه، وفيه تهسيج وتقرير.

(٢) تفسير البيضاوي (ص ٤٦٥)، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٣-٤/٥١٩)، وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه:

وَحْمَنَةٌ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمَسَطَّح
وَسَخْطَهُ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَتَرْحَوْا
مَخَازِي تَبَقَّى عَمَّوْهَا وَفَضَّحَوْا
شَأْيَبَ قَطْرَرَ فِي ذِرَّا الْمَزْنَ تَسْفَحُ

لَقَدْ ذَاقَ حَسَانَ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ
تَعْطُوا بِرْجَمَ الْغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ
وَآذَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِيْهَا فَجَلَّلُوا
وَصَبَّتْ عَلَيْهِمْ مَحْصَدَاتَ كَانُوا

(٣) انظر تفسير البيضاوي (ص ٤٦٥).

(٤) قال القرطبي (١٢/٢٠١): حد حسان وأصحابه بالجلد وفي ذلك قال الشاعر من المسلمين:
لَقَدْ ذَاقَ حَسَانَ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ وَحْمَنَةٌ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمَسَطَّح

فيما وافق فيه الشيعة أهل السنة من تفسير هذه الآيات الكريمة

وتحذف الجواب للاستغناء عنه بذكره مرة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث لم يعجلكم بالعقوبة.

وهي اصل الصافي: عظيم عوض عظم كما سبق.

البيضاوي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾: بإشاعة الفاحشة.

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِلَهُهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١): بيان لعلة النبي عن اتباعه، والفحشاء: ما أفرط في قبحه، والمنكر: ما أنكره الشرع.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بتوفيق التوبة الماحية للذنوب، وشرع الحدود المكفرة لها.

﴿مَا زَكَا﴾: ما ظهر من دنسها.

﴿مِنْكُمْ مَنْ أَحَدَ أَبَدًا﴾: آخر الدهر.

﴿وَلَكُنَّ اللَّهُ يُرِكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾: بحمله على التوبة وقوتها.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لمقاتلتهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهم.

الصافي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾: بإشاعة الفاحشة.

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِلَهُهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢): و الفحشاء: ما أفرط

فيه، والمنكر: ما أنكره الشرع.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بتوفيق التوبة الماحية للذنوب، وشرع الحدود المكفرة لها.

﴿مَا زَكَا﴾: ما ظهر من دنسها.

وابن سلول ذات في السجد خزية
كما حاض في إفك من القول يفصح
عطوا برجسم الغيب زوج نبيهم وسخطه ذي العرش الكريم فأنزحوا

(١) هذا تغير وتحذير من ذلك بأقصى عباره وأبلغها وأوجزها وأحسنتها، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾: عمله، وقال عكرمة: نزاعاته، وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان، وقال أبو مجلز: النذور في المعاصي من خطوات الشيطان، وقال مسروق: سأله رجل ابن مسعود فقال: إني حرمت أن أكل طعاماً وسماه فقال: هذا من نزعات الشيطان، كفر يمينك وكل. تفسير ابن كثير (٣/٢٨٤).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (ص ٤٦٥).

﴿منْكُمْ مَنْ أَحَدَ أَبَدًا﴾^(١): آخر الدهر.

﴿وَلَكُنَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾: بحمله على التوبة وقبوتها.

﴿وَاللَّهُ سَمِيع﴾: لمقالتهم، ﴿عَلِيهِم﴾: بنياتهم. انتهى.

وقد زاد "في" قبل "قبحه"، و"الواو" قبل "الماحية" على البيضاوي، ولعله غلط طبع، لأن العطف يقتضي المعايرة والقصد، إنما هو وصف التوبة بالمحو؛ فليحرر.

البيضاوي: ﴿وَلَا يَأْتُل﴾^(٢) ولا يحلف افتعال من الألية، أو ولا يقصر، من الألو. و يؤيد الأول أنه قرئ: ﴿وَلَا يَتَأَل﴾ وأنه نزل في أبي بكر، وقد حلف ألا ينفق على مسطح بعد، وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين.

﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾^(٣): في الدين.

﴿وَالسَّعَةِ﴾: في المال.

الصافي: ولا يحلف من الألية على وزن فعلية بمعنى اليمين، أو ولا يقصر من الألو.

﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾: الغنى، ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾: في المال.

﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في الجوامع: قيل نزلت في جماعة من الصحابة حلفوا ألا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك، ولا يواسوهم. انتهى.

وفي هذه الآية مخالفة بتفسير الفضل بالغنى يأتي بيانه إن شاء الله تعالى^(٤).

(١) أي لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا.

﴿وَلَكُنَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾: أي من خلقه، ويصل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغي، وقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيع﴾: أي سميع لأقوال عباده، ﴿عَلِيهِم﴾: من يستحق منهم الهدى والضلال. تفسير ابن كثير (٢٨٤/٣).

(٢) قال ابن حجر: في قوله: "فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بِرَاعِتِي قَالَ أَبِي بَكْرٍ" يؤخذ منه مشروعية ترك المواجهة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجود إلا أن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه. انظر: فتح الباري (٣٨٧/٨).

(٣) هذه الآية نزلت في الصديق عليه السلام حين حلف ألا ينفع مسطح ابن أئتها بنافعة أبداً بعدما قال في عائشة ما قال. فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيمت عليه؛ شرع تبارك وتعالى ولو الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبه ونبيه وهو مسطح بن أئتها. تفسير ابن كثير (٢٨٤/٣).

(٤) وتقديم من تفسير ابن كثير.

فيما وافق فيه الشيعة أهل السنة من تفسير هذه الآيات الكريمة

البيضاوي: **«إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ»**: مما قذف به.
«الْمُؤْمِنَاتِ»: بالله وبرسوله^(١).

«لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»: كما طعنوا فيهن.

«وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»: لعظم ذنوبهم.

الصافي: **«إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ»**: مما قذف به.

«الْمُؤْمِنَاتِ»: بالله ورسوله.

«لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»: كما طعنوا فيهن.

«وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»: لعظم ذنوبهم.

البيضاوي: **«يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ»**.

ثم قال: وقرأ حمزة والكسائي^(٢) «بالياء» للتقدم والفصل.

«السِّتْهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»: يعترفون بها بإطلاق الله إليها بغير اختيارهم.

الصافي: وقرئ بالياء **«السِّتْهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»**^(٣): بإطلاق الله إليها بغير اختيارهم.

البيضاوي: **«يَوْمَئِذٍ يُوقَيْهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ»**: جراءهم المستحق.

(١) قال العوفي عن ابن عباس في الآية: **«إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»** الآية يعني أزواج النبي ﷺ رماهن أهل التفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباعوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي ﷺ.

(٢) الكسائي هو علي بن حمزة بن عبد الله بن همأن بن فิروز، مولىبنيأسد أبوالحسن الأحدى الكوفي الكسائي، شيخ القراء والنحو، نزل بغداد وأدب الرشيد، ثم ولده الأمين، قرأ القرآن على حمزة الزيارات أربع مرات، وقرأ أيضاً على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عرضاً.

وروى عن جعفر الصادق، والأعمش وسليمان ابن أرقم وأبي بكر بن عباس واختار لنفسه قراءة صارت إحدى القراءات السبع وتعلم النحو على كبر سنه، وخرج إلى البصرة وجالس الخليل، توفي سنة (١٩٨).

تاریخ الإسلام (وفیات ١٨١-١٩٠).

(٣) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنهم يعني المشركين – إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نجحد فيجحدون فيختتم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثاً. تفسير ابن كثير (٣/٢٨٦).

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: لمعايتهم الأمر.

﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾. ثم قال: أو ذو الحق البين، أي العادل الظاهر عدله.

الصافي: جزاءهم. ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: لمعايتهم الأمر.

﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾: العادل الظاهر عدله.

البيضاوي: ﴿الْخَبِيَّاتُ لِلْخَبِيْشِينَ وَالْخَبِيْشُونَ لِلْخَبِيَّاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلْطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلْطَّيِّبَاتِ﴾ أي الخبائث يتزوجن الخباث، وبالعكس^(١).

وكذلك أهل الطيب، فيكون كالدليل على قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾: يعني أهل بيت النبي ﷺ، الرسول وعائشة وصفوان^(٢).

﴿مُبَرَّوْنَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: إذ لو صدق لم تكن زوجته، ولم يقرر عليه.

وقيل: الخبائث والطيبات من الأقوال، والإشارة إلى الطيبين.

والضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ للأفکين - أي مبرأون مما يقولون فيهم، أو للخبائث والخبشين - أي مبرأون من أن يقولوا مثل قولهم^(٣).

الصافي: في الجمع عنها الخبائث من النساء للخبشين من الرجال، والخبشون من الرجال للخبائث من النساء، الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء.

قال: هي مثل ﴿الْزَانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ إلا أن ناساً لبقو أن يتزوجوا منهن، فنهاهم عن ذلك، وكره ذلك لهم.

(١) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الخبائث من النساء للخبشين من الرجال، والخبشون من الرجال للخبشات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وهذا أيضاً يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة رسول الله ﷺ وعلى الله وسلم إلا وهي طيبة لأنها أطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعاً ولا قدرأً. المرجع السابق (٢٨٦/٣).

(٢) قال النبوي كان صفوان على ساقط النبي ﷺ - أي هم الذين يسيرون خلف الجيش في الحرب لحماية خلفية الجيش - وكان شاعراً، ويدل ما قاله النبوي قوله لحسان بن ثابت حين ضربه بالسيف بعد ما أكثر عليه في حادث الإفك فقايله صفوان وضربه وقال:

غلام إذا هوجيت لست بشاعر

تلق ذباب السيوف عنك فإنني

انظر تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠).

(٣) انظر تفسير البيضاوي (ص ٤٦٦).

فيما خالف فيه أهل التشيع أهل السنة من تفسير هذه الآيات الكريمة

وقيل: الخيبات والطيبات من الأقوال والكلم والعمل، للخيبتين من الرجال والنساء يسلمونهم ويصدق عليهم من قال.

والطيبون من الرجال والنساء للطيبات من الكلام والعمل.

ثم قال: **﴿أولئك﴾**: يعني الطيبين والطيبات على الأول، والطيبين على الأخير. **﴿مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾**^(١) فيهم، أو عن أن يقولوا مثل قولهم.

الباب التاسع

فيما خالف فيه أهل التشيع أهل السنة من تفسير هذه الآيات الكريمة

وهي خمس مسائل:

المسألة الأولى: قال البيضاوي: استصحبها في بعض الغزوات.

الصافي: في غزوة بنى المصططلق^(٢).

المسألة الثانية: البيضاوي: المراد ما أفك به على عائشة، وقدمنا أن الإمام الرازى، وكذا وغيره.

قال: والجمع عليه المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة.

الصافي: عن القمي: وأما الخاصة فإنهم رروا أنها نزلت في مarie القبطية^(٣) وما رمتها به عائشة.

(١) أي هم بعدهما عما يقوله أهل الإلحاد والعدوان **﴿لَهُمْ مَفْرَةٌ﴾**: أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب، **﴿وَرَزْقٌ كَرِيمٌ﴾**: أي عند الله في جنات النعيم، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة.

المرجع السابق (٢٨٦/٣).

(٢) كانت في شعبان سنة خمس على الصحيح، بل المجزوم به، قال الواقدي: استخلف النبي ﷺ على المدينة زيد بن حارثة، فحدثني شعيب بن عبد الله عن المسور بن رفاعة قال: خرج رسول الله ﷺ في سمعانة، وعن عبد الله بن أبي بكر قال: خرج رسول الله ﷺ وببلغه أن بنى المصططلق يجتمعون له، وقادهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية أم المؤمنين، فسار النبي ﷺ حتى نزل المريسيع - ماء من مياههم - فأعدوا لرسول الله ﷺ فتزاحف الناس فاقتتلوا، فهرم رسول الله ﷺ بنى المصططلق وقتل من قتل منهم ونقل نسائهم وأبنائهم وأموالهم وأقام عليهم من ناحية قديد والساحل. تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة (٥).

(٣) قال الذهبي: أهدأها المقوقس إلى النبي ﷺ سنة ثمان، وهي أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وعاشر إبراهيم عليه السلام عشرين شهراً، وقد توفيت سنة ست عشرة، وصلى عليها عمر، ودفنت بالبيع في الحرم. تاريخ الإسلام وفيات سنة (٦).

ثم روي عن الباقر قال: لما هلك إبراهيم بن رسول الله ﷺ حزن عليه حزناً شديداً^(١). قالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريج، فبعث رسول الله ﷺ عليه، وأمر بقتله. فذهب على ومعه السيف. وكان جريج القبطي^(٢) في حائط، فضرب على على باب البستان. فوثب على على الحائط ونزل إلى البستان، وأتبعه ولوي جريج مدبراً. فلما خشى أن يرهقه صعد في نخلة، وصعد على في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، وبدت عورته، فإذا هو ليس له ما للرجال، ولا له ما للنساء، فانصرف على إلى النبي ﷺ، فقال له: يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار الحمي في الوبر، أمضى على ذلك أم أثبتت؟ قال: لا بل ثبت. قال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال، وما له ما للنساء. فقال: "الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت".

وهذه الرواية أوردها القمي بعبارة أخرى في سورة الحجرات، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقُّ بَنِيَّ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٣).

وزاد: فأتى به رسول الله ﷺ، فقال له: "ما شأنك يا جريج؟" فقال: يا رسول الله إن القبط^(٤) يحمون حشمتهم، ومن يدخل إلى أهاليهم، والقبطيون لا يأنسون إلا بالقبطين،

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٢٥-٢٣٥] كتاب الفضائل، ١٥-باب رحمته ﷺ الصبيان والعياش وفضل ذلك، عن أنس بن مالك وفيه: قال رسول الله ﷺ: "ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم" ثم دفعه إلى أم سيف. امرأة قين يقال لها أبو سيف . وهي آخره فقال أنس لـ رأيتهـ أي إبراهيمـ وهو يوجد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: "تدمع العين ويحزن القلب، ولا تقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بلك مخرونون".

(٢) لم يورد الذهبي في تاريخ الإسلام ذكر إهداء المقوس هذا العبد للنبي ﷺ بل ذكر من طريقين إلدهائه بغلة وكسوة وجاريتين إحداهما أم إبراهيم والأخرى وهبها النبي لجهم بن قتم العبدى فهي أم زكريا بن جهم خليفة عمرو بن العاص على مصر وفي القصة الأخرى: أهدي ثالث جواري منهن أم إبراهيم وواحدة وهبها لأبي جهم بن حذيفة العدوى وواحدة لحسان بن ثابت.

انظر مختصرًا من تاريخ الإسلام حوادث سنة (٨).

(٣) [سورة الحجرات ٦]، وفيه: يأمر الله تعالى بالثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخططاً فيكون الحاكم بقوله قد اتفقى وراءه وقد نهى الله تعالى عن اتباع سبيل المفسدين ومن هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجھول الحال لاحتمال فسقه. تفسير ابن كثير (٤) ٢٠٨/٤).

(٤) قال الذهبي في فتح مصر: عن عمرو بن العاص أنه قال على المنبر: لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر على عهد ولا عقد، إن شئت قلت، وإن شئت بعت، وإن شئت خمست إلا أهل أنطابليس فإن لهم عهداً نفي به.

فبعشني أبوها لأدخل إليها، وأخدمها وأونسها.

أقول: إن صح هذا الخبر، فلعله إنما بعث علينا إلى جريج ليظهر الحق، ويصرف السوء، وقد كان علم أنه لا يقتله، ولم يكن يأمر بقتله بمجرد قول عائشة. يدل على هذا ما رواه القمي في سورة الحجرات عن الصادق ^(١) أنه سُئل: كأن رسول الله أمر بقتل القبطي، وقد علم أنها قد كذبت عليه، أو لم يعلم، أو إنما دفع الله عن القبطي القتل بثنيت علي؟ فقال: بل قد كان والله علم، ولو كانت عزيمة من رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القتل ما رجع على حتى يقتله، ولكن إنما فعل رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لترجع عن ذنبها، فما رجعت، ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم ^(٢).

المسألة الثالثة: وتتضمن مسألة أخرى وهي، الرابعة.

البيضاوي: **«ولا يأْتِي»**: ولا يحلف افتعال من الألية، أو لا يقصر من الألو. ويؤيد الأول أنه قرئ **«ولا يأْتِي»** وأنه أنزل في أبي بكر.

وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد، وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين.

﴿أولو الفضل منكم﴾: في الدين، ﴿والسعة﴾: في المال⁽³⁾.

وفيه دليل على فضل أبي بكر ⁽⁴⁾ تعظيمه وشرفه.

وعن علي بن رباح قال: المغرب كله عنوة . وعن ابن عمر قال: افتتحت مصر بغیر عهد ، وكذا قال جماعة . وقال يزيد بن أبي حبيب: مصر كلها صلح إلا الأسكندرية .
تاریخ الإسلام حوادث سنة (٢٠).

(١) جعفر الصادق هو ابن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام العلم، أبو عبد الله الحاشر العلوي المدني، وهو سبط القاسم بن محمد، فإن أمه هي أم فروة ابنة القاسم، وأمهات أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان جعفر يقول : ولدني الصديق مرتين . وكان مولده سنة (٨٠)، ووفاته يحيى بن معين والشافعي وجماعة، وتوفي سنة (١٤٨).

انظر: تاريخ الإسلام وفيات (١٤١-١٥٠).

(٢) كيف هذا و هي الصديقة التية!، فقد روى الذهبي قال: عن شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: أن عائشة كانت تصوم الدهر.

وعن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: وددت أني إذا مت كنت نسياناً.

وعن مسعد بن حماد بن إبراهيم قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة . ولها حظ وافر من الفصاحة والبلاغة مع ما لها من مناقب . تاريخ الإسلام وفيات (٦٠-٥١).

(٣) انظر: ما تقدم من تفسير هذه الآيات . من ابن كثير.

(٤) في خلافة أبي بكر قال يزيد بن هارون: أن العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي قال: لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة فقال: أبسط يدك لا يأبعك، فإنك أمني هذه الأمة على لسان رسول

«أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفُحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

ثم قال: روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر فقال: بل أحب. ورجع إلى مسطح نفقةه.

الصافي: **أولو الفضل**: الغنى، هذه هي المسألة الرابعة - أعني تقسيم الفضل بالغنى -، **منكم والسعنة**: في المال.

﴿أَن يُؤْتُوا أُولَئِكُمْ الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قيل: نزلت في جماعة من الصحابة، حلفوا ألا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك، ولا يواسوهم.

﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفُحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال القمي عن الباقر ^(١): أولي القرى هم قرابة رسول الله ﷺ، يقول يغفو بعضكم عن بعض، ويصفح بعضكم بعضاً.

فإذا فلتم كات رحمة من الله لكم، يقول الله: **﴿أَلَا تُحِبُّونَ... الْآيَة﴾**.

وفي الجمع: عن النبي ﷺ **﴿ولتغفو ولتصفحوا﴾** بالباء كما روی بالباء أيضاً.

وفي المناقب ما سبق عند تفسير **«ولَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ»** من سورة المؤمنون،
انس

وهذا ما أورده فيها، ونصه **وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطَقُ بِالْحَقِّ**^(٢): بالصدق لا يوجد فيه ما

وعن ابن سيرين قال أبو بكر لعمر: أبسط يدك نباع لك. فقال عمر: أنت أفضل مني، فقال أبو بكر: أنت أقوى منه، قال: إن قوتي لك مع فضلك. تاريخ الإسلام حوادث سنة (١١)

(١) أبو جعفر الباقر هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الماشي العلوي، سيد بنى هاشم في زمانه، روى عن جديه الحسن والحسين، وعن عائشة وأم سلمة وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وجابر، وسمة بن جندب وغيرهم.

وهو أحد الاثنين عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، ولا عصمة إلا لبني، توفي سنة (١١٤) وقيل (١١٧) هـ وله أخوة أشراف: زيد الذي صلب، وعمر، وحسين، وعبد الله بنو زين العابدين رحمة الله عليهم.

انظر تاريخ الإسلام وفيات (١١١-١٢٠).

(٢) (سورة المؤمنون /٦٢). ونص الآية: «وَلَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِيْنَا كِتَابٌ يَنْطَقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا

يختلف الواقع.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بزيادة عقاب أو نقصان ثواب.

مطلوب عن سيدنا زيد العابدين^(١)

في المناقب عن السجاد أنه كان إذا دخل شهر رمضان يكتب على غلمانه ذنوبهم، حتى إذا كان آخر ليلة دعاهم، ثم أظهر الكتاب وقال: يا فلان فعلت كذا وكذا، أوريك فيقرون أجمع، فيقوم في وسطهم ويقول: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين^(٢) ربك قد أحصى عليك ما عملت كما أحصيت علينا، ولديه كتاب ينطق بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فاذكر ذل مقامك بين يدي رب الذي لا يظلم مثقال ذرة، وكفى بالله شهيداً، فاعف واصفح يعف عنك الملك، لقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفُحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَعْفِرَ اللَّهُ﴾، ويذكر وينوح.

﴿يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرا عن عده في شرعه على عباده في الدنيا أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها أى إلا ما تطيق حمله والقيام به وأنه يوم القيمة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء ولهذا قال: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطَقُ بِالْحَقِّ﴾ يعني: كتاب الأعمال، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يخسرون من الخير شيئاً، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين.

تفسير ابن كثير^(٣) (٢٥٦).

(١) علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، أبو الحسن، أبو محمد، أبو عبد الله، الماشي المذني، زين العابدين القرشي، الأكبر . ثقة، عابد، ثبت، فقيه، فاضل، مشهور . أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٠٠، ٩٤، ٩٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٣٠٤/٧)، تقريب التهذيب (٣٥/٢)، الكاشف (٢٨٢/٢)، التاريخ الكبير للبخاري (٢٦٦/٦)، الجرح والتعديل (٩٧٧/٦)، حلية الأولياء (١٣٣/٣)، سير الأعلام (٣٨٦/٤)، نسيم الرياض (٤٧٢/٣)، ثقات (٥/٥)، تراجم الأنجصار (٣/١٥٩).

(٢) قال عيينة: حج علي بن الحسين، فلما أحرم أصفر لونه وانتقض وقع عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: مالك لا تلبي؟ قال: أحشى أن أقول لبيك، فيقال لي: لا لبيك فلما لبي غشي عليه وسقط من راحلته، ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجته.

وقال مالك: أحرم علي بن الحسين فلما أراد أن يقول لبيك أغمي عليه حتى سقط من ناقته، فهشم ولقد بلغني أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، قال: وكان يسمى بالمدينة: زين العابدين لعبادته. تاريخ الإسلام وفيات (٩١-١٠٠).

والسجاد هو سيدنا على زين العابدين^(١) (رضي الله تعالى عنه)، وعن جميع أهل البيت الكرام. وسي سجادة لكررة سجوده، كما أنه سمي زين العابدين لكررة عبادته^(٢).

المسألة الخامسة: البيضاوي: **﴿أولئك﴾**: يعني أهل بيت النبي ﷺ، أو الرسول وعائشة وصفوان.

﴿مُبَرُّوْنَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: إذاً لو صدق لم تكن زوجته، ولم يقرر عليه. وقيل: الخبيثات والطبيات من الأقوال، والإشارة إلى الطيبين، والضمير في **﴿يَقُولُونَ﴾**: للأفکين، أي **﴿مُبَرُّوْنَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾** فيهم.

أو للخبيثين والخبيثات أي: مُبَرُّوْنَ من أن يقولوا مثل قولهم. الصافي: **﴿أولئك﴾**: يعني الطيبين والطبيات على الأول، والطيبين على الأخير^(٣). انتهى. أقول والأخير في كلاً ما هو سيدنا على بن أبي طالب^(٤) (رضي الله تعالى عنه وأصحابه وشيعته) على ما نقله عن الاحتجاج عن الحسن المجتبى عليه السلام.

وقد علمت رده وما يلزم عليه على تقدير صحته.

(١) حضر علي بن الحسين مصرع والده الحسين الشهيد بكرباء، وقدم إلى دمشق.

وقال الزهري: ما رأي قريشاً أفضل من علي بن الحسين، وكان مع أبيه يوم قتل أبوه وله ثلاث وعشرون سنة، وهو مريض، فقال عمر بن سعد بن أبي وقاص: لا تعرضوا لهذا المريض. قال: وكان على من أحسن أهل بيته طاعة وأحبهم إلى مروان وإلى عبد الملك. قلت: وليس للحسين عليه السلام عقب إلا من زين العابدين، وأمّه أمّة، وقال سعيد بن المسيب ما رأيت رجلاً أورع من علي بن الحسين.

المرجع السابق.

(٢) كان بين حسن بن حسن، وعلي بن الحسين شيء، فجاء حسن فما ترك شيئاً إلا قاله، وعلي ساكت، فذهب حسن فلما كان الليل أتاه علي، فقرع بابه فخرج إليه، قال له: يا ابن عم إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، والسلام عليك، فالتزمه حسن وبكي حتى رثى له.

وقال أبو حمزة الشمالي: إن علي بن الحسين كان يحمل الخيز على ظهره بالليل يتبع به المساكين في ظلمة الليل، ويقول: إن الصدقة في ظلمة الليل تطفئ غضب الرب.

المرجع السابق.

(٣) يقصد سيدنا علي بن أبي طالب وأصحابه وشيعته على ما نقله من كلام الحسن بن علي بن أبي طالب على حد قوله، وقد تقدم.

(٤) قال ابن الجزر في مناقب علي بن أبي طالب: من أنواع العلوم وجميع المحسن وكرم الشمائل من الحديث والقرآن والفقه، والقضاء، والتصوف، والشجاعة، والولادة، والكرم، والزهد، والورع، وحسن الخلق، والعقل والقوى، وإصابة الرأى، فلذلك أجمعت القلوب السليمة على مجده والفطرة السليمة على سلوك طريقة، فكان جه علام السعادة والإيمان، وبغضه محض الشقاء والنفاق والخذلان.

انظر: مناقب الأسد الغالب على بن أبي طالب (ص ٨٧).

الباب العاشر

فيما رواه أهل الحديث من قصة الإفك

روى إمام أهل الحديث، وسلطان أهل الرواية في القديم وفي الحديث، سيدنا وقدوتنا "أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري" ^(١) قدس الله تعالى سره المبين، ونفعنا به "آمين".

في صحيحه الجمع على تصحیحه، وأنه أصح كتاب بعد الكتاب المبين عند عامة العلماء المتقدمين ^(٢) منهم والمتاخرین، عن يحيى بن بکیر ^(٣) قال: حدثنا الليث ^(٤)، عن يونس، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبیر، وسعید بن المسیب ^(٥)، وعلقمة بن وقارص، وعیید

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برذریه بن الأخفیف أبو عبد الله الجعفی البخاری، جبل الحفظ، إمام الدنيا، صاحب الصحيح والتصانیف، حفظ تصانیف ابن المبارك، وحجب إلیه العلم من الصغر، وأعلنه عليه ذکاؤه المفترط، أخرج له: الترمذی والنسائی، وتوفي سنة (٢٥٦).

ترجمته: تهذیب التهذیب (٤٧/٩)، وتقربی التهذیب (٤٤/٢)، الكاشف (١٩/٣)، الجرح والتعديل (١٩١/٧)، نسیم الریاض (١٤٦/١)، الثقات (١١٣/٩)، الوافی باللوفیات (٢٠٦/٢)، المحدث المفصل (٢٠٧)، تاریخ بغداد (٤/٢).

(٢) قال ابن عدی: بسنده أن البخاری قال: احفظ مائة ألف حديث صحيح، واحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح، وقال إمام الأئمة ابن حزمیة: ما رأیت تحت أدم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعیل البخاری.

تاریخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٥١-٢٦٠).

(٣) يحيى بن عبد الله بن بکیر، أبو زکریا القرشی المخزومی، مولاهم المصري الحافظ، ثقة في الليث وتکلموا في سماعه من مالک، أخرج له: البخاری ومسلم وابن ماجة، توفي سنة (٢٣١).

ترجمته: تهذیب التهذیب (٢٢٧/١١)، تقربی التهذیب (٣٥١/٢)، الكاشف (٢٦٠/٣)، تاريخ البخاری الكبير (٢٨٥/٨)، الجرح والتعديل (٦٨٢/٩)، میزان الإعتدال (٣٩١/٤)، لسان المیزان (٤٣٤/٧)، الثقات (٦١٢/١٠)، سیر الأعلام (٢٦٢/٩)، السعین (١٠٢٩).

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو عقبة، الفهمی، الإمام، المصري، الفقیه، ثقة، ثبت، فقیه مشهور، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٧٥)، ترجمته: تهذیب التهذیب (٨/٤٥٩)، تقربی التهذیب (١٣٨/٢)، الكاشف (١٢/٣)، تاريخ البخاری الكبير (٢٤٦/٧)، الجرح والتعديل (١٠١٥/٧)، لسان المیزان (٣٤٧/٧)، سیر الأعلام (١٣٦/٨)، الثقات (٣٦/٧)، تراجم الأبحار (٣٠٧/٣)، تاریخ بغداد (١٣/٣)، نسیم الریاض (١٢٧/٢)، البداية والنهاية (١٦٦/١٠)، معرفة الثقات (١٥٦٥).

(٥) سعید بن المسیب بن حزم بن أبي وهب بن عائذ، أبو محمد القرشی المخزومی العائذی المدینی، قال ابن المدینی: لا أعلم في التابعين أوسع علماء، وقال ابن حجر اتفقوا على أن مراسلته أصح المراسیل، وقد أخرج له: أصحاب الكتب الستة توفي سنة (٩٤/١٠٠)، ترجمته: تهذیب التهذیب (٤/٤).

الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود^(١)، عن حديث عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبراها الله مما قالوا.

وكل حديثي طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، وإن كان بعضهم أو عى له من بعض، الذي حديثي عروة عن عائشة، أن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأتيتهن خرج سهمنا خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاه^(٢) فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه تلك، فقفل، ودوننا من المدينة قافلين^(٣) آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع أظفار^(٤) قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسي ابتغاوه، وأقبل الرهط الذين

(٨٤)، تقريب التهذيب (١/٦٠٣، ٣٠٥)، الكاشف (١/٣٧٢)، الثقات (٤/٢٧٣)، التاريخ الكبير (٣٧٢/١)، الجرح والتعديل (٤/٢٦٢، ٣/٥١٠).

(١) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله، المزلي، الملنوي، الأعمش، الأعمى، ثقة، فقيه، ثبت، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٨، ٩٩، ٩٤)، ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/٢٣)، تقريب التهذيب (١/٥٣٥)، الكاشف (٢/٢٢)، التاريخ الكبير (٥/٣٨٥)، التاريخ الصغير (١/٢)، الجرح والتعديل (٥/١٥١)، الثقات (٥/٦٣)، سير الأعلام (٤٧٥/٤)، البداية والنهاية (٩/٧٧).

(٢) قال ابن عبد البر في "الدرر في اختصار المغارزي والسير" (ص ١٨٨): أغار رسول الله ﷺ علىبني المصطلق وهم غارون - أي: غافلون - وهم على ماء يقال له: المرسيع من ناحية قدید مما يلي الساحل، فقتل من قتل منهم وسي النساء والذرية، ومن ذلك السبي جويرية بنت الحارث - أم المؤمنين - فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكتابها، فأدى عنها رسول الله ﷺ، فأعتقها وتزوجها، فأعتق المسلمين كل ما بأيديهم من سبي بني المصطلق وقلوا أصهار رسول الله ﷺ، وأسلم سائر بني المصطلق.

(٣) قال ابن حجر في الفتح: قوله "فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه" وفي رواية ابن إسحاق فكنت إذا حلوا بعيري جلست في هودجي ثم يأخذنون بأسفل المودج فيضعون على ظهر البعير، يركب عليه النساء ليكون أستر لهن. ووقع في رواية ابن أويس بلفظ المحفة.

وقوله: "فسرنا حتى إذا فرغ" كذا اقتصرت القصة لأن مراد سياق قصة الإفك خاصة. وقوله: "وقفل" أي رجع من الغزوة، وقوله "دوننا من المدينة قافلين" أي راجعين، أي أن قصتها وقعت حال رجوعهم من الغزوة قرب دخولهم المدينة. انظر: فتح الباري (٨/٣٦٨).

(٤) قال ابن حجر: "قوله جزع أظفار" كذا في هذه الرواية أظفار بزيادة ألف وكذا في رواية فليح لكن في رواية الكشميبي من طريقه ظفار وكذا في رواية عمر وصالح، وقال ابن بطال: الرواية أظفار بالف

كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبته وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يقلن اللحم، إنما تأكل العلقة^(١) من الطعام؛ فلم يستتر القوم خفة الهودج حيث رفعوه، وكانت جارية حديثة السن، فبعثوا الحمل وساروا، فوجدت عقدي عندما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأممت منزلي الذي كنت به، وظلت أهتم سيفقدوني فيرجعون إلي، بينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت^(٢)، وكان صفوان بن المعطل السلمي، ثم الذكوانى من وراء الجيش، فأدخلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فحمدت وجهي بجلبى، والله ما كلامنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه^(٣)، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي

وأهل اللغة لا يعرفونه بـألف ويقولون ظفار قال ابن قتيبة: جزع ظفارى، وقال القرطبي: وقع في بعض روایات مسلم أظفار وهي خطأ، قلت: لكنها في أكثر روایات أصحاب الرهري حتى أن في رواية صالح ابن أبي الأخضر عند الطبراني جزع الأظفار، فاما ظفار بفتح الطاء المعجمة ثم فاء بعدها راء مبنية على الكسر فهي مدينة باليمن. الفتح (٣٦٩/٨).

(١) قوله: "العلقة" بضم العين المهملة وسكون اللام، ثم قاف أي: القليل، قال القرطبي: كان المراد الشيء القليل الذي يسكن الرمق، كذا قال الخليل، العلقة ما فيه بلعة من الطعام إلى وقت الغذاء، حكاه ابن بطال قال وأصلها شجر يقى في الشتاء تبلغ به الإبل حتى يدخل زمن الربيع.

وفي قوله: "فلم يستتر القوم خفة الهودج" كأنها تقول كأنها لخفة جسمها بحيث أن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها ولهذا أردفت ذلك بقولها وكانت جارية حديثة السن، أي أنها مع نحافتها صغيرة السن فذلك أبلغ في خفتها.

الفتح (٣٧٠/٨).

(٢) قوله: "فيينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت" : يحتمل أن سبب النوم شدة الغم التي حصل لها في تلك الحالة ومن شأن الغم وهو وقوع ما يكره غلبة النوم بخلاف المم وهو توقع ما يكره فإنه يقتضي السهر، أو لما وقع من برد السحر لها، مع رطوبة جسدها وصغر سنها، وعن ابن إسحاق فتلفت بجلبى ثم اضطجعت في مكانى، أو أن الله سبحانه وتعالى لطفها فألقى عليها النوم ل تستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل. المرجع السابق (٣٧١/٨).

(٣) يحتمل أن يكون سبب تأخر صفوان ما جرت به عادته من غلبة النوم عليه، ففي سن أبي داود والبزار وابن سعد وصحيح ابن حبان والحاكم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد أن امرأة صفوان بن المعطل جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن زوجي يضربني إذا صليت، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلني صلاة الفجر حتى تطلع الشمس . قال: وصفوان عنده فساله ، فقال:

الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرین في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة.

فاشتكت حين قدمت شهرًا، والناس يفicionون في قول أصحاب الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك^(١) وهو يريني في وجيبي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فисلم ثم يقول: "كيف تيكم"، ثم ينصرف. فذلك الذي يريني، ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدها نقها، فخرجت مع أم مسطح^(٢) قبل المناصع، وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليلاً، وذلك قبل أن تأخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا تأخذ بالكنف أن تأخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر حالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أئلأ فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعشرت أم مسطح في مرطها^(٣)، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس

أما قولها يضرني إذا صليت فإنها تقرأ سوري وقد نهيتها عنها ، وأما قولها يفطرني إذا صمت، فأنا رجل شاب لا أصبر، وأما قولها لا أصلي حتى تطلع الشمس فإنها أهل بيت قد عرف لنا ذلك....الحديث قال البزار: هذا الحديث كلامه منكر. المرجع السابق (٣٧٢/٨).

(١) في رواية ابن إسحاق: وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيه ولا يذكرون لي شيئاً من ذلك وفيها أنها مرضت بضمعاً وعشرين ليلة وهذا فيه رد على ما وقع في مرسى مقاتل بن حبان أن النبي ﷺ لما بلغه قول أهل الإفك وكان شديد الغيرة، قال: لا تدخل عائشة رحلي، فخرجت تبكي حتى أتت أباها فقال أنا أحق أن أخرجنك فانطلقت تجول لا يرها أحد حتى أتزل الله عذرها. ثم قال ابن حجر: وإنما ذكرته مع ظهور نكارته لا يراد الحكم له في الإكيليل وتبعه بعض من تأثر غير متأنل لما فيه من النكارة والمخالفة للحديث الصحيح.

وفي حديث ابن عمر فشاع ذلك في العسكر فبلغ النبي ﷺ، فلما قدموا المدينة أشاع عبد الله بن أبي ذلك في الناس فاشتد على رسول الله ﷺ. الفتح (٨/٣٧٤).

(٢) أم مسطح: بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء بعدها حاء مهملات، قيل: اسمها سلمى وفي نظر لأن سلمى أم أبي بكر، ثم ظهر لي أن لا وهم فيه فإن أم أبي بكر حالتها فسميت باسمها. وابنها مسطح بن أئلأ: بضم الهمزة ومثليين الأولى خفيفة بينهما ألف، ابن عباد بن عبد المطلب، فهو المطلي من أبيه وأمه، والمسطح عود من أعمواد الخباء وهو لقب، واسمه عوف وقيل عامر، والأول هو المعتمد. الفتح (٨/٣٧٥).

(٣) وفي رواية مقسم عن عائشة أنها وطفت على عظم أو شوكة، وهذا ظاهره أنها عثرت بعد أن قضت عائشة حاجتها ثم أخبرتها الخبر بعد ذلك، لكن في رواية هشام بن عروة الآتية قريباً أنها عثرت قبل أن تقضي عائشة حاجتها وأنها لما أخبرتها الخبر رجعت كان الذي خرجت له لا تجد منه إلا قليلاً ولا

ما قلت، أتبين رجلاً شهد بدر؟! قالت: أي هناء، أو لم تسمعي ما قال؟. قالت قلت: وما قال؟ قال: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازدادت مرضًا على مرض.

قالت: فلما رجعت إلى بيتي، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ - تعني سلم - ثم قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فلما دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فجئت أبي، فقلت لأمي: يا أمي، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنيه هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئه عند رجل يحبها، ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله، ولقد تحدث الناس بهذه؟ قالت: فبكى تلوك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا الاكتحال بنوم حتى أصبحت أبكي. فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد^(رضي الله عنهما) حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله. قالت: فاماًّاً أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم لهم في نفسه من الود.

قال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب^(٢) فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثيرون، وإن تسأل الجارية تصدقك^(٣).

كثيراً وكذا وقع في رواية ابن إسحاق قالت: فوالله ما قدرت أن أقضى حاجتي وفي رواية أبي أويس فذهب عنى ما كنت أجد من الغائب ورجعت عودي على بدئي. الفتح (٨/٣٧٥).

(١) أسماء بن زيد بن حارثة بن شراحيل أبو محمد، أبو زيد، الكلبي، الأمير، من مشاهير الصحابة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٥٤) وله (٧٥) سنة.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢٠٨/١)، تقريب التهذيب (٥٢/١)، الكشاف (١٠٤/١)، تاريخ ابن معين (٢٢/٣)، تاريخ البخاري الكبير (٢٠/٢)، الجرح والتعديل (٢٨٣/٢)، أسماء الصحابة الرواية (٣٣)، سير أعلام النبلاء (٤٩٦/٢)، أسد الغابة (٧٩/١)، الإصابة (٢٩/١)، الثقات (٣/٤)، الاستيعاب (٧٥/١)، الاستبصار (٣٤).

(٢) قال النووي: رأى عليًّا على أن ذلك هو الصواب في حقه لأنَّه رأى مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر لأنَّه رأى ازعاج النبي ﷺ بهذا الأمر وقلقه فأراد راحة خاطره، وكان ذلك أهم من غيره. شرح مسلم لل النووي (٩١/١٧)

(٣) الجارية: هي بريدة مولاة عائشة (رضي الله عنها)، صحابية مشهورة عاشت إلى زمن يزيد بن معاوية، أخرج لها النسائي.

ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤٠٣/١٢)، تقريب التهذيب (٥٩١/٢)، الثقات (٣٨/٣)، أسد الغابة (٧/٣٩)، أعلام النساء (١٠٩/١)، السمعط الشمين (٢١٠)، الدر المتشور (٩٤)، الاستيعاب (٤/١٧٩٥)، الإصابة (٧/٥٣٥)، تجريد أسماء الصحابة (٢٥١/٢)، الكاشف (٤٦٥/٣)، المغني (٤٤٨، ٤٤٧)، الخلاصة (٣٧٦/٣)، أسماء الصحابة الرواة (٩٨١٩).

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: "أي بريرة هل رأيت من شيء يرسيك؟" قالت بريرة: لا والذى بعثك بالحق، إن رأيت أمراً أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تمام عن عجينة أهلها، فتاتي الداجن تأكله. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبيّ بن سلول. قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: "يامعشر المسلمين، من يعذرني من رجل، قد بلغني أذاه في أهل بيتي^(١)؟ فوالله ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معى".

فقام سعد بن معاذ^(٢) الأنصاري فقال يا رسول الله، أنا أعتذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله. فقام أُسید بن حضير^(٣)، وهو ابن عم سعد، فقال

(١) قال النووي: أعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة ومنها:

- ١-استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقائه فيما ينويه من الأمور.
- ٢-جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة عن له تعلق، أما غيره فهو منهي عنه وهو تحسس وفضول.
- ٣-خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم.
- ٤-اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين من تعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره، واعتذاره فيما يريده أن يؤذيه به.

شرح مسلم للإمام النووي (٩٩/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) سعد بن معاذ النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، أبو عمرو الأشلهي، سيد الأوس، الأنصاري، المدني، صحابي، وهو مشهور أخرج له البخاري، ثُوبي سنة خمس من المحرجة، أصيب يوم المخدق، وضرب رسول الله ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، وقد افتق عرقه من إصابته فمات، وقد اهتز عرش الرحمن بموته.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤٨١/٣)، تقريب التهذيب (٢٨٩/١)، تاريخ البخاري الكبير (٦٥/٤)، المحرج والتعديل (٩٣/٤)، الثقات (١٤٦/٣)، أسد الغابة (٣٧٣/٢)، تجريد أسماء الصحابة (٢١٩/١).

(٣) أُسید بن حضير بن سماك بن عتيل، أبو يحيى أو أبو عتيل، وأبو حصين، وأبو حضير، الأنصاري الأوسى، الأشلهي، صحابي جليل وأحد النقباء ليلة العقبة، وكان شريفاً في قومه وفي الإسلام، ويعُد من عقائدهم وذوي رأيهم، أخرج له أصحاب الكتب الستة وثُوبي سنة (٢٠)، (٢١).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٣٤٧/١)، تقريب التهذيب (١)، الكاشف (١)، تاريخ البخاري الكبير (٤٧/٢)، المحرج والتعديل (١١٦٣/٢)، أسماء الصحابة الرواة (١٣٣)، سير الأعلام (١)، الواقي بالوفيات (٩٨/١)، الثقات (٦/٣)، أسد الغابة (١)، (١٨)، (٢٩٩).

لسعد بن عبدة: كذبت لعمر الله لقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين^(١).
فتاول الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا رسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخوضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم. قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكى ليترين ويوماً^(٢) لا أكتحل بنوم ولا يرقا لي دمع يطنان أن البكاء فالق كبدي. قالت: في بينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي. قالت: فيينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قبلها. ولقد لبث شهراً لا يوحى إليه^(٣) في شأني. قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: "أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب عليه"^(٤). قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي^(٤) حتى ما أحس من قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال والله ما

(١) قال النووي: كانت هذه القصة في غزوة المرسيع وهي غزوةبني المصطлан سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق، ومعلوم أن سعد بن معاذ مات في إثر غزوة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك سنة أربع بإجماع أصحاب السير إلا شيئاً قاله الواقدي وحده قال القاضي: ذكر سعد بن معاذ في هذا وهم والأشية أنه غيره، وهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير، وقال: إن المتكلم أولاً وآخرأً أسمى بن حضير، وقال القاضي: وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المرسيع كانت سنة أربع وهي سنة الخندق، وقد ذكر البخاري اختلاف ابن إسحاق وابن عقبة.

شرح مسلم للنوعي (١٧/٩٢).

(٢) قوله: "وقد بكى ليترين ويوماً": أي الليلة التي أخبرتها فيها أم مسطح واليوم الذي خطب فيه النبي ﷺ الناس، والليلة التي تليه، ووقد في رواية فليح ليلي ويوماً وكانت أيام مشددة ونسبتها إلى نفسها لما وقع لها فيما، وقوله: "يطنان أن البكاء فالق كبدي" في رواية فليح حتى أظن ويجمع بأن الجمع كانوا يطنون ذلك.

ابن حجر في فتح الباري (٨/٣٨٤).

(٣) حكى السهيلي أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعة وثلاثين فألفي الكسر في هذه الرواية، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد، ويجمع بأنها المدة التي كانت بين قدومهم المدينة وتزول القرآن في قصة الإفك وأما التقييد بالشهر فهو المدة التي أتواها إيتان عائشة إلى أبيها حين بلغها الخبر.

وقوله: "أما بعد يا عائشة....." هو كناية عما رُمِّيت به من الإفك ولم أر في شيء من الطرق التصریح فعلل الكناية من لفظ النبي ﷺ ووقد في رواية ابن إسحاق فقال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقى الله إن كنت قارفت سوءاً فتوبى.
ابن حجر في الفتح (٨/٣٨٤).

(٤) قوله: قلص دمعي بفتح القاف واللام ثم مهملة، أي استمسك نزوله فانقطع، ومنه قلص الظل وتقلص

أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ^(١). قلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ. قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت لقد سمعت هذا الحديث حتى استقر في نفسكم وصدقتم به، فلما قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولكن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني منه بريئة لتصدّقُتُ، والله لا أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: **﴿فَصَبَرَ رَجُلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصْفُونَ﴾** قالت ثم تحولت فاضجعت على فراشي^(٢).

قالت: وأنا حينئذ أعلم إني بريئة وأن الله سيرئني ببراءتي، ولكنني والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأنني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا ييرئي الله بها، قالت فوالله ما رام^(٣) رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذته ما كان يأخذ من البرحاء^(٤)،

إذا أشر، قال القرطبي سبب أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لف्रط حرارة المصيبة.

المرجع السابق (٣٨٥/٨).

(١) قيل: إما قالت عائشة لأبيها ذلك، مع أن السؤال قد وقع على ما هو في باطن الأمر وهو لا إطلاع له على ذلك، ولكن قالت إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه فكأنما قالت له ربئي بما شئت وأنت على ثقتك من الصدق فيما تقول، وإنما أجدها أبهر بقوله لا أدرى لأنها كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده، وكذلك الجواب عن قول أمها لا أدرى. ابن حجر في الفتح (٣٨٥/٨).

(٢) قوله: قالت: "قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن" قالت هذا توطئة لعذرها لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام.

وزاد ابن جريج في روايته واحتلساً من اسمه في رواية هشام بن عروة والتمسست اسم يعقوب فلم أقدر عليه، وفي رواية أبي أويس نسيت اسم يعقوب لما بي من البكاء واحترق الجوف، ووقع في حديث أم رومان مثلني ومثلكم كيعقوب وبنيه وهي بالمعنى للتصریح في حديث هشام وغيره بأنها لم تستحضر اسمه.

المرجع السابق (٣٨٥/٨).

(٣) أي ما فارقه ومصدره الريم بالتحانية بخلاف رام بمعنى طلب فمصدره الروم ويفترقان في المضارع، يقال رام بروم روماً، ورام يريم ر بما وحذف في هذه الرواية الفاعل، ووقع في رواية صالح وفليح ومعمر وغيرهم مجلسه، أي ما فارق مجلسه.

المرجع السابق (٣٨٦/٨).

(٤) البرحاء: بضم الموحدة وفتح الراء ثم مهملة ثم مد: هي شدة الحمى وقيل شدة الكلب، وقيل شدة الحر، ومنه برح بي الحم إذا بلغ مني غايتها، ووقع في رواية اسحاق بن راشد وهو العرق، وبه جزم

حتى أنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه.

قالت فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ، سُرِّي عنه وهو يضحك. فكانت أول كلمة تكلم بها: "يا عائشة أما الله تعالى فقد برأك" فقالت أمي قومي إليه، قالت: فقلت والله لا أقوم إليه، ولا أَحْمَد إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وأنزل الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ بِالْإِفْكِ عَصْبَةٌ مَنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ»، العشر آيات كلها^(١).

فلما أنزل الله هذا في براعيتي قال أبو بكر ؓ وكان ينفق على مسطح بن آناثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: «وَلَا يَأْتِيَنَّ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيُصْفِحُوا أَلَا تَحْبُّونَ أَنْ يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

قال أبو بكر: بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه^(٢) وقال والله لا أنزعها عنه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري. فقالت: "يا زينب

الداودي وهو تفسير باللازم غالباً البراء شدة الكرب، ويكون عنده العرق غالباً، وفي رواية ابن حاطب وشخص بصره إلى السقف، وفي رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة عن الحاكم فأتأه الوحي وكان إذا أتأه الوحي أخذنه السيل.

ابن حجر في فتح الباري (٣٨٦/٨).

(١) قال ابن حجر في الفتح (٣٨٣/٨): آخر العشرة قوله تعالى: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» لكن وقع في رواية عطاء الخرساني عن الزهرى فأنزل الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ» إلى قوله: «أَنْ يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» وعدد الآي إلى هذا الموضع ثلاث عشرة آية، وفي رواية الحكم بن مرسلاً عن الطبرى لما حاض الناس في أمر عائشة فذكر الحديث مختصرًا، وفي آخره فأنزل الله تعالى حمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ المحبشات للighbتين، وهذا فيه تجوز وعدد الآي إلى هذا الموضع ست عشرة، وفي مرسلاً سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم والحاكم في الإكليل فتنزلت شهانى عشر آية متواالية، ثم قال وعده عشرة.

(٢) يؤخذ منه مشروعية ترك المعاونة بالذنب مادام احتمال عدمه موجوداً، إلا أن أبو بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه "وقوله لقرابته منه وفقره" علة أخرى للإنفاق عليه، فحلف أبو بكر إلا ينفع مسطحاً بنفع أبداً. وقوله "لَيَعْفُوا وَلَيُصْفِحُوا" قال مسلم حدثنا جبان بن موسى أباً عبد الله بن المبارك قال: هذه أرجى آية في كتاب الله. انتهى.

وقوله: "قال أبو بكر والله إني لأحب أن يغفر الله لي": وفي رواية هشام بن عروة: بلى والله يا ربنا إننا لنجح أن تغفر لنا" وقوله "فرجع إلى مسطح النفقة" أي ردها إليه. الفتح (٣٨٨/٨).

ماذا علمت أو رأيت؟" فقلت يا رسول الله: أحمي سعي وبصري، ما علمت إلا خيراً^(١) قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمتها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

(تنبيه)

لا يذهب عليك أن آيات الإفك أكثر من عشرة، وأن قول السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) وأنزل الله: **«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصِبَةٌ مُّنْكَمٌ»** العشر آيات كلها^(٢). مرادها ما عدا قوله تعالى: **«وَلَا يَأْتُلُ إِلَى آخِرِهَا»**، كما صرحت بذلك في قوله بعد، فأنزل الله: **«وَلَا يَأْتُلُ أُولُو الْفَضْلِ إِلَى آخِرِهِ»**. وليس مرادها أن هذه آيات الإفك^(٣) لا غير فتدبر.

وقد علمت أن آخر آيات الإفك قوله تعالى: **«أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ»**، وقد عدها بعضهم ثمانية عشرة آية، وبعضهم خالف، والتحقيق أنها ستة عشر، وقال الحافظ بن حجر في شرح البخاري قوله تعالى: **«وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»** ولكن وقع في رواية عطاء الخرساني^(٤)، عن الزهري: فأنزل الله تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَيَّ قَوْلُهُ: أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**

(١) أي من الحماية فلا أنساب إليهما ما لم أسمع وأبصر "قوله وهي التي كانت تساميني" أي تعالىني من السمو وهو العلو والارتفاع، أي تطلب من العلو والرفرفة والخطورة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده وذهل بعض الشرح فقل: إنه من سوء الحسف وهو حمل الإنسان على ما يكره، والمعنى تغایظني، وهذا لا يصح فإنه لا يقال في مثله سام، ولكن ساوم. وقوله: "فعصمتها الله" أي حفظها ومنعها، وقوله "الورع" أي بالحافظة على دينها وبجانبها ما تخشى سوء عاقبتها. الفتح (٣٨٨/٨).

(٢) في بيان العشر آيات انظر شرح ابن حجر في فتح الباري وقد تقدم مطولاً (٣٨٧/٨).

(٣) قالت عائشة: ونزل الوحي ساعة قضيت كلامي - أي ما قالته للنبي ﷺ وأبيها وأمها -، فعرفت والله البشر في وجه ﷺ قبل أن يتكلم فمسح جبهته وجيئه ثم قال: أبشرني يا عائشة فقد أنزل الله عزرك وتلا القرآن، فكنت أشد ما كنت غضباً، فقال لي أبوابي: قومي إليه ﷺ فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحدهم إياكما ولكنني أحمد الله الذي برأي، لقد سمعتم مما أنكرتم ولا جادتم ولا خاصتم. تاريخ الإسلام حادث الإفك.

(٤) عطاء بن أبي مسلم، أبو أيوب، أبو عثمان أبو محمد، أبو الوليد، الخرساني، البخاري، مولى المهلب بن أبي صفرة، صدوق، يهم كثير ويرسل ويدلس، لم يصح أن البخاري أخرج له، وأخرج له باقي السنة، ثوبي سنة (١٣٥).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢١٢/٧)، تقريب التهذيب (٢٣/٥)، الكاشف (٢٦٦/٢)، التاريخ الكبير للبخاري (٤٧/٦)، التاريخ الصغير (١/٣٢٤)، الجرح والتعديل (٦/١٨٥)، ميزان الاعتدال (٣/٧٣)، لسان الميزان (٧/٥٥)، سير الأعلام (٦/٤٠)، البداية والنهاية (١٠/٥٧)، الخليلية (٥/١٩٣).

وَاللَّهُ أَعْفُورُ رَحِيمٌ》) وعدد الآي إلى هذا الموضع ثلاث عشرة آية فلعل قولهما العشر آيات مجاز، بطريق إلغاء الكسر، وفي رواية الحكم بن عبيña^(١) مرسلاً عن الطبرى لما خاض الناس في أمر عائشة، فذكر الحديث مختصرًا، وفي آخره فأنزل الله تعالى خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ: «الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينَ» وهذا فيه تجوز، وعدد الآي غال هذا الموضع ست عشرة.

وفي مرسل سعيد بن جبیر^(٢) عن أبي حاتم والحاكم في الإكليل: فنزلت شانى عشرة آية متواتلة، كذبت من قذف عائشة: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا» إلى قوله: «رِزْقٌ كَرِيمٌ»، وفيه ما فيه أيضًا وتحrir العدد سبع عشرة، انتهى.

أقول: قوله بإلغاء الكسر أي كسر العشرات فإن الثلاث كسر من العشرات، وليس المراد الكسر من الواحد، والحق ما قدمناه من أنه إلى قوله: «كَرِيمٌ» ستة عشر آية^(٣).

تتمة

وقد وقع اختلاف بالتعبير في لفظ ظفار، في بعضهم عبر به هكذا من غير ألف، وبعضهم قال أظفار بآلف.

قال الحافظ بن حجر^(٤) في شرحه: قوله أظفار كذا في هذه الرواية أظفار بزيادة ألف. وكذا في رواية فليح، لكن في رواية الكشميي: ظفار.

(١) الحكم بن عبيña، أبو محمد، أبو عبد الله أبو عمر الكوفي، الكندي الفقيه، النهاس، ثقة، ثبت، فقيه، إلا أنه ربما دلس، أخرج له أصحاب الكتب الستة، ثُوقي سنة (١١٣، ١١٤، ١١٥).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤٢٢/٢)، تقريب التهذيب (١٩٢/١)، الكشف (٢٤٦/١)، التاريخ الكبير (٣٣٢/٢)، التاريخ الصغير (١/٢٧٧، ٢٧٦/١)، الجرح والتعديل (٥٦٧/٣)، ميزان الاعتدال (١/٥٧٧)، لسان الميزان (٢/٣٣٦)، الواقي بالوفيات (١٣/١٨)، سير الأعلام (٥/٢٠٨).

(٢) سعيد بن جبیر بن هشام، أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الأسدی مولاهم الوالی الكوفي، الفقيه، ثقة، ثبت، فقيه، أخرج له الستة، ثُوقي سنة (٩٥، ٩٤).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/١١)، تقريب التهذيب (١/٢٩٢)، الكاشف (٣٥٦/١)، الثقات (٤/٢٧٥)، تاريخ البخاري الكبير (٣/٤٦١)، تاريخ البخاري الصغير (١/٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢٢١)، الواقي بالوفيات (١٥/٢٠٦)، شذرات الذهب (١/١٠٨)، حلية الأولياء (٤/٢٧٢)، البداية والنهاية (٩/٩)، سير أعلام النبلاء (٤/٣٢١)، تاريخ أصحابهان (٧١١).

(٣) انظر ما تقدم من التخريج من فتح الباري لابن حجر (٨/٣٨٧). طبعة دار إحياء التراث.

(٤) ابن حجر العسقلاني هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكنانى العسقلانى الأصل، المصرى، الشافعى. قال عنه السيوطي في تذكرة الحفاظ (٧/٥٤): شرب ماء زمزم ليصل إلى مرتبة النبى فبلغها وزاد، ولما حضرت العراقى الوفاة قيل له: من تخلف بعدك؟ قال ابن حجر ثم أبا زرعة ثم الشيشى، وقال الدماطى: الطرق المتقدمة وإن كثرت تتصل كلها بالحافظ ابن حجر، ولذا قيل: لولا هو شيخه لم يكن لأهل مصر سند في الحديث.

وكذا في رواية عمر وصالح^(١)، وقال ابن بطال الرواية أظفار بالف، وأهل اللغة لا يعرفونه بالف، ويقولون: ظفار، قال ابن قتيبة: جز ظفاري وقال القرطبي: وقع في بعض روايات مسلم أظفار وهو خطأ.

قلت: لكنها في أكثر روايات الزهري حتى أن في رواية صالح بن أبي الأخضر^(٢) عند الطبرى جز ظفار.

فأما ظفار بفتح الطاء المعجمة ثم فاء بعدها راء مبنية على الكسر، فهي مدينة باليمن، وقد كت أرمعت أن اذكر لفظ غير البخاري فيه، بينما لفظ مسلم^(٣) لأن روايته عن الزهري التي عنها الصافي، إلا أنى رأيت أن في ذلك تطويل بغير كبير فائدة، فإن لفظ البخاري يعني عنه وعن غيره.

إذا قالت حذام فصدقها
فإن القول ما قالت حذام

الباب الحادي عشر

في بيان من جلده النبي ﷺ لأجل الإفك

قال في مفاتيح الغيب ما معناه: إن الله (سبحانه وتعالى) لما أنزل عذر السيدة عائشة

(١) صالح بن كيسان، أبو محمد، ويقال أبو الحارث أبو الحرب، الملني، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، ثقة ثبت فقيه، أخرج له: السنة، ثوّي في سنة (٤٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/٣٩٩)، التقريب (١/٣٦٢)، الكاشف (٢/٢٣)، التاريخ الكبير (٤/٢٨٨)، الجرح والتعديل (٤/١٨٠)، ميزان الاعتدال (٢/٢٩٩)، لسان الميزان (٧/٢٤٦)، سير الأعلام (٥/٤٤)، الثقات (٦/٤٥٤).

(٢) صالح بن أبي الأخضر، اليماني، البصري مولى هشام بن عبد الملك، ضعيف يعتبر به أخرج له: أبو داود والترمذى في الشمائى، ثوّي في سنة (٤٠) إلى (٤١).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/٣٨٠)، تقريب التهذيب (١/٣٥٨)، الكاشف (٢/١٨)، تاريخ البخاري الكبير (٤/٢٧٣)، الجرح والتعديل (٤/١٧٢٧)، طبقات ابن سعد (٧/٣٢)، سير الأعلام (٧/٣٠).

(٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري، النيسابوري، الحافظ من بنى قشير قبيلة من العرب معروفة، وهو ثقة، إمام مصنف، عالم بالفقه، صاحب الصحيح وأحد أصحاب الكتب الستة، وأخرج له الترمذى، وقد أجمعوا على جلالته وعلو مرتبته وحذقه في هذه الصنعة وتقديمه فيها وتضليله منها، وكان من الرحالين في طلب العلم، ثوّي في سنة (٦٢٢).

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/١٢٦)، تقريب التهذيب (٢٤٥/٢)، الكاشف (٢/١٤٠)، الجرح والتعديل (٨/٧٩٧)، العبر (١/٥٤٧)، طبقات الحفاظ (٢٦٠)، نسيم الرياض (١/٣٤٥)، البداية والنهاية (١١/٣٣)، سير الأعلام (١٢/٥٥٧).

الصادقة (عليها السلام) جلد حساناً، ومسطحًا^(١) ومعهما امرأة من قريش، وفي فتح البيان قال القرطبي: المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذين حدوا: حسان ومسطح وحمنة.

وقد روى محمد بن إسحاق^(٢) وغيره أن النبي ﷺ جلد في الإلفك رجلين وامرأة، وهم مسطح بن أئلأة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وقيل: جلد عبد الله بن أبي، وحساناً ولم يجعله مسطحًا لأنه لم يصرح بالقذف، ولكن كان يسمع ويشيع من غير تصريح^(٣)، ويريد هذا ما أسلفناه عن الرازي أن أبا بكر رضي الله عنه قال له: إن لم تتكلم فقد ضحكك، فقال

(١) وقع في آخر رواية هشام بن عروة: وكان الذي تكلم به مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبي وهو الذي يستوشيه وهو الذي تولى كبره هو وحمنة، وعن الطبراني من هذا الوجه وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ومسطح وحمنة، وكان كبر ذلك من قبل عبد الله بن أبي، وعند أصحاب السنن من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن عمارة عن عائشة أن النبي ﷺ أقام حد القذف على الذين تكلموا بالإلفك، لكن لم يذكر فيهم عبد الله بن أبي، وكذا فحديث أبي هريرة عند البزار وبني على ذلك صاحب المدى فأبدي الحكمة في ترك الحد على عبد الله بن أبي وفاته أنه ورد أنه ذكر أيضًا فيمن أقيم عليه الحد، لما أخرج جه الحاكم في الإلكليل. الفتح (٣٨٨/٨).

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو بكر أبو عبد الله، أبو عبيد الله، المداني المطليبي، إمام المغازي، المحرمي، المديني، القرشي، صدوق، يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، أخرج له البخاري تعليقاً، وباقى الستة، توفي سنة (١٥٣، ١٥١، ١٥٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٣٨/٩)، تقريب التهذيب (١٤٤/٢)، الكاشف (١٩/٣)، تاريخ البخاري الصغير (١١١/٢)، الجرح والتعديل (١٠٨٧/٧)، ميزان الاعتلال (٢٤/٣)، لسان الميزان (٧٣/٥)، الوفي بالوفيات (١٨٨/٢)، ثقات (٣٨٠/٧)، معرفة الثقات (٤٠٠)، سير الأعلام (٣٣/٧)، المعني (٥٢٧٥)، ترغيب (٤/٥٧٧)، طبقات ابن سعد (٦٧/٧).

(٣) تكلم أهل الإلفك وجهلو في أمر السيدة عائشة وبرئها الله بقوله: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْفَكِ....الآية" وهم عبد الله بن أبي بن سلول، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أئلأة وحمنة بنت جحش، أما الذي تولى كبره فهو عبد الله بن أبي. وقد حدَّ حسان وأصحابه بالجلد في ذلك، قال شاعر من المسلمين:

لقد ذاق حسان الذي كان أهله وحمنة إذ قالوا هجيراً ومسطح

وابن سلول ذاق في الحد جزية كما خاض في إلفك من القول يفصح

تعاطوا برحم الغيب زوج نبيهم وسخطه ذي العرش الكريم فأبرحسوا

انظر القرطبي (١٢/٢٠١)، وفي الإشراف والتنبيه (٢٠٦)، للمسعودي أن الشاعر هو عبد الله بن رواحة وقيل: كعب بن مالك.

مسطح: قد كان ذلك تعجباً من قول حسان^(١) وقال الرازي أيضاً: فقد روى الزهري عن سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن أبي وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكلهم رروا عن عائشة قالت: فلما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل ضرب عبد الله بن أبي، ومسطحًا وحمنة، وحسان الحد^(٢).

باب الثاني عشر

في ترجمة السيدة مارية القبطية أم سيدنا إبراهيم بن (رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) ورضي عنها

قال ابن الأثير^(٣) في أسد الغابة: مارية القبطية مولاية رسول الله ﷺ وسريرته، وهي أم ولده إبراهيم بن النبي ﷺ أهدتها له المقوقس صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين، وخصيّاً يقال له: مأبوري، وبغة شهباء، وحلة حرير^(٤).

(١) روي عن عائشة أنها برثت من ذلك حيث كانت في الطوف ومعها أم حكيم بنت خالد، وأم حكيم بنت عبد الله، فتذكرة حسان فاتدراه بالسب، فقالت عائشة: ابن الفريعة تسبان؟ إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذاته عن النبي ﷺ بسانه، أليس القائل:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

وفي رواية فقالت: أليس من لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك، فقالت: لم يقل شيئاً ولكنه الذي يقول:

حسان رزان ما ترن بريمة وتصبح غرقي من لحوم الغواقل

انظر سير الأعلام (٥١٢/١)

(٢) قال قوم في حسان: إنه كان من خاض في الإفك على عائشة عليها السلام، وأنه جلد في ذلك، وأنكر قوم أن حسان خاض في الإفك وجلد فيه، الاستيعاب (٣٤١/١).

(٣) ابن الأثير: هو عز الدين أبو المحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني ابن الشيخ الأثير أبي الكرم مصنف التاريخ الكبير الملقب بالكامل ومصنف كتاب معرفة الصحابة، مولده سنة (٥٥٥) وأحده العلامة محمد الدين والوزير ضياء الدين ثم تحول بهم أبوهم إلى الموصل فسمعوا بها واستعلوا وبرعوا وسادوا، وسمع الكثير، ذكرهم الذهبي وقال: وكان إماماً عالماً إخبارياً أديباً متقدماً رئيساً مختصاً، وكان منزله مأوى طلبة العلم. سير أعلام النبلاء (٣٥٣/٢٢).

ترجمته: معجم البلدان (٧٩/٢)، ذيل الروضتين (١٦٢)، وفيات الأعيان (٣٤٨/٣)، الحوادث الجامعية (٨٨)، العبر (١٢٠/٥)، تذكرة الحافظ (٤/١٣٩٩).

(٤) كذا ذكر هذه المدحيا الذهبي في تاريخ الإسلام فقال: بعث رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلحة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً

وقال محمد بن إسحاق: أهدى المقوقس إلى رسول الله ﷺ جواري أربعاً منهن مارية أم إبراهيم، وسيرين التي وهبها النبي ﷺ لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن^(١)، وأما مأبوري فهو الخصي الذي أهداه المقوقس مع مارية، وهو الذي أثيم بمارية، فأمر النبي ﷺ علیاً أن يقتله فقال علی: يا رسول الله أكون كالسكة^(٢) الحمامة أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

قال: "بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب"، فذهب علی إلى ليقتله فرأه محبوباً، ليس له ذكر، فعاد إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه لمحبوب، وأهديت مارية فوصلت إلى المدينة سنة شان^(٣)، ونُوفيت سنة ست عشرة من خلافة عمر، وعمره ٣٧ سنة يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلى عليها عمر^(٤)، وأخرجها الثلاثة.

وقال في ترجمة مأبوري الخصي: أهداه المقوقس صاحب الإسكندرية إلى النبي ﷺ، أورده جعفر، وروي بإسناده عن مصعب^(٥) قال: ثم ولدت مارية بنت شمعون وهي القبطية التي أهداها المقوقس إلى رسول الله ﷺ وأهدي معها أختها سيرين، وخصيأً يقال له مأبوري.

وأحسن نزله، وأهدي معه إلى النبي ﷺ بغلة وكسوة وجاريتين، إحداهما أم إبراهيم: هي السيدة مارية القبطية أم ابنه إبراهيم، كانت ملك يمينه^(٦)، والأخرى وهبها لجهم بن قشم العبدى، وفي رواية أخرى له لحسان بن ثابت.

تاریخ الإسلام حوادث سنة (٨) رسول النبي ﷺ.

(١) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حزام، أبو محمد، أبو سعيد، الأنصاري، المدني، ذكره ابن حنان في ثقات التابعين، ويقال ولد في عهد النبي ﷺ، مات سنة (١٠٤)، وأخرج له ابن ماجة في سننه.

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٦٢٦)، تقريب التهذيب (١٤٧٧)، الكاشف (١٦١/٢)، تاريخ البخاري الكبير (٢٧٠/٥)، التاريخ الصغير (٧٦/١)، الجرح والتعديل (٢٢٢/٥)، أسد الغابة (٣/٤٣٤)، تجرید أسماء الصحابة (٣٤٥/١)، الإصابة (٥/٣١)، الثقات (٥/٨٩).

(٢) السكة: الطريق، والسكة الحديد طريق معد عليه قضبان من الحديد متوازيان تسير عليهما القطارات - وهي حديد منقوشة تضرب عليها النقود - وهي حديدة الحرات التي يحرث بها، وجمعها سكل.

(*) تقدم تخریج ذلك انظر تاریخ الإسلام للذهبي حوادث سنة (٨).

(٣) انظر ما سندك في التخریج نقاًلاً عن الإصابة لابن حجر في ترجمة السيدة عائشة (٨/١٤).

(٤) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو عبد الله القرشي الأنصي المدني، أمير العراق، وفُد على معاوية، واستعمله أخوه على البصرة، وقتل المختار بن أبي عبيد، ثم عزله أخوه، واستعمله بعد ذلك على العراق فأقام بها يقاوم عبد الملك بن مروان ويحاربه إلى أن قُتل سنة (٧١)، وقد ذكره ابن حبان الثقات، وأخرج له: أحمد في مسنده.

ترجمته: تعجیل المنفعة (٤١٠/٥)، الثقات لابن حبان (٥/٤١٠)، الجرح والتعديل (٨/٣٠٣)، تاريخ البخاري الكبير (٧/٣٥٠).

وذكر ابن زهير في هذه الترجمة حديث سليمان بن أرقم^(١)، عن عروة عن عائشة قالت: أهديت مارية ومعها ابن عم لها، وذكر الحديث إلى أن قال: بعث رسول الله ﷺ علیاً ليقتله، فإذا هو ممسوخ أخرجه أبو موسى، وروى مسلم في صحيحه، عن ثابت^(٢) عن أنس، أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ علی: "اذهب فاضرب عنقه"، فأتاه عليٌّ فإذا هو في ركيٍّ يتبرد فيها، فقال له عليٌّ: اخرج فناوله يده فأخرجه، فإذا هو محظوظ ليس له ذكر، فكف عن عليٍّ عنه، ثم أتى النبي ﷺ قال يا رسول الله، إنه محظوظ ما له ذكر. قال النwoي عليه^(٣): ذكر في الباب حديث أنس أن رجلاً كان يتهم بأم ولد ﷺ فأمر عليٌّ به أن يذهب يضرب عنقه، فذهب فوجده يغتسل في ركيٍّ وهو البئر، فرآه محظوظاً، قيل: لعله كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر، وجعل هذا محركاً لقتله بتفاقه وغيره لا بالزنا، وكف عنه عليٌّ اعتماداً على أن القتل بالزنا، وقد علم انتقاء الزنا، والله أعلم.

وفي السيرة الخلية: وكتني - أي رسول الله ﷺ به - أي بإبراهيم ولده^(٤).

جاء أن جبريل عليه السلام قال له: السلام عليك يا أبو إبراهيم إن الله قد وهب لك غلاماً من

(١) سليمان بن أرقم، أبو معاذ، البصري، ضعيف أخرجه له: أبو داود والترمذى، والنمسائى.

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٦٨/٤)، تقريب التهذيب (١)، الكاشف (٣٢١/١)، التاریخ الكبير للبخاري (٤/٢)، التاریخ الصغير للبخاري (١٩٧/٢، ١٩٨)، الجرح والتعديل (٤/٤٥٠)، میزان الاعتدال (٢٢٧/١)، لسان المیزان (٧)، مجمع الزوائد (٤/٢٨٦)، (١٧١/٥).

(٢) ثابت بن أسلم، أبو أحمد، البصري الباقي القرشي، ثقة عابد، أخرجه له: الستة، ثُوْنَى سنة (١٢٧) وله (٨٦ سنة).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/٢)، تقريب التهذيب (١١٥/١)، الكاشف (١)، الثقات (٤/٨٩)، التاریخ الكبير (٢/٥٩)، التاریخ الصغير (١)، میزان الاعتدال (٢/٣٦٢)، لسان المیزان (٧)، تذكرة الحافظ (٢٥/١٨٧)، سیر الأعلام (٥/٢٢٠)، الوافي بالوفيات (١٠/٤٦١)، طبقات ابن سعد (١/٤٧٨، ٧/٢٣١).

(٣) انظر النwoي في شرح مسلم (١٧/١٠٠). طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) روى البخاري في صحيحه (٣٠٣/٤٣) -باب الجنائز- عن أنس قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف اليقين وكان ظنراً لإبراهيم فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشم، ثم دخلنا رسول الله ﷺ وإبراهيم يوجد بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تدحرج فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة ثم اتبعها بأخرى فقال رضي الله عنه: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنما بفرانك يا إبراهيم لحزنون".

أم ولدك مارية، وأمرك أن تسميه^(١) إبراهيم فاطمان رسول الله ﷺ.

وإلى ذلك أقول: وسبب اطمئنانه ﷺ بذلك أن مأموراً كان يأوي إليها ويأتي إليها بالماء والخطب، فاتهمت به.

وقال المنافقون: علچ^(*) يدخل على علچة. فبلغ ذلك النبي ﷺ فبعث علياً (كرم الله وجهه) ليقتله. فقال له: على (كرم الله وجهه): يا رسول الله أقتله أو أرى فيه رأيي. فقال: "بل ترى رأيك فيه". فلما رأى السيف يد على كرم الله وجهه تكشف، وفي لفظ: فإذا هو في ركن يتبرد^(٣). فقال على كرم الله وجهه: اخرج، فناوله يده فآخرجه فإذا هو محبوب، فكف عنه على (كرم الله وجهه).

ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: (...) إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. أي و تكون هذه القضية متقدمة على قول جبريل عليه السلام المذكور، فالمراد مزيد الاطمئنان وفي كلام بعضهم أن النبي ﷺ دخل على مارية^(٤) وهي حامل بولده إبراهيم، فوجد عندها من ذكر - أي مأموراً - فوقع في نفسه شيء، فخرج^(٥) وهو متغير اللون فلقىه عمر^(٦) عرف العيظ في وجه رسول الله ﷺ فسألة، فأخبره، فأخذ عمر السيف، ثم دخل على مارية^(٧) وهو عندها، فأهوى إليه، فلما رأى ذلك كشف عن نفسه، فإذا هو محبوب.

فلما رأه عمر^(٨) رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: لا أخبرك يا عمر أن جبريل أتاني فأخبرني أن الله برأها ونرها مما وقع في نفسي وبشرني أن في بطنها غلاماً مني وأنه أشبه الخلق بي، وأمرني أن أسميه إبراهيم، وكتاني بأبي إبراهيم.

(١) قال النووي في شرح مسلم : فيه جواز التسمية بأسماء الأنبياء (صلوات الله عليهم وسلم).
شرح مسلم للنووي (١٥/٦٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(*) العلچ: كل جاف شديد من الرجال .

(٣) انظر ما رواه مسلم في صحيحه (٥٩-٢٧٧) كتاب التوبة ، ١١ - باب براعة حرم النبي ﷺ وقد تقدم بلفظه .

(*) كلمة غير واضحة بالأصل .

(٤) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قوط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي، أمير المؤمنين أبو حفص القرشي العذوي الفاروق .
أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وقال ابن مسعود: ما زلت أعزه من أسلم عمر، وقال عكرمة: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه". تاريخ الإسلام وفيات سنة (٢٣).

وفي كلام بعضهم: عَدَّ ابن منده وأبو نعيم مأبورةً في الصحابة، وقد غلطاً في ذلك فإنه لم يسلم وما زال نصرانياً.

ومنه- أي بسببه-فتح المسلمين مصر^(١) في خلافة عمر^{رضي الله عنه}.

وأما قوله في السيرة المذكورة- أي وغارت نساؤه^{رضي الله عنه} (ورضي الله عنهن) من ذلك، كعائشة (رضي الله تعالى عنها) حتى أنه^{رضي الله عنه} قال لها: "انظري إلى شبهاه".

فقالت: ما أرى شيئاً. فقال: ألا ترى إلى بياضه ولحمه^(٢). ففيه تلميح إلى ما نقله الشيعة. وهو لا يلتف إلىه ولا يقوم به حجة؛ لأن مصدره ليس من كتب أهل السنة والجماعة^(٣). إذ ليس في شيء من كتب الحديث وغيرها الصحيحة وغيرها، وإنما هو مدسوس عليهم. فتبه له ولا تعتقد، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما فيه الكفاية.

ونهاية ما جاء عند أهل السنة من هذا الخبر ما رواه مسلم في صحيحه.

وقد قدمنا مع ما قاله عليه شارحة الإمام النووي^(٤) ولم يكن للسيدة عائشة (رضي الله

(١) فتح المسلمين مصر في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب فقد روى خليفة عن غير واحد، وغيره أن فيها كتب عمر إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فسار وبعث عمر الزبير بن العوم مددلاً له، ومعه بسر بن أرطأة وعمير بن وهب الجمحي، وخارجة بن حذافة العدوى حتى أتى باب الـيون فتحصنا، فافتتحها عنوة وصالحه أهل المحسن وكان الزبير أول من ارتقى سور المدينة ثم تبعه الناس فكلم الزبير عمراً أن يقسمها بين من افتتحها، فكتب عمرو إلى عمر، فكتب عمر: أكلة، وأكلات خير من أكلة أقروها. الذهبي في تاريخ الإسلام حوادث سنة (٢٠).

(٢) قال الذهبي: وفي عاشر ربيع الأول توفي إبراهيم ابن النبي^{رضي الله عنه} وهو ابن سنة ونصف، وغسله الفضل بن العباس، ونزل قبره الفضل وأسامي بن زيد فيما قيل، وكان أبيض مسمناً، كثير الشبه بوالده^{رضي الله عنه}. تاريخ الإسلام أحداث سنة (٩).

(٣) أهل السنة يتبعون السلف من الصحابة والتابعين وعلى رأسهم الأئمة الأربعه ولا خلاف بين هؤلاء الأئمة في الاعتقادات ، وجميع أهل الحديث والرأي مثل مالك، والأوزاعي، والزهري، والليث بن سعد وابن حنبل والثوري وابن عبيدة وابن معين وابن رهواه وأبي ثور وأبي يوسف وابن الفضل الجلي وابن يحيى وابن أسلم الطوسي والحنظلي وغيرهم من مختلف الطبقات لم يختلفوا مع من تقدمهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين .

وأهل السنة متفقون إلا ما كان من اختلاف في الأحكام العملية الفقهية التي ليست عليهم قاطع من نص أو إجماع واختلافهم لا يوجب التكفير .

(٤) النووي هو الإمام الحافظ الأولي القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامي الحواري الشافعى صاحب التصانيف النافعة، ولد في المحرم سنة (٦٣١) وقدم الشام سنة (٦٤٩) فسكن في الرواجة يتناول خبر المدرسة فحفظ التبيه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ أربع المهدب حفظاً في باقي السنة على شيخه الكمال بن أحمد ، ثم حج مع أبيه وأقام بالمدينة شهراً ونصفاً.

تعالى عنها) ذكر فيه، فإنها بريئة منه وسيأتي في الباب السادس عشر بيان الشيء الذي وقع في نفسه ﷺ، إن شاء الله تعالى.

بيانات بين رواية أسد الغابة، ومسلم، والسيرة^(١). وبين رواية الصافي. تبادرات: التبادر الأول: أن أهل السنة لم يتعرضوا في روايتهم لذكر السيدة عائشة الصديقة أم المؤمنين في هذه القضية بشيء سوى ما نقلناه عن السيرة الحلبية.

وقلنا: إن مصدره ليس من كتب أهل السنة والجماعة على ما نقله فيها، لا يدل على اتهامها لها، بل يمكن أن تكون ناقلة حكاية غيرها.

وإذا دقت في السيرة المذكورة تعلم عدم صحة نقلها في كثير من المسائل لاعتمادها على كتب غير أهل السنة بخلاف الشيعة^(٢)، فإنهم جعلوها هي المتهمة، فبأهلا الله تعالى.

التبادر الثاني: أن استئذان سيدنا على ﷺ سيدنا رسول الله ﷺ في أن يمضي الأمر، أو يثبت، كان قبل الذهاب إلى مأمور على رواية أهل السنة وبعدها على رواية الشيعة.

التبادر الثالث: أن عدم قتل مأمور لكونه غير خصي كان بأمر النبي ﷺ على رواية أهل السنة وبغيره على رواية الشيعة.

التبادر الرابع: أن رواية أهل السنة تدل على أن رسول الله ﷺ كان عالماً بكون مأمور خصياً قبل كشفه عن نفسه، ورواية الشيعة تدل على أنه لم يكن عالماً بذلك ولا يخفى ما يترتب عليه^(٣).

وكانت له تصانيف كثيرة منها شرح مسلم ورياض الصالحين والأذكار والأربعين والإرشاد في علوم الحديث والتقريب والمبهمات وتحرير الأفاظ للتنبيه والعملة في صحيح التنبية والإيضاح في المناسب وغيرها الكثير. انظر مقدمة شرح مسلم للنبوبي (٧/١) طبعة دار الكتب العلمية

(١) يقصد السيرة الحلبية.

(٢) النظريات في أصل التشيع كثيرة ومعظمها وضعه المستشرقون، وقد ردوه في قول إلى الروح الفارسية الآرية وقالوا: إن الشيعة فرقة فارسية وجعلوا التشيع على أصول من عقائدهم في ملوكهم فقد كانوا يقولون بأنهم ينحدرون من الآلهة، وأن النور الإلهي ينتقل في أصلاب العائلات المصطفاة، والشاهنشاه تجسيد لروح الله التي تنتقل من الآباء للأبناء ولم يقبلوا بذلك أن تكون الإمامة بالانتخاب كما أجرأها العرب بعد وفاة الرسول وألروا آل البيت وقالوا بعصبة الإمام.

(٣) فيما رواه مسلم في صحيحه [٥٩-٢٧٧] كتاب التوبة، ١١-باب براءة حرم النبي من الريمة، عن أنس وقد تقدم وفيه: "فأئمأة علي فإذا هو في ركوة يبرد فيها. فقال له علي: اخرج فناوله يده فآخرجه، فإذا هو محبوب ليس له ذكر، فكف على عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه محبوب ما له ذكر".

وقال النبوبي: قيل: لعله كان منافقاً مستحقاً للقتل بطريق آخر، وجعل هذا محركاً لقتله بنفاقه وغيره لا بالرثا" وتقديم رأيه كاملاً. كذلك رأى أهل السنة في هذه الواقعة.

التباین الخامس: أن رواية أهل السنة تدل على أن التهمة وقعت والسيدة مارية حامل بسیدنا إبراهيم الظاهر. ورواية الشيعة تدل على أن التهمة وقعت بعد وفاة سیدنا إبراهيم الظاهر^(١).
التباین السادس: أن رواية أهل السنة لا تدل على أن مأمور خوفه وروعه سیدنا على أو سیدنا عمر (رضي الله تعالى عنهم). ورواية الشيعة تدل على أنه خوفه وروعه.
التباین السابع: أن رواية أهل السنة لا تدل على أن علياً (رضي الله تعالى عنه) غضب، بل تدل على أنه ذهب متأثراً لاستئذانه رسول الله صل في أنه يثبت أو يمضى. وبقيت جملة التباینات، لا يخفى على ذي ذوق سليم وطبع الحال من الغرض المستقيم.

الباب الثالث عشر

في العذاب الذي أصاب من جاءوا بالإفك وتوبيتهم

غير رأس النفاق لعن الله تعالى^(٢).

قال الله تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ يُجْهُونَ أَن تَشْيَعَ الْفَحْشَةُ فِي الدِّينِ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»**^(٣).

قال المفسرون: إن المراد بالعذاب في الدنيا عذاب الجلد، وفي الآخرة عذاب جهنم،

(١) وفي وفاة سیدنا إبراهيم ابن رسول الله صل كما ذكرنا من حديث البخاري وهو في مسلم [٦٢-٢٣١٥] كتاب الفضائل، باب رحمته صل بالصبيان والعياش وتواضعه وفضل ذلك.

وفي لفظة "فدمت عينا رسول الله صل إلى آخره" فيه جواز البكاء على المريض والحزن وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المدوم الندب والنياحة والويل والشبور ونحو ذلك من القول الباطل.

شرح مسلم للنووي (٦١/١٥).

(٢) روى البخاري في صحيحه (١٢٦٩) كتاب الجنائز ، ٢٢ - باب الكفن في القميص الذي يكفي أو لا يكفي ، عن ابن عمر "أن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي صل فقال له يا رسول الله اعطي قميصك أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له فأعطاه النبي صل قميصه فقال: "آذني أصلي عليه" فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر صل فقال: أليس الله هناك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: أنا بين خيرتين قال الله تعالى: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين فلن يغفر الله لهم" فصلى عليه فنزلت: "ولا تصل على أحد منهم مات أبداً".

(٣) في تفسيرها قال ابن كثير (٢٨٣/٣) أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح "لهم عذاب أليم في الدنيا" أي بالجلد ، وفي الآخرة بالعذاب الأليم "والله يعلم وأنتم لا تعلمون" أي فردوا الأمور إليه ترشدوا، وقال الإمام أحمد بسنده عن ثوبان "لا تؤذوا عباد الله ولا تعبروه، ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته".

وهذا في غير الذين جاءوا بالإلحاد.

أما هم فقد زادهم الله (تعالى) عذاباً فوق عذاب الجلد في الدنيا، وذلك أنهم ردت شهادتهم.

وصار ابن أبي بن سلول^(١) (لعنه الله تعالى) مطروداً مشهوداً عليه بالتفاق.

وحسان أعمى وأشل اليدين، ومسطح مكفوف البصر^(٢) كما في تفسير العلامة أبي السعود وغيره، وقد لعنهم الله تعالى: «إلا الذين تابوا منهم». فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنَوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^(٣). ودليل توبتهم في القرآن الكريم قوله تعالى: «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً مَا زَكَأْ» - أي ما ظهر من ذنبها - «مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ» إلى نهاية. «وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرِكِّي مَنْ يَشَاءُ» - يزيد من عباده - بإفاضة آثار فضله ورحمته عليه.

وحلمه على التوبة، ثم قبواها منه كما فعل بكم. «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

وقد ثبت أن مسطحاً، وحساناً^(٤) وغيرهما تابوا منه فنجوا من اللعنة، ومن عذاب

(١) قال عبد الرزاق : أنا معمر، عن الزهري قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال: الذي تولى كبره منهم علىٰ، فقلت: لا، حدثني سعيد وعروة وعلقمة وعيبد الله كلهم سمع عائشة تقول: الذي تولى كبره عبد الله بن أبي".

(٢) وقال يونس بن بكيٰ، عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عروة، عن عائشة قالت: لما تلا رسول الله ﷺ القصة التي نزل بها عذري على الناس، نزل فامر برجلين وامرأة من كان تكلم بالفاحشة في عائشة فجللوا الحد، قال: وكان رمها ابن أبي مسطح وحسان وحمنة بنت جحش. تاريخ الإسلام حوادث سنة (٥).

(٣) روى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في الآية "إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ" قال: نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبير ومقاتل ابن حبان .

وقد ذكره ابن حجر بسنده عن عائشة (٦) قالت: رميت بما رميت به وأنا غافله فبلغني بد ذلك، قالت فيينا رسول الله ﷺ جالس عندي إذ أوحى إليه قالت: وكان إذا أوحى إليه أحده كهيبة السبات وإن أوحى إليه وهو جالس عندي ثم استوى جالساً يمسح وجهه وقال: "يا عائشة أبشرك" قالت فقلت: بحمد الله لا بحمدك فقرأ: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ». تفسير ابن كثير (٧).

(٤) وقد روى مسلم من حديث عائشة (رضي الله عنها) [١٥٧ - (٢٤٩)] كتاب فضائل الصحابة، باب فضل حسان بن ثابت رضي الله عنه، وفيه: قوله رضي الله عنه لحسان: "إِنَّ رُوحَ الْقَدْسِ لَا يَرَالُ بُوْيِدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" وقال: "سمعت رسول الله رضي الله عنه يقول: "هُجَاهُمْ حَسَانٌ فَشَفَى وَأَشْفَى" فقال حسان: هجوت حمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزراء

الآخرة، للاية المذكورة، قوله تعالى: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»**.

وحكم التائب من الذنب مقرر، لا يحتاج إلى إطالة قول فيه^(١).

وقال سيدنا حسان معتذرًا في حق السيدة عائشة الصديقة (عليها السلام)، وذاكرًا حصانتها، ومبيناً طهارتها من كل شين، وباطل. وطيب خيمها وثبوت مجدها.

قال:

حسان رزان ما تزن بريمة وتصبح غرثى^(٢) من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينًا ومنصباً نبي المهدى والمكرمات النواصل

عقيلة حىى من لوي بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل

قال الرازى: وروى أن عائشة (عليها السلام) ذكرت حسانًا وقالت: أرجو له الجنة. وقال (عليه الصلاة والسلام): "إِنَّ اللَّهَ يُؤْيِدُ حَسَانًا بِرُوحِ الْقَدْسِ فِي شِعْرِهِ" ^(٣).

في قصيدة طويلة رواها مسلم.

(١) روى مسلم في صحيحه [١٥٥-٢٤٨٨] كتاب فضائل الصحابة، ٣٤-باب فضائل حسان بن ثابت (عليها السلام)، عن مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد لها شعرًا يشبب (أى يتغزل) بآيات له فقال:

حسان رزان ما تزن بريمة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت له عائشة: لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها: لم تاذنين له يدخل عليك؟ وقد قال الله: "والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم" فقالت: فأى عذاب أشد من العمى؟ إنه كان ينافح أو يهاجم عن رسول الله (عليها السلام).

(٢) غرثى : أى جائعة، ورجل غرثان وامرأة غرثى، معناه لا تغتاب الناس لأنها لو اغتابتهم شعبت من لحومهم.

(٣) حسان: متحصنة بعفتها، رزان: ثقال ذات ثبات ووقار، ما تزن: ماتتهم، غرثى: جائعة، الغوافل: العفائف الغافلة قلوبهن عن البشر.

(٤) حليلة: زوجة، العقيلة: الكريمة.

(٥) كالسابق.

(٦) الحريم: الطبع والأصل.

(٧) انظر مسلم قبل هذا، وأخرجه الترمذى في جامعه وسيأتي.

وآخرجه أيضًا: أبو داود في الأدب، باب ما جاء في الشعر، والحاكم في مستدركه (٤٨٧/٣)، والبغوي في شرح السنة (١٢/٣٧٧)، ومشكاة المصايح (٤٨٠٥).

وروى الترمذى^(١) في صحيحه عن رسول الله ﷺ كان يضع لحسان منيراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ، أو قال ينافح عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد حساناً بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله ﷺ».

وقال مسلم في صحيحه: وزاد في حديث صالح - يعني ابن كيسان^(٢) - قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان. وتقول إنه قال:

لعرض محمد منكم وقاء
فإن أبي والله وعرضي

وزاد أيضاً: قال عروة: قالت عائشة: والله، إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أشي قط^(٣)، ثم قتل بعد ذلك شهيداً.
اتسبي (رضي الله تعالى عنه) وأرضاه آمين.

وبذكراً لهذا البيت لسيدنا حسان رضي الله عنه، ويحسن بنا أن نذكر القصيدة التي هو منها في مدح السيد الأعظم رضي الله عنه وهي هذه^(٤):

عفست ذات الأصابع فالجلواء
إلى عذراء منزلها خلاء^(٤)
ديار من بني الحسحاس قفر
تعفتها الدوامس والسماء^(٥)

(١) أخرجه الترمذى (٢٨٤٦) كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، عن عائشة، بنفس الفظ المتقدم.

وقال الترمذى: وفي الباب عن أبي هريرة والبراء، وهذا حديث حسن صحيح غريب.
(٢) صالح بن كسيان، أبو محمد، ويقال: أبو الحارث المدنى، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، ثقة فقيه، ثبت، أخرج له، أصحاب الكتب السنة توفى سنة (٤٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/٣٩٩)، تقريب التهذيب (١/٣٦٢)، الكاشف (٢/٢٢)، تاريخ البخارى الكبير (٤/٢٨٨)، الجرح والتعديل (٤/١٨٠٨)، ميزان الاعتدال (٢/٢٩٩)، لسان الميزان (٧/٢٤٦)، البداية والنهاية (٩/١٩٢)، طبقات ابن سعد (٥/٦٣)، الواقى باللوفيات (١٦/٢٦٨)، سير الأعلام (٥/٤٥٤)، الثقات (٦/٤٥٤).

(٣) ما كشفت عن كنف أشي قط" الكف هنا ثوبها الذى يسترها ، وهو كنایة عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطهن.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧-(٢٧٧٠)] كتاب التوبه، ١٠-باب في حديث الإفك ، وقبول توبه القاذف.

(٥) ذكر ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام (١-٤٧٧).

(٦) عفت: درست، ذات الأصابع والجلواء وعذراء: مواضع بالشام، وكان حسان كثيراً ما يرد على ملوك حسان بالشام في مدحهم، فلذلك يذكر هذه المنازل، خلا: يعني حال.

(٧) بنو الحسحاس: قوم من العرب، الروامس: الرياح تثير التراب، وترمس الآثار وتغطيها وتسوى بها الأرض، السماء: المطر.

حلال مروجها نعم وشاء^(١)
 يؤرقني إذا ذهب العشاء^(٢)
 فليس لقبه منه شفاء^(٣)
 يكون مزاحها عسل وماء^(٤)
 فهن طيب الراح الفداء^(٥)
 إذا ما كان مغث أو لحاء^(٦)
 وأسدًا ما ينهنها اللقاء^(٧)
 تثير النقع موعدها كداء^(٨)
 على أكتافها الأسل الظماء^(٩)
 تلطمهن بالخمر النساء^(١٠)
 وكان الفتح وانكشف الغطاء^(١١)
 يعز الله فيه من يشاء^(١٢)
 وروح القدس ليس له كفاء^(١٣)

وكانت لا يزال بنا أنيس
 فدع هذا ولكن من لطيف
 لشعاء التي قد تيمته
 كان سيئة من بيت رأس
 إذا ما الأشر بات ذكرنا يوماً
 توليهما الملامة أن الملا
 ونشرها فتركتنا ملوكاً
 عدمنا خيلنا إن لم تروها
 ينزع عن الأعناء مصعدات
 تظل جيادنا متمطرات
 فاما تعرضوا علينا اعتمرنا
 وإلا فاصبر والجلاد يوم
 وجبريل رسول الله فينا

(١) المروج: جمع مرج وهو الأرض الواسعة ذات كلاً يرعى، نعم: إيل، شاء: غنم.

(٢) فدع هذا: اترك هذا الحديث، الطيف: خيال النائم يؤرقني: يسهرني ويعنني عن القوم، العشاء: أول الظلام.

(٣) شعاء: اسم المرأة التي يشبع بها حسان، تيمته: استعبدته بالحب وذلةه.

(٤) السيئة: الخمر المشتراء، بيت رأس: مكان بالأردن يحمد خده، ويروي خبيثه وسلامة مكان سيئة والخيئة: المصونة المضنوون بها لتفاستها، والسلامة خلاصة الحمر.

(٥) الأشربات: جمع أشربة جمع شراب وهو ما يشرب كطعام وأطعمة وأطعمرات، الراح: الخمر.

(٦) توليهما الملامة: تحيل عليها اللوم، الملا: فعلنا ما نلام عليه، المغث: الضرب باليد، اللحاء: الملاحة والمعارضة بالكسان.

(٧) ينهنها: يمنعنا و يجعلنا نكف.

(٨) القع: الغيار، كداء: الشية العليا بمكة، أو اسم طريق الجبل في مدخل مكة، وفي الحديث أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح من كداء.

(٩) الأعناء: جمع عنان، و معناها يسابقناه في اللين و سرعة الانقياد، مصيغات: مائلات.

(١٠) متمطرات: مسرعات متسابقات، تلطمهن بالخمر، النساء: تضرب النساء وجوه الخيل بمحمرهن ليزددها عند فرار رجاهن، وفي هذا الخزي والعار.

(١١) تعرضوا علينا: تخلوا لنا الطريق، اعتمرنا: الدنيا العمرة كان الفتح ثبت انكشف الغطاء ظهر ما كان مستوراً.

(١٢) الجلاد: النضارب بالسيوف في القتال.

(١٣) روح القدس: جبريل، كفاء: نظير.

يـقـولـ الـحـقـ إـذـ عـمـ الـبـلـاءـ^(١)
 فـقـلـتـمـ لـاـ نـقـومـ وـلـاـ نـشـاءـ^(٢)
 هـمـ الـأـنـصـارـ عـرـضـتـهـ الـلـقـاءـ^(٣)
 سـبـاءـ أـوـ قـتـالـ أـوـ هـجـاءـ^(٤)
 وـنـضـرـبـ حـيـنـ تـخـطـلـ الـدـمـاءـ^(٥)
 مـغـلـغـلـةـ فـقـدـ بـلـغـ الـخـفـاءـ^(٦)
 وـعـنـدـ اللـهـ فـيـ ذـاـكـ الـجـزـاءـ^(٧)
 فـشـرـكـمـ لـخـيرـكـمـ الـفـداءـ^(٨)
 أـمـيـنـ اللـهـ شـيـمـتـهـ الـوـفـاءـ^(٩)
 وـيـمـدـهـ وـيـنـصـرـهـ سـوـاءـ^(١٠)
 لـعـرـضـ مـحـمـدـ مـنـكـ وـقـاءـ^(١١)
 وـبـحـرـيـ لـاـ تـكـلـرـهـ الـدـلـاءـ^(١٢)

وـقـالـ اللـهـ قـدـ أـرـسـلـ عـبـدـاـ
 شـهـدـتـ بـهـ فـقـوـمـاـ صـدـقـهـ^(١)
 وـقـالـ اللـهـ قـدـ يـسـرـتـ جـنـدـاـ^(٢)
 لـنـاـ فـيـ كـلـ يـوـمـ مـنـ مـعـدـ^(٣)
 فـنـحـكـمـ بـالـقـوـاضـيـ مـنـ هـجـانـاـ^(٤)
 أـلـاـ أـبـلـغـ أـبـاـ سـفـيـانـ عـنـاـ^(٥)
 هـجـوـتـ مـحـمـدـاـ فـأـجـبـتـ عـنـهـ^(٦)
 أـتـهـجـوـهـ وـلـسـتـ لـهـ بـكـفـؤـ^(٧)
 هـجـوـتـ مـحـمـدـاـ بـرـاـ تـقـيـاـ^(٨)
 أـمـنـ يـهـجـوـ رـسـوـلـ اللـهـ مـنـكـ^(٩)
 فـإـنـ أـبـيـ وـوـالـدـهـ وـعـرـضـيـ^(١٠)
 لـسـانـيـ صـارـمـ لـاـ عـيـبـ فـيـهـ^(١١)

(١) عبداً: يقصد رسوله، البلاء: الامتحان والاختبار.

(٢) شهدت به: آمنت به وصدقت.

(٣) عرضتها: همتها وديلتها، عرضتها اللقاء: أقوياء على قتال الأعداء.

(٤) لنا: نحن الأنصار، معد: يزيد قريش فهم من معد بن عدنان أحد أجداد النبي ﷺ.

(٥) حكم: نضع ونقرع من حكمة الراية، أى نفهمهم ونخرسهم بالقولاني، بالقصائد، تختلط الدماء! تستند الحرب ويكثر القتل.

(٦) المغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد، فقد بلغ الخفاء: وضح الأمر.

(٧) رواوا أن الرسول ﷺ قال لحسان عند انتهاءه من هذا البيت: "جزاؤك على الله الجنة يا حسان".

(٨) الاستفهام للإنكار والتوييج ، روى أنه لما انتهى من إنشاد هذا البيت قال من حضر: هذا أنصف بيت قائلته العرب.

(٩) الشيعة: الحلق.

(١٠) معنى البيت : لقد هان أمركم وعز الرسول ﷺ ما يضره هجاوكم وما يسره مرحكم ، على سبيل استفهام الإنكار والإبطال ويكون المعنى : أتتم تهجون ونحن نمدح ، وهل يستوى الفادحون والمادحون .

(١١) عرضي : هنا بمعنى نفسي ، الوفاء الحفظ والحماية .

(١٢) صارم : سيف قاطع .

الباب الرابع عشر

في أنه لم يقل بالإفك ويصدق به وقتئذ إلا عصبة

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصْبَةُ مَنْكُمْ﴾**^(١). وقدمنا أن العصبة هي الجماعة من العشرة إلى الأربعين. فلم يصدق به إلا المنافقون^(٢) ظاهراً، إيداعاً للنبي ﷺ. ومن ذكرنا من الصحابة. ولم يثبت عن غيرهم شيء من الإفك والوقوع به وأما باقي الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فما قالوا إلا خيراً. قال المفسرون عند قوله تعالى: **﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ طَنَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾**.

روي أن أبي أيوب الأنباري (رضي الله تعالى عنه) قال لأم أيوب عليهما السلام: أما ترين ما يقال. فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله بسوء؟ قال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله ﷺ، فعائشة خير مني وصفوان خير منك^(٣). انتهى.

أقول ذلك تبرئةً وظن خير بدليل أنه لا يمكن للرجل أن يتعرض للمرأة بفاحشة إلا إن طن بها إيتانها إياها، وهي السوء. فإذا لم يظن ذلك لا يتعرض لها.

(١) نزلت هذه الآيات في شأن عائشة أم المؤمنين (عليها السلام) حيث رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحث والفرية التي غار الله تعالى بها ولنيه (صلوات الله وسلامه عليه) فأنزل الله تعالى براعتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ فقال تعالى: **“إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصْبَةُ مَنْكُمْ أَيْ جَمَاعَةٌ مِّنْكُمْ يَعْلَمُ مَا هُوَ وَاحِدٌ وَلَا ثَانٌ بَلْ جَمَاعَةٌ فَكَانَ الْمُقْدِمُ فِي هَذِهِ الْعَنَتِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ سَلْوَنَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ يَجْمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهُ حَتَّى دَخَلَ ذَلِكَ فِي أَذْهَانِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَتَكَلَّمُوا بِهِ وَجُوزَهُ آخِرُونَ مِنْهُمْ.** تفسير ابن كثير (٢٧٦/٣).

(٢) قال ابن عبد البر في اختصار المغازي والسير ص ١٩٠، قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول يا رسول الله بلغني أنك تريدين قتيل أبي فإن كنت تريدين ذلك فمرني بقتله، فوالله إن أمرتني بقتله لأقتلنه، وإن أخشعني يا رسول الله إن قتله غيري لا أصبر عن طلب الثأر فأقتل به مسلماً فأدخل النار، وقد علمت الأنصار أني من أبى أبنائنا بأبيه فقال له رسول الله ﷺ صبراً ودعاه، وقال له: بر أبيك، ولا بري منك إلا خيراً.

(٣) في قوله تعالى: **﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ طَنَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ...﴾** الآية قيل أنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنباري وامرأته (عليها السلام) كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبي أيوب: يا أبي أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة (عليها السلام)، قال: نعم وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله قال: فعائشة والله خير منك. تفسير ابن كثير (٢٨١/٣)

وقد قال أبو أيوب^(١): لا أطْن بِحَرَم رَسُولَ اللَّهِ سَوْءًا.

فقالت له أم أيوب: صفوان خير منك، أى لَمَا كَان مَعْرُوفًا بِالْعَفَةِ وَالْدِيَانَةِ كَمَا شَهَدَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا— يَرِيدُ صَفْوَانَ— مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا.

فلا يَظْنَ ذَلِكَ بِالْأُولَى حِيثُ كَانَ صَفْوَانَ خَيْرًا مِنْهُ إِنْفَى الظَّنُّ اِنْفَى الْفَعْلُ بِالْأُولَى. هَذَا مِنْ جَانِبِ صَفْوَانٍ. وَأَمَّا مِنْ جَانِبِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا) فَقَدْ قَالَتْ أُمُّ أَيْوَبَ^(٢): وَلَوْ كَتَتْ أَنَا بَدْلَ عَائِشَةَ— أَيْ زَوْجَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: مَا حَنَتْ رَسُولُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ، وَعَائِشَةَ خَيْرَ مِنِي.

أَيْ لَمَّا هَذَا مِنْ زِيَادَةِ الْفَضْلِ بِالْعِلْمِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَزِيَادَةِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَزِيَادَةِ الْوَرْعِ وَالْعَفَةِ وَالصَّلَاحِ وَالْدِيَانَةِ وَالْعُقْلِ وَالرِّزْنَةِ، وَلِشَهَادَةِ النَّبِيِّ بِقَوْلِهِ خَيْرًا، فَقَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا يَرِيدُ بِأَهْلِهِ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا)... رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ^(٣).

فَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ أَنْ تَخُونَهُ حِيثُ كَانَتْ خَيْرًا مِنْهَا فَهَذَا لَا يَمْكُنُ. فَانْظُرْ كَيْفَ كَانُوا رَضِوَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ يَعْتَقِدُونَ بِالسَّيِّدَةِ عَائِشَةِ الصَّدِيقَةِ، وَبِصَفْوَانَ ظَنَ الْخَيْرِ الْمُسْتَلِزِمِ

(١) شَهَدَ أَبَا أَيْوَبَ الْأَنْصَارِيَ الْعَقِبَةَ وَيَدْرَأُ، وَعَلَيْهِ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ لَمَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَبَقَى فِي دَارِهِ شَهْرًا حَتَّى بُنِيَتْ حَجَرَهُ وَمَسْجِدُهُ. وَكَانَ مِنْ نَجَابِ الصَّحَابَةِ.

وَشَهَدَ الْجَمْلَ وَصَفَّيْنَ مَعَ عَلِيٍّ، وَكَانَ مِنْ خَاصَّتِهِ، وَكَانَ عَلَى مَقْدِمَتِهِ يَوْمُ التَّهْرِوْنَ، ثُمَّ إِنَّهُ غَزَا الرُّومَ مَعَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ اِبْتِغَاءَ مَا عَنْدَ اللَّهِ، وَتَوَفَّى عَنْدَ الْقَسْطَنْطِنْطِينِيَّةِ، فُدْنَفَ هُنَاكَ وَأَمْرَ يَزِيدَ بِالْخَلِيلِ فَمَرَتْ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى غَطَتْ أَثْرَهُ لَثَلَاثًا يَنْبِشُ ثُمَّ إِنَّ الرُّومَ عَرَفُوا مَكَانَهُ قَبْرَهُ، فَكَانُوا إِذَا أَمْلَحُوا كَشَفُوا عَنْ قَبْرِهِ فَطَرَوْا. تَارِيَخُ الْإِسْلَامِ وَفِيَاتٍ (٦٠/٥١).

(٢) أُمُّ أَيْوَبَ: الْأَنْصَارِيَّةُ، الْخَزْرَجِيَّةُ، زَوْجُ أَبِي أَيْوَبَ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ أَبُوهَا خَالٍ زَوْجَهَا اخْرَجَهُ أَبُو دَاؤِدَ وَابْنَ مَاجَةَ.

تَرَجَّمَتْهَا: تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ (٤٦٠/١٢)، تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ (٦١٩/٢)، الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ (٤٦١/٩)، أَسْمَاءُ الصَّحَابَةِ الرَّوَاةِ (٤٢٣).

(٣) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٧٥٠) كَتَابُ التَّفْسِيرِ بَابُ قَوْلِهِ: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ بِالْأَلْفَكَ عَصْبَيَّةً مِنْكُمْ"، عَنْ عَائِشَةَ. وَمَسْلِمُ فِي صَحِيحِهِ [٥٦-٢٧٧٠] كَابَ التَّوْبَةِ ١٠— بَابُ فِي حَدِيثِ الْأَلْفَكِ، وَقَوْلُ تَوْبَةِ الْقَادِفِ، عَنْ عَائِشَةَ.

اعتقاد براعتها. وهذا مقتضى الإيمان لقوله تعالى: **«ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ»**^(١). فقيد ولم يطلق.

الباب الخامس عشر

في تفسير قوله تعالى: «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»

وأن المراد بأهل بيته أزواجه الطاهرات^(٢)، وغيرهن من على وفاطمة وأولادهما (رضي الله تعالى عنهم أجمعين).

إن الله (سبحانه وتعالى) لما أنزل على النبي ﷺ أن يخير نساء الطاهرات بين أن يردن الحياة الدنيا وزيتها، وبين أن يردن الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

وكان أول من اختار ذلك السيدة عائشة^(٣) الصديقة (رضي الله عنها)، وعن أبيها.

(١) قال ابن كثير في تفسير ظن المؤمنون (٢٨٢ / ٣): يعني أباً أويوب حيث قال لأم أويوب ما قال، ويقال إنما قالها أبي بن كعب، وقوله تعالى: «ظن المؤمنون» الخ أى هلا ظنوا الخير فإن المؤمنين أهله وأولى به، هذا ما يتعلق بالباطن.

وقوله: **«فَلَوْلَا»** أى **«بِالْسَّتْهِمْ»**، **«هَذَا إِنْكَ مَبِينٌ»** أى كذب ظاهر على أم المؤمنين (رضي الله عنها)، فإن الذي وقع لم يكن ريبة وذلك أن مجيء أم المؤمنين ركبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش باكمله يشاهدون ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ولو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هذا جهراً ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رعوس الأشهاد بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستوراً، فعین أن ما جاء به أهل الإفك هو الكذب البحث والقول الزور والرعونة الفاحشة الفاجرة.

(٢) أخرج الترمذى (٣٢٠٥) كتاب تفسير القرآن من سورة الأحزاب، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ **«إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»** في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسيناً فجللهم بكساء، وعلى خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال: **«اللَّهُمَّ هُوَلَاءِ أَهْلَ بَيْتِي فَاذْهِبْ عَنْهُمُ الرَّجُسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»**، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبى الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير.

وقال الترمذى: هذا حديث غريب من حديث عطاء عن عمر بن سلمة.

(٣) أخرج البخارى في صحيحه (٤٧٨٦) كتاب تفسير القرآن، وباب قوله: **«وَإِنْ كَنْتَ تَرْدَنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا»** وإن عائشة زوجة النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتحجير أزواجه بده بي فقال: **«إِنِّي ذَاكِرُ لَكَ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكَ أَلَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبْوِيَكَ»** قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا بأمرى بفرارك، قالت: ثم قال: **«إِنَّ اللَّهَ (جَلَ شَانَوْهُ) قَالَ: (بِاَيْهَا الْبَيْ قَلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كَنْتَ تَرْدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيَّتَهَا) إِلَى (أَجْرًا عَظِيمًا)»** قالت فقلت: ففي

أخبرهن تعالى أنه أعد للمحسنات منهن أجرًا عظيمًا، وذكرهن أنه من يأت منهن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين، وأنه من يفتن منهن الله ورسوله وتعمل صالحًا يؤتها أجراها مرتين^(١).

عرفهن أنهن لسن كأحد من النساء، ونهاهن أن يخضعن بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض وأمرهن أن يقلن قولًا معروفاً.

وأن يقرن في بيتهن، ونهاهن أن يتبرجن أي يتبخترن في مشيئن تبرج الجاهلية الأولى أي كبرج النساء في الأيام الجاهلية القديمة^(٢)، وأمرهن أن يقمن الصلاة ويتقين الزكاة، ويطعن الله ورسوله^(٣).

وبينهن أنه إنما يريد ذلك منهن ليذهب عنهن الرجس ويطهرهن تطهيرًا. وأمرهن أن يذكرون ما يتلى في بيتهن من آيات الله والحكمة.

فالضمير في قوله عليكم للزوجات الظاهرات، وذكره ولم يأت به مؤنثًا، ليعلم ذكور أهل البيت كما يعلم نسائهم. فالله تعالى يريد ليذهب الرجس عن أهل البيت الرجال والنساء، لا

أى هذا استأمر أبي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة... الحديث".

(١) قال مالك: عن زيد بن أسلم "يضاعف لها العذاب ضعفين" قال في الدنيا والآخرة، وعن ابن أبي بحرين عن مجاهد مثله، وكان ذلك على الله يسيراً "أى سهلاً هيناً، ثم ذكر عدله وفضله في قوله: "ومن يفتن منكنا لله ورسوله" أى يطع الله ورسوله ويستحبب "نوتها أجراها مرتين وأعدنا لها رزقاً كريماً" أى في الجنة فإنهم في منازل رسول الله ﷺ في أعلى علية فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش.

انظر تفسير ابن كثير (٤٩٨/٨).

(٢) قوله تعالى: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى» قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تتشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية. وقال قتادة: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى» يقول: إذا خرجت من بيتكن وكانت طن من مشية وتكسير وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك. وقال مقاتل بن حبان: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى» والتبرج أنها تلقي الحمار على رأسها ولا تشهد فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج ثم عمّت نساء المؤمنين في التبرج.

تفسير ابن كثير (٤٩٩/٨).

(٣) قوله تعالى: «وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله» نهاهن أولاً عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين، "وأطعن الله ورسوله" وهذا من باب عطف العام على الخاص.

تفسير ابن كثير (٤٩٩/٨).

عن الرجال وحدهم، كما فهم؛ لأن النساء من حيث هن أحرج إلى إذهب الرجل عنهن، وتطهيرهن من الرجال^(١).

فلو أذهب (الله تعالى) الرجل عن الرجال أهل البيت دون نسائهم، وكن رجسات ما ذهب الرجل عن رجال أهل البيت^(٢)؛ لأن الرجل إذا لحق نساء الرجل لحقه إياه نفسه بالضرورة، بل كان أعظم.

كم من تزني امرأته، ويرضى به فإن في ذلك عاراً أكثر من أن يكون زائياً هو نفسه يشهد له جعل الصافى محمد رسول الله ﷺ؟ على وجود على مأموراً خصياً لصفد السوء حينئذ عن أهل البيت بانصراف التهمة عن جاريتها السيدة مارية (رضي الله تعالى عنها) بقوله: ﴿الحمد لله الذي صدف عنا السوء أهل البيت﴾^(٣).

فقد جعل انصراف السوء عنها انصراف عن أهل البيت، فما بالك بالزوجات الطاهرات^(٤) (رضي الله تعالى عنهن)، فثبتت من ذلك أنه لا يذهب الرجل عن الرجال أهل

(١) روى ابن جبیر عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق "إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ" ويطهيركم تطهيرًا نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

وهكذا روى ابن أبي حاتم قال: حدثنا علي بن حرب الموصلى، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

تفسير ابن كثير (٤٩٩/٨).

(٢) روى الترمذى (٣٢٠٦) كتاب تفسير القرآن باب تفسير سورة الأحزاب، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ ويطهيركم تطهيرا﴾.

قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.

(٣) روى مسلم في صحيحه [٦١-٢٤٢٤] كتاب فضائل الصحابة، ٩-باب فضائل أهل البيت النبي ﷺ، قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مrtle مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فادخله، ثم جاء الحسين فادخله معه، ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء على فادخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ ويطهيركم تطهيرا﴾.

(٤) قال عكرمة: من شاء باهلهته أنها نزلت ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ﴾، في شأن نساء النبي ﷺ، فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح. وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظراً فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك.

انظر تفسير بن كثير (٨/٥٠٠).

البيت، إلا أن يذهب عن نسائهم أيضًا.

وإذا وجب حمل أهل البيت على الرجال والنساء منهن، وامتنع تخصيصه بالرجال وحده^(١). ولأن سياق الآيات تظنها وارداً في شأن نساء النبي ﷺ.

فذكر الأهل في معرضين دليل ظاهر لا تقوم معه مكابر في رده على إرادتهن فيه بل على أهن المقصودات بالخطاب بالأصلة، وعلى أن دلالته على غيرهن بالتبعة^(٢).

فإن قلت: إذا كان كذلك فلَمْ يقل (سبحانه وتعالى) عليكن وغلب النساء على الرجال. قلت: إنما نزل القرآن الكريم على عامة فصحاء العرب وأساليبهم في مخاطبائهم ومما ورائهم. والعرب من عادتهم أن يغلبوا الذكور على الإناث لشرفهم عليهم بكمال العقل، وحسن التصرف، ولذا خصوا بإرسال الرسل منهم، وجعل النبوة فيهم.

المذكر أصل للمؤنث وأجاب بعضهم بأنه إنما ذكر الضمير؛ لأنه ينصرف إلى الأهل. والأهل مذكر فسماهن باسم التذكير. وإن كن إناثاً.

فإن قيل: هل من دليل غير ما ذكرت لدى المخالفين في أن أزواج النبي ﷺ الطاهرات من أهل البيت لا يدحضن.

قلت: قد اعترفوا أنفسهم أن أهل البيت خمسة: النبي ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين (رضي الله تعالى عنهم)^(٣).

(١) قال ابن كثير في تفسير (٥٠٢/٨): الذي لا شك فيه تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داولات في قوله تعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهراً» فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: «واذكرن ما يتلى في بيوتكم من آيات الله والحكمة» أي وأعلمت بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكم من الكتاب والسنّة، قال قتادة وغيره واحد.

(٢) روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم وفيه قام فيها رسول الله ﷺ خطيباً بماء يدعى خمساً بين يدي مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «اما بعد الا ليها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأحبيب وأنا تارك فيكم تقلين أو لحاما كتاب الله تعالى منه المدى والنور فخلعوا بكتاب الله واستمسكوا به ببحث على كتاب الله ﷺ ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي اذكر الله في أهل بيتي ثلاثة، فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصلة بعده. انظر تفسير ابن كثير (٥٠٢/٨).

(٣) روى الترمذى (٣٧٨٨) كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيته النبي ﷺ، عن زيد بن أرقم: قال يا رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحلمها أعظم من الآخر: كتاب الله جبل ممدوذ من السماء إلى الأرض، وعترى أهل بيته ولن يتفرقوا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف

فحيث كان النبي ﷺ من أهل البيت. بل سيدهم وبه شرفوا كانت أزواجه الطاهرات من أهل البيت على ما أوضحنا. ويؤيد عطف قوله تعالى: **﴿وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بَيْوَتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾**^(١). فإنه خطاب لهن أيضاً.

فكان الكلام على أسلوب واحد ووتيرة واحدة كما هي عادة العرب على أن أولى الآيات وتمامها إلى (قوله تعالى): **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رَجَالِكُمْ﴾**^(٢) (جيمعاً في نسائه الطاهرات (عليه وآلـهـ الصلاة والسلام).

فلا معنى لإخراجهن من هذه الآية بخصوصها ولا سبب له إلا التحكم.

كيف وقد نقل الصافي نفسه عن رسول الله ﷺ أنه عندما أخبره على عليه السلام أن مأموراً خصي. قال: "الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت" فحيث كان السوء لاحقاً بحسب الظاهر مارية (رضي الله تعالى عنها)، المبرأة وظهرت براعتها، قال عليه السلام ذلك.

ولو لم تكن السيدة مارية من أهل البيت لما صرح من قوله عليه السلام ذلك، لأن انصراف السوء عنها إذا لم تكن من أهل البيت، لا يكون انصرافاً عن أهل البيت، فلا يتمشى قوله ذلك.

وحيث كانت جارية النبي ﷺ ^(٣) من أهل البيت بالنص القطعي عند الشيعة، فلأن تكون

تخلفوني فيهما". وقال الترمذى: حديث حسن غريب.

(١) سورة الأحزاب (٣٤). أي واعملن بما ينزل الله (تبارك وتعالى) على رسوله عليه السلام في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، وادركن هذه النعمة التي خصصتكم بها من بين الناس أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس. **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لِطِيفًا خَبِيرًا﴾** أى ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله، والحكمة هي السنة خيراً لكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً.

تفسير ابن كثير (٥٣/٨).

(٢) سورة الأحزاب (٤٠). نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد أى لم يكن أباً وإن كان قد تبناء فإنه عليه السلام لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه عليه السلام ولد له القاسم والطيب والظاهر من خليفة (عليها السلام) فماتوا صغاراً، وولد له عليه السلام إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضاً رضيعاً، وكان له من خديجة أربع بنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة (رضي الله عنهم أجمعين).

(٣) أزواج النبي عليه السلام فيما قاله سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن رسول الله عليه السلام تزوج خمس عشرة امرأة دخل بثلاث عشرة منها واجتمع عنده منهن إحدى عشرة، وبقى من تسع.

خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث الملالية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية وزينب بنت جحش الأسدية ، وصفية بنت حبي بن أخطب الخيرية. ومن سارايره: مارية أم إبراهيم، وريحانة من بنى قريظة، وكانت له جارية نفيسة وهبها له زينب بنت جحش. تاريخ الإسلام في ذكر أزواجه وعددهن من الجزء الأول.

زوجاته الطاهرات من أهل بيته أولى. وقد تقدمت الإشارة لذلك فلا تغفل والاختلاف بين العلماء في أهل البيت هنا من قال: هل هم أزواجه الطاهرات فقط، أو على وفاطمة والحسن والحسين خاصة^(١).

والاختلاف قديم شائع. لكن الشيعة تمسكت بالثاني، وزادت تسعه من ولد الحسين^(٢) في نقل عن الإكمال. وزادت الأئمة ولايتهم، ومن دخل فيها، في نقل عن الكافي. والأول عجيب حيث خص تسعه من أولاد الحسين.

والثاني أعجب حيث زاد ولايتهم، ومن دخل فيها، وجعل ولايتهم من أهل البيت. والداخل فيها، وأعجب من هذا وذاك إخراج الزوجات الطاهرات من أهل البيت مع أئمهم وألئك^(٣) رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة باتفاق الشيعة على ذلك.

فأي ولادة أعظم من هذه.

فإدخال من ولد أهل البيت فيهم^(٤)، وإخراج الزوجات الطاهرات منهم مع ولايتهم لا

(١) الشيعة هم الذين شاعروا عليه ﷺ وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين الذي لا يجوز للرسل (عليهم السلام) إغفاله وإهماله ولا تقويه إلى العامة.

موسوعة الفرق والجماعات (ص ٢٦٥).

(٢) ولد الحسين يبدأ من على زين العابدين المتوفي (٩٤) هـ، ومحمد الباقر المتوفي (١١٧) هـ، وزيد بن علي توفي (١٢١)، وولداه يحيى وعيسى، ثم جعفر الصادق بن محمد الباقر، توفي (١٤٨) هـ وأولاده إسماعيل وعبد الله الأفطح وموسى الكاظم، وإسحاق، ومحمد الديماج وهكذا.

المرجع السابق ص ٢٦٩.

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٠/٧٦) قوله: "وكان آلى منهن شهراً" هو بدم الهمزة، وفتح اللام ومعنى حلف لا يدخل عليهن شهراً، وليس هو من الإلاء المعروف في اصطلاح الفقهاء، وصار عندهم الامتناع من وطء الزوجة، ولا خلاف في هذا إلا ما حكى عن ابن سيرين أنه قال: الإلاء الشرعي محمول على ما يتعلق بالزوجة من ترك جماع أو كلام أو اتفاق، قال القاضي عياض: لا خلاف بين العلماء أن مجرد الإلاء لا يوجب في الحال طلاقاً ولا كفارة ولا مطالبة ثم اختلفوا في تقدير مدته.

(٤) روى مسلم في صحيحه [٢٢-١٤٧٥] كتاب الطلاق ٤-باب بيان تخيير امرأه لا يكون طلاقاً إلا بالالية، أن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتحجير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمرأ فلا عليك أن لا تعجل حتى تستأمرني أبويك" قالت: قند علم أن أبوي لم يكونوا ليأمراني بفراقه، قال: ثم قال: إن الله يعذك قال: «يا أباها النبي قل لأزواجهك إن كتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالىن ...» الآية.

داعی له إلا التحكم والغرض، والبغض لهن، وإيذاء رسول الله ﷺ سیما ولنهن من جملة الموالین والداخلین في ولایتهن.

ولفظ أهل البيت لا يدل على تلك الزيادات فإن أقیناه على ظاهره دل على الزوجات الطاهرات فقط.

وإن قلنا المراد به الأعم، ونظرنا لحديث العباءة لا يشمل أولادهم، وإن شمل أولادهم لا مخصص له بأولاد الحسين دون الحسن^(١).

وإن خصصناه بأولاد الحسين فلا مخصص له بتسعة^(٢) منهم فقط، وفي كل حال لا يمكن إدخال الولاية في أهل البيت مطلقاً تمازلاً وسلمنا. والولاية هنا إما بمعناها أو بمعنى الموالاة وكلها معنى مصدري.

وعلى كل حال لا يمكن أن يراد واحد منهما؛ لأنه لا معنى لأن يكون المعنى المصدري من أهل البيت^(٣) مهما كان معناه.

وإذا تناولنا وقلنا: إن المراد لها على المعنى الأول والموالون لهم من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل، وعلى المعنى الثاني موالיהם أي مماليكهم من إطلاق المصدر، وإرادة اسم المفعول.

قالت: فقلت: في أى هذا استأمر أبي؟ ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت".

(١) أولاد الحسن عليه السلام هم: الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والذى توفي سنة (٧٨)، وولداته: إبراهيم بن الحسن بن علي المتوفى (١٤٥) وأخوه محمد بن الحسن الملقب بالنفس الزكية المتوفى (١٤٥) هـ. انظر موسوعة الفرق والجماعات (صـ ٢٦٩)

(٢) التسعة المشارية إليهم هم :

- ١- علي بن الحسين (زين العابدين) توفي (٩٤) هـ.
 - ٢- محمد الباقر ، توفي (١٤٨) هـ.
 - ٣- جعفر الصادق ، توفي (١١٧) هـ.
 - ٤- موسى الكاظم ، توفي (١٨٣) هـ.
 - ٥- علي الرضا ، توفي (٢٠٣) هـ.
 - ٦- محمد الحنود النقى ، توفي (٢٢٠) هـ.
 - ٧- علي الهادى النقى توفي (٢٥٤) هـ.
 - ٨- الحسن العسكري ، توفي (٢٦٠) هـ.
- المرجع السابق ، صـ ٢٦٩

(٣) قوله تعالى: «إنما يرید الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...» الآية، هذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هنـا لأنـهن سبـب نـزول هـذه الآـية وسبـب التـزول دـاخـل فـيه قـولاً وـاحـداً، إما وـحدـه عـلـى قولـ أو معـ غيرـه عـلـى الصـحـيـحـ.

تفسـير ابنـ كثير (٤٩٩/٨).

يرده قوله بعد: ومن دخل فيها لأنه لا معنى لقوله: ومن دخل في الموالين أو في الموالى لأن الدخول في الولاية لا في الأشخاص الموالين أو الموالى؛ ولأنه يلائم المعنى المصدرى^(١). فإن قلت: المراد بمن دخل فيها من صار من الموالين أو الموالى.

قلت: يكون ذكره (ح)^(٢) عبئاً لأنه دل عليه لفظ ولايهم، وهذا الارتباط مما يؤيد اختلاف هذا الخبر كغيره للغاية المقصودة عندهم، فليحرر وهكذا ما ذكره الصافى في تفسير هذه الآية الكريمة ونصه: "إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا".

قال القمي: ثم انقطعت مخاطبة نساء النبي ﷺ. وخطاب أهل بيت رسول الله "وادكروا ما يتلى" ثم عطف على آل محمد فقال: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ..." الآية.

وعن الباقر: نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب وفاطمة^(٣) والحسن والحسين، وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين^(٤)، وفاطمة والحسن والحسين ثم ألبسهم كساء له خيرياً.

ودخل معهم فيه ثم قال: "اللَّهُمَّ هُوَلَاءِ أَهْلُ بَيْتِ الَّذِينَ وَعَدْتَنِي فِيهِمْ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ اذْهَبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا"^(٥).

فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ فقال: أبشرني يا أم سلمة فإنك إلى خير.

وعن زيد بن علي بن الحسين^(٦)، أن جهالاً من الناس يزعمون أنه إنما أراد الله بهذه الآية

(١) من فوائد حديث الإفك: كراهة الإنسان صاحبه وقربيه إذا أذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح كما فعلت أم سلطان في دعائهما عليه.

ومنها: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين، ومنها: العفو والصفح عن المسىء، ومنها: غضب المسلمين عند اتهامك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك.

انظر شرح مسلم للإمام النووي (١٧/١٠٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(*) كذا بالأصل ومعناها الحديث.

(٢) روى البخاري في صحيحه (٤/٣٧١) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ١-باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: "فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني".

(٣) يقصد سيدنا علي بن أبي طالب رض.

(٤) وفي رواية مسلم [٦١-٢٤٢٤] في فضائل الصحابة ٩- باب فضائل أهل البيت، عن عائشة ولفظه تقدم، وفيه: "وعليه مرط مرحل" قال النووي: المرط بكسر الميم وهو كساء جمعه مروط وقوله تعالى: "إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ" قيل: هو الشك، وقيل: العذاب، وقيل: الإمام، قال الأزهري: الرجس اسم لكل مستقذر من عمل. شرح مسلم للنوعي (١٥/١٥).

(٥) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين الملنى، الحاشى، ثقة، وكان أحد العلماء

أزواج النبي ﷺ، وقد كذبوا وأشموأيمن الله.
ولو عن أزواج النبي ما قال: **لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا**،
ولكان الكلام مؤثثاً كما قال: **(وَأَذْكُرْنَ مَا يُتَلَى فِي يُوْتَكُنَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ)**^(١)، **(لَسْتُمْ كَائِنَدْ مِنَ النِّسَاءِ)**.

والعيashi عن الباقر: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن أن الآية ينزل
أولها في شيء، وأوسطها وأخرها في شيء.

ثم قال: **لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا**^(٢) من ميلاد الجاهلية
وفي الكافي عن الصادق في هذه الآية قال: يعني الأئمة وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت

النبي ﷺ.

وعنه عن النبي ﷺ أنه قال^(٣) في حديث: "أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سأله

الصلحاء، بدت منه صفوة فاستشهد فكانت سبباً لرفع درجته في آخرته، أخرج له أصحاب السنن
الأربعة، توفي سنة (١٢٠، ١٢٢) وقد روى أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء أو غيره أن زيد بن علي
وفد من المدينة على يوسف بن عمر التفني أمير العراقيين الحيرة فأحسن جائزته ثم رجع إلى لمدينه
فأتاه ناس من أهل الكوفة فقالوا: ارجع فليس يوسف بشئ فتحن تأخذ بك الكوفة فرجع العسكر
العربي فقتل زيد في المعركة ثم صلب فبقي معلقاً أربعة أيام ثم أُنزل فاحرق فإنما الله وإنما إليه
راجعون. تاريخ الإسلام وفيات (١٣٠/١٢١).

(١) قال البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام، عن قتادة، عن مورق، عن أبي
الأحوص، عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الْمَرْأَةَ عُورَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرِفَهَا الشَّيْطَانُ
وَأَقْرَبَ مَا تَكُونُ بِرُوحِهِ رَهَبًا وَهِيَ فِي قَعْدَتِهِ".

وقد روى أبو داود عن النبي ﷺ قال: "صلوة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتهما وصلاتها في
بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها". تفسير ابن كثير (٤٩٩/٨).

(٢) روى الإمام أحمد، حدثنا عبد الله بن شير، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح،
حدثني من سمع أم سلمة رضي الله عنها تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة رضي الله عنها بيرمة فيها خزبرة
فدخلت عليه بها فقال رضي الله عنها لها "ادعى زوجك وابنيك" قال: فجاء على وحسن وحسين رضي الله عنهم
فدخلوا عليه يجلسوا يأكلون من تلك الخزبرة وهو على منامة له وكان تحته رضي الله عنها كساء حميري، قالت:
وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عجل هذه الآية **إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**
وَيُظَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا قالت رضي الله عنها فأخذ رضي الله عنها كساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألوي بها إلى
السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. انظر تفسير
ابن كثير (٥٠٠/٨).

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٤٠٨-٣٦] كتاب فضائل الصحابة، ٤ - باب من فضائل علي بن أبي

يُعْلَمُ أَنَّ لَا يَفْرَقُ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدُهُمَا عَلَى الْحَوْضِ، وَأَعْطَانِي ذَلِكُّ".

وَقَالَ: "لَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّمَا أَعْلَمُ بِكُمْ".

وَقَالَ: "إِنَّمَا لَنْ يَخْرُجُوكُمْ مِّنْ بَابِ هَدِيٍّ، وَلَنْ يَدْخُلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالٍ".

قَالَ: فَلُو سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَبْيَنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ لَادْعَاهُ أَلْ فَلَانَ وَآلَ فَلَانَ^(١).

وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ لِنَبِيِّهِ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ) الْآيَةُ.

وَكَانَ عَلَى الْحَسْنِ وَالْحَسْنِ وَفَاطِمَةَ فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى الْكَسَاءَ فِي بَيْتِ أَمِّ سَلَمَةَ^(٢).

وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ نَبِيًّا أَهْلًَا وَثَقَلًا، وَهُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَتَقْلِي. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ:

أَلْسَتْ مِنْ أَهْلَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ خَيْرٌ^(٣)، وَلَكِنَّهُؤُلَاءِ أَهْلِي وَتَقْلِي".

وَقَالَ فِي آخرِ الْحَدِيثِ: "الرِّجَسُ، هُوَ الشَّكُّ وَاللَّهُ لَا نَشْكُ فِي رَبِّنَا أَبَدًا".

وَفِي الْخَصَالِ: فِي احْتِجَاجٍ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: فَأَنْشَدْتُكَ بِاللَّهِ إِلَيْيَّ وَلِأَهْلِي وَوَلْدِي آيَةٌ

طَالِبٌ ﷺ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمْ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِي نَاسٍ حَطِيَّاً، قَالَ: أَمَا بَعْدَ أَلَا يَأْتِيَ النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِّكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيمَا تَقْلِينَ، أَوْلَمْهَا كِتَابُ اللَّهِ فِي الْهُدَى وَالنُّورِ فَخَلُوْلُهُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ فَفَحَثَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَأَهْلُ بَيْتِي، اذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، اذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي".

قَالَ لَهُ حَصِينٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدَ، أَلِيْسَ نَسَاوَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نَسَاوَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ حَرَمِ الْصَّلَوةِ بَعْدِهِ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هُؤُلَاءِ حَرَمُ الْصَّلَوةِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

(١) قَالَ التَّوْرُوْيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (١٤٦/١٥) فِي قَوْلِهِ: "وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ حَرَمِ الْصَّلَوةِ" الْمَرَادُ بِالصَّلَوةِ الْزَّكَّةُ، وَهِيَ حَرَامٌ عِنْدَنَا عَلَى بْنِ هَاشِمٍ وَبْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِّبِ، وَقَالَ مَالِكٌ: بْنُ هَاشِمٌ فَقْطٌ وَقَلِيلٌ بْنُ قَصْبٍ، وَقَلِيلٌ قَرِيشٌ كُلُّهُ.

وَالْمَعْرُوفُ فِي مُعْظَمِ الْرَوَايَاتِ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ: نَسَاوَهُ لِسْنُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَتَتَوَلَّ الرَوَايَةُ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ أَهْنِنَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ يَسَاكِنُونَهُ وَيَعْوِظُمُونَهُ وَأَمْرُ باحْتِرَامِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ وَسَامِهِمْ ثَقَلًا وَوَعْظَ فِي حَقْوَهُمْ وَذَكْرُ فَسَاؤَهُ دَاخِلَاتٍ مِنْ هَذَا كُلُّهُ وَلَا يَدْخُلُنَّ فِيهِنَ حُرْمَ الْصَّلَوةِ.

(٢) حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ (٣٢٠٥) كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ ثُمَّ ذَكْرُهُ فِي الْمَثَابِ (٣٧٨٧) بَابُ مَنَاقِبِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٣) وَفِي رَوَايَةِ التَّرْمِذِيِّ "أَنْتَ عَلَى مَكَانِكَ" يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنْتَ عَلَى خَيْرٍ وَإِنْ لَمْ تَكُونِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي.

وَقَوْلُهُ: إِنَّكَ خَيْرٌ، وَلِفَظُ التَّرْمِذِيِّ "عَلَى خَيْرٍ" وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَنْتَ خَيْرٌ عَلَى مَكَانِكَ مِنْ كُونِكَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلَا حَاجَةٌ لَكَ فِي الدُّخُولِ فِي الْكَسَاءِ. انْظُرُ التَّرْمِذِيَّ وَهَامِشَهُ (٣٢٨/٥).

التطهير من الرجس أم لك وأهل بيتك؟ قال: بل لك وأهل بيتك. قال: فأنشدك بالله، أنا صاحب دعوة رسول الله وأهلي وولدي يوم الكساد". اللهم هؤلاء أهلي (إليك لا إلى النار) (*) أم أنت؟ قال: أنت وأهل بيتك.

وفي احتجاجه عن الناس يوم الشورى^(١) قال: أنشدكم الله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله ﷺ الآية. فأخذ رسول الله ﷺ كساءً خيرياً فمضني فيه وفاطمة، والحسن والحسين، ثم قال: يا رب هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً غيري. قالوا: اللهم لا.

وفي الإكمال: عن أمير المؤمنين أنه قال في جمع من المهاجرين والأنصار^(٢) في المسجد أيام خلافة عثمان: "أيها الناس أتعلمون أن الله عَزَّلَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا)" فجمعوني وفاطمة وابني حسناً وحسيناً، وألقي علينا وقال: "اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وحّمتني بؤلمني ما يؤلمهم، وبحرجني ما يخرجهم (بالماهش لعله يحزنني ما يحزنهم)، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً".

*) كذا بالأصل.

(١) يوم الشورى هو يوم الاستخلاف بعد عمر رضي الله عنه فقد جعل الأمر سنة من بعده قال عمر: ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو عنهم راض فسمى السنة هم (عثمان، علي، عبد الرحمن بن عوف، طلحة، والزبير، وسعد) وقال عمر: يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء فإن أصابت الإمارة سعداً فهو ذاك وإنما فليست عن به أيكم ما أمر.

وجعل طلحة أمره إلى عثمان، وجعل الزبير أمره لعلي وجعل سعد أمره لعبد الرحمن، وقال عبد الرحمن: أنا لا أريدها، ثم قال: اجعلوه إلى، فكانت بيعة عثمان (رضي الله عنهما) أجمعين).

تاریخ الإسلام وفیات (٢٣).

(٢) قال علي بن الحسين: جاءني نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر ثم أسرعوا في عثمان فلم يتركوا فقلت لهم: ألا تخبروني أنت المهاجرون الأولون الذين قال الله عَزَّلَ: (الذين أخرجو من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضاواناً وينصرُون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) قالوا: لا.

قال: أنت من (والذين تبوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) قالوا: لا، قلت: أما أنت فقد تبرأ من أن تكونوا واحداً من الفريقيين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" اخرجوا فعل الله بكم.

قالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت أو إنك على خير، إنما أنزلت في وفي أخي وفي ابنتي وفي تسعه من ولد ابني الحسين^(١) خاصة، ليس معنا أحد غيرنا فقالوا كلهم: نشهد أن أم سلمة حدثنا بذلك فسألنا رسول الله فحدثنا كما حدثنا أم سلمة (عليها السلام). وفي العلل: عن الصادق نزلت هذه الآية في النبي ص، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة.

فلما قبض الله ع نبيه كان أمير المؤمنين، ثم الحسن، ثم الحسين. ثم وقع تأويل هذه الآية: **﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَى بِيَعْصِي فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** وكان علي بن الحسين، ثم جرت في الأئمة بعده من ولده الأووصياء^(٢). فطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله ع.

أقول: الرواية في نزول هذه الآية في شأن الخمسة^(٣) أصحاب العبادة من طريقة الخاصة والعامة، أكثر من أن تتحقق.

وقد ذكر في المجمع من طريق العامة منها ما ذكر من إرادة فليطلب منه. انتهى.
فقد علمت أن إخراج أزواج رسول الله ص الطاهرات جميعهن من أهل البيت. قصد أن يخرج السيدة عائشة الصديقة المبرأة بغضها بها وحسدا لها.

(١) تقدمت أسماؤهم وهذا ما تعتقد الشيعة فمع التسعه يضم سيدنا على وولدها الحسن والحسين (رضي الله عنهم) ويصبح العدد اثنا عشرة وهي طائفة تسمى الاثنا عشرية، وهم الشيعة الإمامية الذي قالوا بوجود سلسلة من اثني عشر إماماً ترتيبهم كالتالي: على المرتضى، الحسن المجتبى، والحسين الشهيد، وعلى زين العابدين السجاد، ومحمد الباقر، وعصر الصادق، وموسى الكاظم، وعلى الرضا، ومحمد التقى، وعلى النقى، والحسن العسكري الزكي ومحمد المهدي الحجة، ويقولون أن محمدآ المهدي استر وسيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً.
(موسوعة الفرق والجماعات ، ص ١٩).

(٢) تقدم الكلام عن أولاد الإمام الحسين وما قالته الشيعة فيهم وهم تسعه أوردوناهم من قبل وأطلقوا عليهم الأئمة وطائفة تسمى الاثنا عشرية الإمام على وأولاده الحسن والحسين وأولاد الحسين التسعه.

(٣) قال الذهبي: خلفت فاطمة من الأولاد الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم فاما زينب فتزوجها عبد الله بن جعفر، فتوفيت عنده وولدت له عوناً وعلياً ، وأما أم كلثوم فتزوجها عمر، فولدت له زيداً ثم تزوجها بعد قتل عمر عون بن جعفر فمات، ثم تزوجها أخوه محمد بن جعفر فولدت له بنته، ثم تزوج بها عبد الله بن جعفر فماتت عنده، قاله الزهرى.

وخصصه بأهل العبادة، وهذا وان نقل عن أبي سعيد الخدري^(١)، ومجاحد^(٢)، وقادة، فليس مراد الصافي وأحزان واتباعهم، بل مرادهم أزواج الأزواج الطاهرات.

وهو مردود؛ لأن لفظ الأهل يشمل الزوجة حقيقة لا مجازاً في أصل اللغة العربية. قال الله تعالى: **﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْتَيْنِ﴾** ذكر وأثنى. **﴿وَأَهْلَكَ﴾**: أريد أمرأته وبنوه ونساؤهم. كذا فسر الصافي نفسه هذه الآية الكريمة. فنص على أن المراد بالأهل فيها أمرأته وغيرها من نساء أولاده.

وقد نص الصافي نفسه على أن المراد بالأهل في قوله (تعالى) في قصة نوح **﴿الْكِلَلَ﴾**^(٣): **﴿وَأَهْلَكَ﴾**: أمرأته ونساء بيته.

وأمثال ذلك في القرآن كثيرة، منها قوله تعالى **﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾**^(٤) **﴿إِلَهٌ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾**^(٥).

فإن قلت: إن أهل البيت غير الأهل، فإن ما استدللت به بلفظ **﴿وَأَهْلَكَ﴾**.

(١) أبو سعيد الخدري هو سعيد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الأنصاري الخزرجي الخدري، صاحب رسول الله **ﷺ**، كان من فضلاء الصحابة بالمدينة، شهد الخندق وما بعدها من المشاهد، وروى عن النبي **ﷺ**، وعن أبي بكر، وعمر وعنه: زيد بن ثابت وابن عباس وجابر بن عبد الله، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب وغيره، توفي سنة (٣/٧٤).

تاریخ الإسلام وفیات (٧١/٨٠).

(٢) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي المخزومي، مولى قيس بن السابت، ثقة إمام في التفسير وفي العلم آخر له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٠١، ١٠٢، ١٠٣) ترجمته: تهذيب التهذيب /١٠

(٤) تقریب (٢٢٩/٢)، الكاشف (١٢٠/٣) التاریخ الكبير (٤١١/٧)، الجرح والتعديل (٨/٤٢) میزان الاعتدال (٤٣٩/٣) لسان المیزان (٤٣٩/٧)، الحلیة (٣٤٩/٧)، البداية والنهایة (١٤٦٩)، نسیم الریاض (١٤٢/٣)، سیر الأعلام (٤٤٩/٤)، الثقات (١٦٨٦).

(٥) نص الآية من سورة المؤمنون (٢٧): **﴿فَأَوْهَنَاهُ إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْنَاهُ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ الْتَّشْوُرُ فَأَسْلَكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْتَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾**.

(٦) سورة العنكبوت (٣٣) ونصها: **﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾**.

(٧) سورة هود (٨١) ونصها: **﴿وَلَا يَلْتَقِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِلَهٌ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾**.

والمستدل له بلفظ أهل البيت. قلت: لا فرق بينهما في المعنى لأن آل في البيت عوضاً عن المضاف إليه، والمعنى أهل بيت رسول الله ﷺ والمقصود من ذلك كله أهله (عليه وآل الصلاة والسلام).

وعلي، وفاطمة، وأولادهما^(١) لم يكونوا من أهل بيت النبي الذي كان يبيت فيه إذ ذاك بل كان أهل بيته الذي يبيت فيه وقتند أزواجه الطاهرات.

فإذا أردنا بالبيت معناه الحقيقى لا يصدق الآية إلا على أزواجه اللاتى كن في بيته. وهو قول حبر الأمة ابن عباس^(٢) (رضي الله تعالى عنهم)، وعكرمة^(٣)، وعطاء^(٤)، والكلبى^(٥)، ومقاتل^(٦).

(١) روى ابن حجر بن سندة عن أبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب على وفاطمة (رضي الله عنهما) فقال: «الصلاحة إنما يريده الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». رواه الترمذى في سنته.

(٢) حبر الأمة هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهو البحر الحبر ابن عم رسول الله ﷺ، وأبو الخلفاء العباسيين، ولد في شعب بنى هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، وذكر ابن عباس أنه يوم حجة الوداع كان قد ناشر الاحتلام، صحب النبي ﷺ بالحكمة مرتين.

وقال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس روى أحمد في مسنده (٣١٤/١) عن ابن عباس قال: في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي ﷺ غسلاً فقال: «من وضع هذا؟» قالوا: عبد الله، فقال: «اللهم علّمه التأويل وفقهه في الدين». انظر تاريخ الإسلام وفيات (٦١-٦٣).

(٣) عكرمة، أبو عبد الله البربرى، الملنى مولى ابن عباس، القرشى، الهاشمى، ثقة عالم بالتفسير ولم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة (١٠٧-١٠٩).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/٢٦٣)، تقريب التهذيب (٢/٣٠)، الكاشف (٢/٢٧٦)، التاريخ الكبير (٧/٤٩)، والتاريخ الصغير (١/١٩١)، (٢٤٣)، ميزان الاعتدال (٣/٣٢٦)، الثقات (٥/٢٢٩)، سير الأعلام (٥/١٢)، والبداية والنهاية (٩/٤٤).

(٤) الكلبى هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى، أبو النصر، الكلبى الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب، ورمى بالرفض أخرج له الترمذى وابن ماجة في التفسير، توفي سنة (٤٦).

ترجمة: تهذيب التهذيب (٩/١٧٨)، تقريب التهذيب (٢/١٦٣)، الكاشف (٣/٤٦)، التاريخ الكبير (١/١٠١)، التاريخ الصغير (٢/١٥)، الجرح والتعديل (٧/١٤٧٨)، ميزان الاعتدال (٣/٥٥٦)، لسان الميزان (٧/٣٥٩)، ونسيم الرياض (١/٩٥)، سير الأعلام (٦/٤٨).

(٥) مقاتل بن حبان، أبو بسطام النبطى، البلخى، الخراز، الخراسانى، صدوق فاضل، أخططاً الأزدي في زعمه

وسعيد بن جبیر، فقد قالوا: إن أهل البيت المذکور في الآية هم زوجات النبي ﷺ خاصة. وقد جاء لفظ أهل البيت في القرآن الكريم في غير هذا الموضوع. وأدخل الصافی نفسه فيه الروحة.

قال (عمر شانه): **قالوا أتعجبين منْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ** ^(١).

قال الصافی: يعني هذه وأمثالها مما يكرمه الله به يا أهل بيت النبواة. انتهى.

فالخطاب في قوله: **أتعجبين** إنما هو لسارة زوج سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكذا في قوله "عليكم" إذ لا معنی لأن يكون الخطاب لها في قوله: **أتعجبين منْ أَمْرِ اللهِ** وتكون غير داخلة في قوله **عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ** وكما أضاف (سبحانه وتعالی) البيت إلى سارة زوج سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كذلك إضافة إلى الأزواج الظاهرات فقال عز شأنه: **وَادْكُرُنَّ مَا يُتَلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ** ^(٢).

وعلمون أن بيوتهن المذکورة التي يتلى فيها آيات الله والحكمة هي بيوت النبي ﷺ.

وأضافها (سبحانه وتعالی) إليهن لأنهن أهلها، فالبيوت المذکورة هي بيوت النبي ﷺ لا يومهن. فإضافتها إليهن دليل على أنهن أهلها وإلا لما صرح بإضافتها إليهن.

وقد ورد أيضاً إطلاق أهل بيتي وأهلي في الحديث الشريف على عائشة بخصوصها في قوله ﷺ: من يعذرني من رجل قد بلغني أذاته في أهل بيتي ^(٣).

أن وكيعاً كذبه، وإنما كذب مقاتل بن سليمان بن بشر، وأخرج له: مسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة ١٥٠.

ترجمة: تهذيب التهذيب (٢٧٧/١٠)، تقریب التهذیب (٢٧٢/٢)، الكاشف (١٧١/٣)، التاريخ الكبير (١٣/٨)، التاريخ الصغير (١١/٢، ٢٤)، المحرح والتعديل (٨/١٦٢٧)، ميزان الاعتدال (٤/١٧١)، لسان الميزان (٧/٣٩٧)، سير الأعلام (٦/٣٤٠)، البداية والنهاية (١٠/٢٦).

(١) سورة هود (٧٣).

(٢) سورة الأحزاب (٣٤).

(٣) تقدم الحديث في البخاري ومسلم.

وقال ابن كثير في تفسيره (٨/٢٥) لم ينزل الوحي على رسول الله ﷺ في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه.

قال بعض العلماء: لأنه لم يتزوج بكرأً سواها ولم ينم معها رجل في فراشها سواه ^ﷺ و(عليه). فناسب أن تخصص بهذه المزية وأن تفرد بهذه المرتبة العلية، ولكن إذا كان أزواجاً من أهل بيته فقرباته أحق بهذه التسمية كما تقدم "أهل بيتي أحق".

وقد كان الإيذاء في عائشة لا في على أو فاطمة وأولادهما.

فإن تجرأ متجرئ على الله ورسوله وسائل: هل أصرح من هذا؟ أجيبه: نعم. قد صرَّ النبي ﷺ بأن أزواجه هن أهل البيت، بل أطلق على كل واحدة منهن أهل البيت. وذلك لما بني بزينة ابنة حخش^(١) أم المؤمنين (رضي الله تعالى عنها)، ودعا الصحابة لوليمتها، و جاءوا قوماً يأكلون ويخرجون حتى قال أنس: يا نبي الله، ما أجد أحداً أدعوه.

فقال رسول الله ﷺ: "ارفعوا طعامكم"^(٢).

وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، وذلك قبل نزول آية الحجاب. فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله^(٣).

فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف أهلك؟ بارك الله^(٤)، فانصرف إلى حجر نسائه كلهن، وهو يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة كما في البخاري. وهذا غاية صراحة في كونهن هن أهل البيت.

لا يمكن المراوغة في رده أو خدشه، أو التكلم فيه أو التعرض له، وإطلاق لفظ أهلي عليها خاصة، في قوله ﷺ: "فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً"^(٥).

(١) روى مسلم في صحيحه [١٠١-٢٤٥٢] كتاب فضائل الصحابة، ١٧-باب فضائل زينب أم المؤمنين (رضي الله عنها)، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "اسرعن حلقاً بي، أطولكن يداً" قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.

(٢) انظر البخاري (٥١٦٦) - كتاب النكاح، ٦٧-باب الوليمة حق.

ومسلم [٩٣-١٤٢٨] - كتاب النكاح، ١٥-باب زواج زينب بنت جحش.

وقال النووي: في قوله: ما أعلم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أعلم على زينب يتحمل أن سبب ذلك الشكر لعممة الله في أن الله تعالى زوجه إياها بالوحى لا بولى وشهود بخلاف غيرها . شرح مسلم للنووى (١٩٦/٩).

(٣) أخرج البخاري (٥١٥٥) كتاب النكاح، ٥٧-باب كيف يدعى للمتزوج، عن أنس، أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة قال: وما هذا؟ قال: إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، قال: بارك الله لك أعلم ولو بشأة".

(٤) انظر البخاري في صحيحه (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن، ٦-باب **﴿لَوْلَا إِذَا سَعَتمُوهُ ظُنَّ الْمُؤْمِنِونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾** إلى قوله **﴿الْكَادِبُونَ﴾**.

وفيه: "يا معاشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي" ... الحديث.

فَإِنْ قَلْتَ: إِنَّ أَهْلَ الرَّجْلِ هُمْ غَيْرُ أَهْلِ بَيْتِهِ.

قَلْتَ: هَذَا تَحْكُمُ وَتَخْصِيصٌ بِلَا مُخْصَصٍ سِيمَا أَنْ زَوْجَةَ الرَّجْلِ فِي بَيْتِهِ وَبَنْتِهِ وَصَهْرِهِ وَأَوْلَادَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهِ.

كَمَا كَانَتِ السَّيْدَةُ فَاطِمَةُ وَبَعْلَهَا وَأَوْلَادَهَا^(١) (رَضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ) وَقَتْ نَزْوَلِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَدُعُواَ ذَلِكَ بَعِيدٌ عَنِ النَّقْلِ وَالْعُقْلِ جَدًّا. لَقُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "فِي أَهْلِ بَيْتِي".

وَمَرَادُهُ السَّيْدَةُ عَائِشَةُ بِخَصْصَوْصَاهَا فَهُوَ نَصٌّ فِيهَا قَلْتَ: أَلَيْسَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي" وَأَشَارَ إِلَى عَلِيٍّ^(٢) وَفَاطِمَةَ وَحَسِينَ وَحَسِينَ.

قَلْتَ: لَا يَلْزَمُ مِنْ ثَبَوْتِهِ هَذَا عَدْمُ كُونِ الْأَزْوَاجِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ

فَإِنَّمَا مِنْ لَهُ أَوْلَادٌ مُتَعَدُّدُونَ وَسَأَلَتِهِ عَنِ بَعْضِهِمْ فَقَالَ لَكُمْ: هُؤُلَاءِ أَوْلَادِيَّ.

لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ أَوْلَادٌ غَيْرُهُمْ.

وَكَذَا مِنْ لَهُ بَيْتٌ أَوْ بَيْوَتٌ إِذَا سَأَلَتِهِ عَنِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْهُمْ مِنْ هُؤُلَاءِ فَقَالَ: أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَلْزَمُ أَنْ لَا يَكُونَ أَهْلُ بَيْتٍ غَيْرُهُمْ.

فَإِنْ قِيلَ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْشَّرِيفِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: نَزَّلَتِ الْآيَةُ فِي خَمْسَةَ، فِيَّ وَفِيَّ عَلِيٍّ، وَحَسِينٍ^(٣)، وَفَاطِمَةَ، **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**

(١) قَالَ الْذَّهَبِيُّ: وَفِي فَاطِمَةَ وَزَوْجَهَا وَبَنِيهَا نَزَّلَتْ "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا" فِي جَلْلَهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَسَاءِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي" وَقَالَ: رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ، اَنْظُرْتُ التَّرْمِذِيَّ (٣٨٧١) كَبَابَ الْمَنَاقِبِ، بَابَ فَضْلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي رَقْمِ (٣٨٧٠) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْمُحَسِّنَ وَالْمُحْسِنَةِ أَنَا حَارِبُ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَسَلَّمَ لِمَنْ سَلَّمَتْ.

انْظُرْ تَارِيخَ الْإِسْلَامِ وَفَاتَةَ الْزَّهْرَاءِ.

(٢) قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتَمَ بِسْنَدِهِ عَنِ عَائِشَةَ عِنْدَمَا سَأَلَهَا رَجُلٌ عَنِ عَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: تَسْأَلُنِي عَنْ رَجُلٍ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ تَحْتَهُ أَبْنَتِهِ وَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ؟ لَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُعَا عَلَيْهِ فَاطِمَةَ وَحَسِينًا وَحَسِينَةً (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ ثُوَبًا فَقَالَ: "اللَّهُمَّ هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَادْهُبْهُمْ الرِّجْسَ وَطُهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا..." الْحَدِيثُ.

(٣) قَالَ فِي مُختَصِّ كِتَابِ الْمَوْافِقَةِ لِلْزَّخْشَرِيِّ صَ ٦١: عَنْ زَيْدِ بْنِ يَشْعَبِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْمَ خَيْمَةً وَهُوَ مَتَكَبِّرٌ عَلَى قَوْسٍ عَرَبِيٍّ وَفِي الْخَيْمَةِ عَلَى وَفَاطِمَةَ وَالْمُحَسِّنَ وَالْمُحْسِنَةِ فَقَالَ: يَا مَعْشِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَا سَلَّمَ لِمَنْ سَلَّمَ أَهْلَ الْخَيْمَةِ، وَلِمَنْ وَالَّهُمَّ حَارَبَ لِمَنْ حَارَبَهُمْ لَا سَعِيدَ الْجَدِّ، طَيْبَ الْمَوْلَدِ، وَلَا يَغْضُبُهُمْ لَا شَقِيَ الْجَدِّ رَدِّ الْوَلَادَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا زَيْدَ: أَنْتَ سَمِعْتَ مِنْهُ، قَالَ: أَى وَرْبَ الْكَعْبَةِ.

وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا).

قلت: من القواعد المقررة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإنها وإن نزلت فيهم إلا أن اللفظ عام فيشمل سائر أهل بيته عليه السلام (١).

وكون الأزواج الظاهرات من أهل البيت، تقدم تحقيقه.

ثم رأيت بعد ذلك أن الحكيم الترمذى ذكر في كتابه نوادر الأصول مما نصه:

وما زالت الطبقة الرائفة المفتونة بحب أهل بيته رسول الله صلوات الله عليه وسلم نسباً، ما زالت بهم فسقهم، حتى عمدوا إلى كل شيء من هذه الأشياء فنسبوه إليهم، وحرموا غيرهم، ذلك إعجاباً بهم وفتنة، وإن الله فضلهم بأن طيب عنصرهم وظهر أخلاقهم واحتار قبيلتهم على القبائل.

فلهم حرمة التفضيل والأثرة (٢)، وحرمة الاتصال برسول الله صلوات الله عليه وسلم فيحق علينا أن نحبهم جبًا لا يرجع علينا بوبال وظلمة.

وهولاء الغلاة جاءوا بأحاديث مختلفة وأكاذيب منكرة حتى أدهم ذلك إلى أن طعنوا في الشیخین المهدیین المرضیین (٣) الذين كان علي (كرم الله وجهه) يتکل من فضله عليهمما

(١) حفظ الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) منزلة آل البيت وعرفوا لهم مكانتهم من أبي بكر وعمر إلى عثمان رضى الله عنهم ، وانظر إلى هذه الواقعة لتعرف مدى احترام وتقدير عملاء الإسلام عمر الفاروق فقد جاء ابنه عبد الله يشكوا قائلاً: يا أبي لماذا لم تساو بيبي وبين الحسن والحسين في العطاء وقد كت أضراب بسيفي بين يدي رسول الله صلوات الله عليه وسلم وما بدرجات في ثيابهما في سكك المدينة فقال له عمر: أساوي بيتك وبينهم على شرط أن تحضر لي أبا مثل أبيهما وأما مثل أمهما وجداً مثل جدتها وحسب عمر ما قال، فأبواهما علي بن أبي طالب، وأمهما فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلم وجلهما سيد الخلق وحبيب الحق صلوات الله عليه وسلم.

انظر مقدمة مختصر كتاب المموافقة ص-٤.

(٢) جاء رجل من قريش إلى علي صلوات الله عليه وسلم فقال: يا أمير المؤمنين سمعتك آنفًا على المنبر تقول: اللهم أصلح بما أصلحت به الخلقاء الراشدين المهدىين فمن هم فاغرورقت عيناه - أبي دمعنا - ثم قال: حبيبك وعماك أبو بكر وعمر: إماماً المهدى وشيخاً الإسلام ورجلًا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلوات الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم، ومن اتّبع آثارهما هدى إلى صراط مستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون.

انظر مختصر كتاب المموافقة للزمخشري (ص-١٦) - من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) قال النووي في شرح مسلم في قوله صلوات الله عليه وسلم "رأيتي على قليب عليها دلو فنزع عنها ما شاء ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع عنها ذنوباً أو ذنوبين وهي نزعه والله يغفر له ضعف ثم استحال على غرباً فأخذها ابن

فقال: لا أحد أحده يفضلني عليهم إلا جلدته حد المفترين وبلغ من إفراط هؤلاء أن رواوا أحاديث مختلفة^(١).

يريدون أن يقيموا لعلي عليه السلام فضلاً وقد فضل الله عليه عليه السلام بأشياء كثيرة وفضائل جمة، قد أغناه عن مثل ذلك، لكنهم ترکوا الظلمة قلوبهم^(٢)، وشقاء جدهم تلك الأشياء وأقبلوا على الكذب وتأولوا قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُنْهِيَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾**. إنما هم: على وفاطمة والحسن والحسين (رضوان الله عليهم).

وهي لهم خاصة، وكيف يجوز هذا؟ ومبتدأ هذا الخطاب قوله عليه السلام: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ...﴾**^(٣) إلى آخر ما ذكر.

الخطاب حتى ضرب الناس بعطن" فيما رواه مسلم [١٧-٢٣٩٢] في الفضائل، باب فضائل عمر رضي الله عنه: هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) في خلافتهما وحسن سيرتهما، فكان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه هو صاحب الأمر فقام به أكمل قيام وقرر قواعد الإسلام ومهد أموره وأوضح أصوله وفروعه ودخل الناس في دين الله أتواجهاً وأنزل الله "اليوم أكملت لكم دينكم" ثم توفي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فخلفه أبو بكر رضي الله عنه ستين وأشهرًا، وهو المراد بقوله صلوات الله عليه وآله وسلامه "ذنوبًا أو ذنوبين" وحل في خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم، ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام في زمانه ونقر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله.

شرح مسلم للنووي (١٣١/١٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٧٠٧) كتاب فضائل أصحاب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، باب مناقب علي بن أبي طالب، عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي رضي الله عنه قال: أقضوا كما كتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة، أو أموات كما مات أصحابي" فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى على علي الكذب.

(٢) روى النهبي في تاريخ الإسلام: قال خارجة بن مصعب، عن سلام بن أبي القاسم، عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء أنس إلى علي رضي الله عنه فقالوا: أنت هو؟ قال: من أنا؟ قالوا: أنت هو؟ قال: ويلكم من أنا؟ قالوا: أنت ربنا؟ قال: ارجعوا، فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم خد لهم في الأرض ثم قال: يا قبر آتني بحزم الخطب، فحرقهم بال النار، وقال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكراً أوقدت ناري ودعوت قبرًا

تاریخ الإسلام ترجمة علي بن أبي طالب وفيات سنة (٤٠).

(٣) سورة الأحزاب (٢٨). قال ابن كثير في تفسيره (٤٩٦/٣) هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه بأن يخير نساعه بين أن يفارقهن إلى غيره مما يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزيتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله رضي الله عنهم وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة. فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وفيما قدمناه غيبة عنه، إلا أنه أجاب عما وقع في حديث العباءة.

وذكره بلفظ الكسائي بقوله: "فهذه دعوة منه لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج" (رضوان الله عليهم أجمعين)، انتهى.

وقد ساق هذه الجمل في الأصل الثاني والعشرين والمائتين في أن أهل بيت البوة أمان للأمة وقد تأول أهل البيت في قوله ﷺ: "النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي" ^(١).

بمن خلفه من بعده، على منهاجه، وهم الصديقون والأبدال، الذين روى عن علي (كرم الله وجهه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الأبدال ^(٢) يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلاً، بهم يسقى الغيث، وينصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء".

فأخرج لفظ أهل بيتي عن حقيقته إلى المجاز.

وذكر أدلة لا مجال هنا للرد عليها إلا أن ذا الذوق السليم يدرك نقضها بأول وهلة.

وكلامه هنا لا ينافي ما نقل عنه أنه قال في غيره: إن أهل البيت أفضل من الصديق الأكبر ^(٣) (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

(١) أخرجه: الخطيب البغدادي (٦٨/٣)، والعبّالوني في كشف الخفا (٤٥٣/٢) رقم (٢٨٥٦) والبيهقي في مجمع الزوائد (١٧/١٠) وابن حجر في المطالب العالية (٤٠٠٢)، (٤٥٦٤).

وقد أورد مسلم في صحيحه [٢٠٧-٢٥٣١] في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، عن أبي موسى بلفظ "النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعده، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون".

(٢) طبقة من طبقات أولياء الصوفية، سموا الأبدال لأنهم بدلوا خلقاً بعد خلق، وصفوا تصفية بعد تصفية، ويررون الحديث: إن الله خلق ثلاثة نفوس قلوبهم على قلب آدم، وله أربعون قلوبهم على قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب محمد ﷺ.

موسوعة الفرق والجماعات (١٤، ١٥).

(٣) بينما على ﷺ يقضى ذات يوم بالكوفة إذ قال له رجل: يا خير الناس انظر في أمري فوالله ما رأيت أحداً هو خير منك، قال علي: قدموه، فقدم، فقال: هل رأيت رسول الله؟ قال: لا، قال: فهل رأيت أبي بكر وعمر؟ قال: لا، قال: لو أخبرتني إنك رأيت رسول الله لضربت عنقك، ولو أخبرتني إنك رأيت أبي بكر وعمر لأوجعتك ضرباً، وأما بعد ذلك فقل ما بدا لك.

انظر مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، ص ١٢٢ من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

لأنه لا يلزم من أن يكونوا أفضل منه، أن يكونوا أمّاً للأمة لعدم التلازم بينهما. وقد وقع بعض معاصرينا من أهل العلم من طبقة والدي (رحمهم الله تعالى) مثل ذلك. فألف رسالة أن أهل البيت في كل زمان إلى آخر الدوران أفضل من جميع الخلق، حتى من الصديق الأكبر^(١).

وترى أن جعل ذنوبهم التي تقع منهم صورية وأنهم معصومون من الذنوب^(٢). وقد عرضها على علماء زمانه فلم تقع عندهم موقع الاستحسان، ولم يقرّظوا له عليهم. وقد كنت صغيراً فرأيتها في مجموعة مع غيرها تباع في تركة مؤلفها أو غيره. ولم أرها بعد.

وبالجملة فإن أهل البيت الكرام (رضوان الله تعالى عليهم) لم يزاوا هدفاً للاختلاف فيهم في كل زمان من عصر النبوة إلى هذا الآن^(٣).

وللاختلاف فيهم وقع ما وقع من الفتوك بهم، والتعدي عليهم من الذين لا يستحي من الله تعالى من عذابهم، ولا يقبل شفاعة في عقابهم، ولهم خزي عظيم وعداب أليم، فمن غال

(١) عن علامة أنه ضرب بيده على منبر الكوفة فقال: خطبنا على عليه السلام على هذا المنبر، فذكر ما شاء الله أن يذكر، ثم قال: إنه بلغني أن ناساً يفضلوا على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقت فيه ولكنني أكره العقوبة قبل القدوم، فمن أتيت به بعد مقامي هذا قد قال شيئاً من ذلك فهو مفتر عليه ما على المفترى، إن خير الناس كان بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أبو بكر، ثم عمر، ثم الله أعلم بالخير بعد.

المراجع السابق ص ١، ٢١١، وانظر الذهبي في تاريخه (٢٥٠ / ٢).

(٢) جعل الشهرستاني الشيعة خمس فرق هي: الكيسانية والزيدية والإمامية والغلاة والإسماعيلية وهو تلاث أصناف عند الأشعري: الشيعة الغالية وهم خمس عشرة فرقة، والشيعة الإمامية وهم الرافضة - وهم أربعة وعشرون فرقة، والشيعة الزيدية وهم سبعة فرق ويجمعهم القول بوجوب التعين والتنصيص على الإمام، وثبتت عصمة الأنبياء والأئمة وجواباً عن الكبائر والصغار.

موسوعة الفرق والجماعات ص ٢٦٥.

(٣) قال النووي في مقدمة فضائل الصحابة، أما على عليه السلام فخلافاته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة في وقه لا خلافة لغيره، وأما معاوية عليه السلام فهو من العدول الفضلاء والصحابية النجباء عليه السلام، وأما الحروب التي حررت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقادت تصويب نفسها بسببها وكلهم عدول رضي الله عنهم، ومتأنلون في حرومهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل محل الاجتهد كما يختلف المجتهدون بعدهم، وأعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهاها اختلف اجتهدهم.

شرح مسلم للإمام النووي (١٥ / ١٢١).

في حبهم)، ومن مجحف في حقهم، والقول الحق والمنهج الأحق التوسط في شأنهم إذ خير الأمور أو سطها.

"يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق" (١).

فالذى ينبغي أن يعتقد فيه أهله أنهم أفضل من غيرهم باعتبار كونهم بضعة رسول الله لاشك في ذلك ولا مزية، وإن لهم امتيازات ميزهم الله تعالى بهم عن غيرهم دينًا، وأخرى بسبب اتساعهم إليه (٢).

ومنها ودهم قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوْدَةُ فِي الْقُرْبَى﴾ (٣). وقال ﷺ: "أَحَبُوا اللَّهَ لَمَا يَغْنُوكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ، وَأَحَبُونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحَبُّو أَهْلَ بَيْتِي لَهُمْ" (٤).

فمودتهم وحبهم واجبان على الأمة بالنص القطعي ومنها أنه جعل لهم حقاً في بيت المال وغير ذلك مما يبيه الشرع من نحو أن غيرهم ليس كفؤاً لهم. وأن ذلك نافع في الآخرة أيضاً. لما روى عنه ﷺ أنه قال: "كُلُّ بَيْتٍ مُنْقَطِّعٍ إِلَّا يَتِي وَنْسِي" (٥).

(*) الغالية: هم عدة فرق من الشيعة يجمعهم أنهم غلو في على وقالوا فيه قولًا عظيماً، وغلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود البشرية، وحكموا فيهم بأحكام الآلة، فربما شبهوا الواحد من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق. وهناك فرقة من الغلاة تسمى الخطابية تقول: إن الله ﷺ هو محمد وأنه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة ظهر في صورة محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلى آخر أقوالهم وفرق الغلاة كثيرة. انظر موسوعة الفرق والجماعات صـ ٣٠٠.

(١) سورة النساء (١٧١).

(٢) سورة الشورى (٢٣). وقد روى البخاري في صحيحه (٤٨١٨) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "إِلَّا الْمُوْدَةُ فِي الْقُرْبَى" ولفظه: "حدثنا محمد بن بشير، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت طاووساً عن ابن عباس (رضي الله عنهما) فقال سعيد بن جبير: قربي آل محمد ﷺ فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيه قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما يبيني وينكم من القرابة".

(٣) أخرجه الترمذى (٣٧٨٩)، كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "أَحَبُوا اللَّهَ ... الْحَدِيثَ".

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وقد روى الترمذى في رقم (٣٧٨٦) عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تصلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي".

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤٤٨/٢) بلفظ "كُلُّ نَسْبٍ وَحْسَبٍ مُنْقَطِّعٍ إِلَّا نَسِيٍّ وَحْسِيٍّ" وابن عدى في الكامل (١) (٢٧٠/١).

لكن ينبغي ألا يغفل عن أنهم بالنسبة لأحكام الله تعالى وحده كغيره، لا فرق بينهم، فقد صر رسول الله ﷺ أنه قال: "وَأَيْمَ اللَّهُ لَوْ أَنْ فَاطِمَةَ بَنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقْطَتْ يَدَهَا" (١). وروي عنه ﷺ أنه دخل على فاطمة وعندما صفت عمة رسول الله فقال: "يَا بْنَيَ عَبْدِ مَنَافِ، يَا بْنَيَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، يَا فَاطِمَةَ يَا بَنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ" (٢) اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم واعلموا أن أولى الناس بي يوم القيمة المتقون" (٣).

وإن تكونوا أتم مع قرابتكم فذلك، لا يأني الناس بالأعمال، وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم، فتقولون: يا محمد فأقول هكذا، ثم تقولون: يا محمد، فأقول هكذا، أعرض بوجهي عنكم فتقولون: يا محمد أنا فلان ابن فلان، فأقول: أما النسب فأعرف، وأما العمل فلا أعرف نبذتم الكتاب فارجعوا إلى قرابة يبني وبينكم (٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٧) -٨٦ -كتاب الحدود ١٢ -باب إقامة الحدود على الشريف والوضع عن عائشة. ومسلم [٨- (١٦٨٨)] كتاب الحدود، ٢ -باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود عن عائشة.

وقال النووي: وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الإمام لهذه الأحاديث، وعلى أنه يحرم التشفي في، فاما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، فإن كان لم يشفع فيه، وأما المعاichi التي لا حد فيها وواجهها التعزير فيجوز الشفاعة والتشفي فيها سواء بلغ الإمام أم لا لأمها أهون، ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه.

شرح مسلم للنووي (١١/٥٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) صفت عمة رسول الله ﷺ، وشقيقة حمزة، وحجل، والمقوم، وأمهم زهرية. تزوجها الحارث بن حرب بن أمية فتوفى عنها وتزوجها العوام بن خويلد فولدت له الزبير حواري رسول الله ﷺ، والسائل عبد الكعبة. وال الصحيح أنه لم يسلم من عمات رسول الله ﷺ سواها، ووُجدت على أخيها حمزة وجلاً شديداً، وصبرت واحتسبت.

وكانت يوم الخندق في حصن حسان بن ثابت، قالت: وهو معنا في الحصن مع النزية فمر بالمحصن يهودي فجعل يطيف بالمحصن وال المسلمين في تحور عدوهم، فذكرت الحديث وأنها نزلت وقتلت اليهودي، وتوفيت سنة (٢٠). تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة (٢٠).

(٣) أوله أخرجه مسلم في صحيحه [٣٥٠- (٢٠٥)]، [٢٠٦- (٣٥١)] كتاب الإيمان، ٨٩ - باب في قوله تعالى: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" الأولى عن عائشة، والثانية عن أبي هريرة وقد أخرجه البخاري أيضاً في صحيحه (٤٧٧) كتاب تفسير القرآن، ١ - باب ولا تخزني يوم يبعثون" عن أبي هريرة. والترمذني (٣١٨٤) في التفسير، باب من سورة الشعرا، عن عائشة.

هذا ما اعتقاده فيهم (وألقى) (*) الله تعالى ورسوله عليه صلوات الله عليه، إن شاء الله يعلمك.

وفي هذا القدر كفاية لأولي العقول السليمة على أن جعل الزوجات الطاهرات من غير أهل بيته، لإبعادهن عن التطهير وجعلهن محلاً لقبول التدين في ما فيه من إيمان النبي صلوات الله عليه وإيمان الله تعالى. وقد قال عز شأنه: **«إن الذين يؤذون الله ورسوله»** (١). وهو صريح في عدم جواز إيمان النبي صلوات الله عليه، ومن البدهي أن جعل الأزواج والطاهرات معرضات للأذناء، إيمان للمرسل لكافة الناس صلوات الله عليه (٢)، ومنفر عنه.

وذلك لا يجوز بوجهٍ من الوجوه باتفاق الأمة الحمدية.

الباب السادس عشر

في نقد ما خالف فيه الشيعة أهل السنة وتحقيقه

المسألة الأولى: الاختلاف في الغزوة (٣)، وليس فيها مخالفة في حقيقة الأمر، لكن لما كان

(*) كذا بالأصل.

(١) سورة الأحزاب (٥٧). يقول الله تعالى متهدداً ومتوعداً من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصداره على ذلك وإيمان رسوله بعيوب أو بقصص - عيادة بالله من ذلك - قال عكرمة: في قوله تعالى: **«إن الذين يؤذون الله ورسوله»** نزلت في المصورين وفي الصالحين بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلوات الله عليه يقول الله يعلمك: يؤذنني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره.

تفسير ابن كثير (٥٣٣/٨).

(٢) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام في حادث الإفك في غزوة المربيع (٣٥٨/١) فيما روى عن عائشة وفيه: ثم قام رسول الله صلوات الله عليه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فأشير وأعلى في أنس ابنا أهلي، ولم الله إن علمت على أهلي من سوء قط، وأبتوهم بمن، والله إن علمت عليه سوءاً قط، ولا دخل على أهلي إلا وأنا شاهد، ولا غبت في سفر إلا غاب معى، فقال سعد بن معاذ صلوات الله عليه: أرى يا رسول الله أن تضرب أعناقهم، فقال رجل من الخزرج وكانت أم حسان من رهطه، وكان حسان من رهطه، والله ما صدقت ولو كان من الأوس ما أشرت بهذا... الحديث. هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٧٥٧) في كتاب تفسير القرآن، باب ١٢- **«إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة... الآية»**.

(٣) قال النووي: كانت هذه القصة في غزوة المربيع وهي غزوة بنى المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق ومعلوم أن سعد بن معاذ بن عيادة مات في أثر غزوة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك سنة أربع ياجماع أصحاب السير إلا شيئاً قاله الواقدي وحده.

قال القاضي: فيحتمل أن غزوة المربيع وحديث الإفك كانوا في سنة أربع قبل قصة الخندق، وقد ذكر الطبرى عن الواقدي أن المربيع كانت سنة خمس قال وكانت الخندق وقريطة بعدها.

شرح مسلم للنووى (١٧/٩٢) طبعة دار الكتب العلمية.

بحسب الظاهر مطلق ومقييد ذكرناه في المخالف بينهما ونظهر ذلك.
بيان التوفيق بينهما:

إن البيضاوي اتبع لفظ الحديث، بعدم التقييد للفظ البخاري في الحديث المتقدم، ومسلم
"في بعض غزواته" ^(١).

من غير تقييد ببني المصطلق، وهو بضم الميم وسكون الصاد المهملة، وفتح الطاء
المشالة المهملة، وكسر اللام.

ويقال لها: غزوة المربي ^(٢): بضم الميم، وفتح الراء، وسكون التحتتين، بينهما سين
مهملة مكسورة، آخره عين مهملة.

وكانت يوم الإثنين لليتئين خلتا من شعبان سنة خمس، وقيل: سنة ست، وقيل: سنة
أربع.

قالوا: وكأنه سبق قلم، كما في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني.
وكذا ذكر الإمام البخاري في غزوة بني المصطلق أن الإفك وقع فيها، ولفظه: "وقال
النعمان ^(٣) بن الراشد، عن الزهري، كان حديث الإفك في غزوة المربي.

(١) البخاري (٤٧٥٠) ٦-كتاب تفسير القرآن، ٦-باب **﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظُنِّ الْمُؤْمِنِونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾** إلى قوله: **﴿الْكَاذِبُونَ﴾**.

ولفظه: "كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فايتنهن خرج منها رسول الله ﷺ ...
الله ﷺ معه قالت عائشة: فاقرع بنتا في غزوة غزاهما فخرج سهبي، فخرجت مع رسول الله ﷺ ...
الحديث. ولفظ مسلم نفس لفظ البخاري.

(٢) غزوة المربي: وتسمى غزوة بني المصطلق كانت في شعبان سنة خمس على الصحيح، بل المجزوم به،
قال الواقدي: استخلف النبي ﷺ على المدينة زيد بن حارثة.

وعن المسور بن رفاعة قال: خرج رسول الله ﷺ في سبعمائة، وعن عبد الله بن أبي بكر وغيره: خرج
رسول الله ﷺ وبله أن بني المصطلق يجمعون له، وقادتهم الحارت بن أبي ضرار أبو جويرية أم
المؤمنين فسار حتى نزل بالمربي ماء من مياههم فأعدوا لرسول الله ﷺ فترافق الناس فاقتلوه، فهزم
رسول الله ﷺ ببني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل نسائهم وأبنائهم وأموالهم.
الذهبي في تاريخ الإسلام غزوة المربي.

(٣) النعمان بن راشد، أبو إسحاق الجزري، الرقي، مولى بني أمية، صدوق، سمع الحفظ، أخرج له
البخاري تعليقاً وبافي السنة.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤٥٢/١٠)، تقريب التهذيب (٣٠٤/٢)، الكاشف (٢٠٥/٣)، تاريخ
البخاري الكبير (٨٠٠/٨)، المحرح والتعديل (٢٠٦٠/٨)، ميزان الاعتدال (٤/٢٦٥)، لسان الميزان

ووقع الإمام الرازى في غزوة غزاهما قبل غزوة بنى المصطلق^(١)، فليحرر.
أما الصافى فقد جرى على التقىيد، فلا خلاف لما علمت.

المسألة الثانية:

كون السيدة مارية القبطية سرية^(٢) رسول الله ﷺ أم سيدنا إبراهيم عليهما السلام هي التي وقع عليها الإفك وأن السيدة عائشة الصديقة هي التي أفكت عليها، برأها الله تعالى.
وأن هذه الآيات نزلت فيهما، وهذه مردوده من وجوهه:
ولنقدم هنا تمهيداً لذلك فنقول:

تمهيد:

إن فيما نقل من تهمة السيدة مارية القبطية (رضي الله تعالى عنها) وأرضاها بمبرور^(٣) الذي سماه الصافى جريحاً خلافاً من جهات عشرة:
قال بعضهم: إن مأبورةً كان يأوي إلى السيدة مارية ويأتي بالخطب والماء إليها.
وقال بعضهم إنه كان يدخل عليها.

(١) الكامل (٤١٢/٧)، الكامل (٢٤٧٩/٧)، الصفعاء الكبير (٤/٢٦٨)، الجمجم بين الصحيحين (٢٠٧٠)، الثقات (٥٣٢/٧)، ضعفاء ابن الجوزي (٣/٦٤).

(٢) ذكر القاضي إسماعيل الخلاف في ذلك قال: الأولى أن يكون المرسيع قبل الخندق، قال القاضي وهذا الذكر سعد في قصة الإفك وكانت في المرسيع فعلى هذا يستقيم فيه ذكر سعد بن معاذ وهو الذي في الصحيحين وقول غير ابن إسحاق في غير وقت المرسيع أصح، هذا كلام القاضي وهو صحيح.
النwoي في شرح مسلم. (١٧/٩٢) طبعة دار الكتاب العلمية.

(٣) توفي النبي ﷺ عن تسع من نسائه، وتزوج خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة بنت زمعة، وهناك ميمونة بنت الحارث الهمالية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية وزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حبي بن أخطب الخيرية، قبض عن هولاء (رضي الله عنهم).
وكان من سارايه مارية أم إبراهيم، وقال أبو عبيدة: كان للنبي ﷺ أربع ولادات: مارية، وريحانة من بني قريظة، وكانت له حاربة تفيسة وهبها له زينب بنت جحش.
تاریخ الإسلام للذهبي الجزء الأول في ذكر أزواجه وعددهن.

(٤) قال ابن حجر في الإصابة (٨/١٨٥): أهدى المقوقس صاحب الإسكندرية في سنة سبع من المحرجة مارية وأختها سيرين وألف مثقال ذهبًا وعشرين ثوابًا، وبعلته دلائل ومحاره عفير، ومع ذلك خصى يقال له مأبورة شيخ كبير كان أخا مارية وبعث بذلك كله مع حاطب بن أبي بلتعة فعرض حاطب على مارية الإسلام فأسلمت هي وأختها، وأقام الحصى على دينه حتى أسلم بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ.

وقالت الشيعة^(١): لأنَّه كان يدخل إليها ويخدمها ويرؤسها.

الجهة الثانية: في المتهم لها فقال قوم المنافقون إذ قالوا: علَج يدخل على علَجة، وهو الصحيح.

وقال بعضهم: اهتمت به، ولم يذكروا المتهم لها^(٢).

وقال بعضهم: لم يكن لها متهم لكنَّ النبي ﷺ دخل عليها مَرَّة، وهي حامل بولده إبراهيم الظاهر^(٣) فوجد عندها مأبُوراً فوقع في نفسه شيء.

وسيأتي بيان ذلك الشيء.

وقالت الشيعة: المتهم لها السيدة عائشة الصديقة المبرأة (رضي الله تعالى عنها).
الجهة الثالثة: في اسم الذي اهتم به.

قال بعضهم: إنَّ اسمه مأبُور وعليه الكل.

وقال بعضهم: مأبُور، بحذف الراء من آخره.

وقال بعضهم: هابُو^(٤)، بإيدال الميم هاء، مع حذف الراء أيضًا.

وقالت الشيعة: جريج.

الجهة الرابعة: في الذي أهداه النبي ﷺ.

قال بعضهم: أهداه المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر^(٥).

(١) هناك طائفة من الروافض كفَرَت سائر الصحابة في تقليمهم غير علي بن أبي طالب وزاد بعضهم فكفر علياً لأنَّه لم يقم في طلب حقه بزعمهم وهو لاء أسوأ مذهبًا وأفسد عقلاً من أن يرد قولهم أو يناظر، وقال القاضي عياض: ولاشك في كفر من قال هذا لأنَّ من كفر الأمة كلها والصداد الأول، فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام، وأما ما عدا هولاء الغلة فإنَّهم لا يسلكون هذا المسلك، فاما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون هم مخطئون في تقديم غير علي بن أبي طالب لا كفار التوسي في شرح مسلم (١٤٢/١٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) في رواية مسلم [٥٩-٢٧٧١] كتاب التوبية ، ١١-باب براعة حرم النبي ﷺ من الريمة، من حديث أنس، وفيه "أنَّ رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ .. الحديث، وقد تقدم الحديث بلفظه.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (١٣٨٢)-كتاب الجنائز، ٢٣-باب ما قيل في أولاد المسلمين، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما توفي إبراهيم الظاهر قال رسول الله ﷺ: إنَّه مرضعاً في الجنة" وهو في رقم (٣٢٥٥) كتاب بدء الخلق، ٨-باب ما جاء في صفة الجنة وأئمَّها مخلوقة.

(٤) انظر ما ذكره ابن حجر في الإصابة (١٤/٨).

(٥) قال يونس: عن ابن إسحاق: ثنا الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنَّ رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ قبل الكتاب

وقال غيرهم: أهداه له جريج بن مينا صاحب مصر، ولا خلاف بين القولين؛ لأن المقوقس لقبه، وجريجاً اسمه. وصاحب مصر هو صاحب الإسكندرية. لكن بعضهم ظن أن المقوقس غير جريج، فلم يتبه له.

وقالت الشيعة: الذي أهداه له (صلى الله تعالى عليه وآلله وسلم) أبو السيدة مارية القبطية^(١) معها حينما أهداها إليه لخدمتها، وتسانس به.

يذلك عليه قول الصافي: بعثني أبوها لأدخل إليها وأخدمها وأونسها.

الجهة الخامسة: في دينه، قال بعضهم: أنه أسلم وحسن إسلامه، وصار صاحبأً^(٢) وعدوه من الصحابة الكرام (رضوان الله تعالى عليهم) منهم: ابن منده، وأبو نعيم، وابن الأثير في أسد الغابة وغيرهم.

ووافقه على ذلك الشيعة.

قال الصافي: ولكن فعل رسول الله ﷺ لترجع عن ذنبها، فما رجعت ولا اشتدت عليها قتل رجل مسلم. وقال بعضهم: كان منافقاً.

وقال بعضهم: بقي نصراً على ملته^(٣).

الجهة السادسة: في الذي أمره عليه وآلله الصلاة والسلام بقتله.

قال بعضهم: إن المرسل لقتله هو سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وعليه المعظم.

حتى مسلم في صحيحه كما تقدم.

وقال بعضهم: هو سيدنا عمر بن الخطاب^(٤) (رضي الله تعالى عنه)، وأرضاه، وجزاه عن

وأكرم حاطباً وأحسن نزلاه، وأهدي معه إلى النبي ﷺ بغلة وكسوة وكسوة وجاريتن إحداهما أم إبراهيم، والأخرى وهبها النبي ﷺ لابن قثم العبد. تاريخ الإسلام ذكر رسول النبي ﷺ (٤٦٢/١).

(١) هذا كلام مخالف لما ورد في كتب السيرة.

(٢) أسلمت مارية وأختها سيرين، وأقام القسطي على دينه حتى أسلم بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ، وانظر ما سيأتي بعد ذلك. انظر الإصابة لابن حجر (١٨٥/٨).

(٣) لما قدم حاطب بن أبي بلتقة بما أهداه المقوقس للنبي ﷺ قال ابن حجر في الإصابة (١٨٥/٨): عرض حاطب بن أبي بلتقة على مارية الإسلام ورغبها فيه فأسلمت، وأسلمت أختها وأقام الحصى على دينه حتى أسلم بالمدينة بعد في عهد رسول الله ﷺ.

(٤) سيدنا عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، الفاروق، قال عنه رسول الله ﷺ: "إليها يا ابن الخطاب فوالذي نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجأً إلا سلك فجأً غير فجك" و قال الزهرى: فتح الله الشام كله

دينه خيراً.

الجنة السابعة: أين أريد قتله؟

قال بعضهم: ذهب إليه علي، ولم يذكروا الأين بل أطلقوا.

وقال بعضهم: ذهب إليه فوجده في ركي ماء، وبه قال مسلم في صحيحه^(١).

وقالت الشيعة: ذهب إليه في حائط - أي بستان محاط بجدار -.

وقال بعضهم: دخل عليه عمر وهو عند مارية (رضي الله تعالى عنهم).

الجنة الثامنة: في أنه هل خوف رُؤُّع بالقتل أو لا.

الذى رواه أهل السنة ليس فيه ما يدل صراحة على ذلك، ولا ضمئاً، بل فيه ما يدل على عدمه والذى روتة الشيعة يدل على أن سيدنا علياً^(٢) (رضي الله تعالى عنه) خوفه وروعه حتى رمى بنفسه من فوق النخلة إلى الأرض فبدت عورته.

الجنة التاسعة: في أنه هل كان كشف مأمور عورة نفسه عن قصد أو لا.

فأهل السنة لم يتفقوا، فمن قائل إنه كان في ركي^(٣)، قال: كان الكشف عن صدفة.

ومن قائل: لم يكن فيه، قال: إن ذلك كان عن قصد، للرء القتل عنه، وهو متفق عليه والصافي من الشيعة قال: لم يكن ذلك عن قصد، بل عن صدفة؛ لأنه لما رمى بنفسه من فوق النخلة بدت عورته، وذلك عن غير قصد بالضرورة^(٤).

على عمر، والجزيرة ومصر والعراق كله، ودون الدواوين قبل أن يموت بعام، وقسم على الناس فيهم "وقال معاوية، أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما نحن فنتمرنا فيها ظهراً للطن". انظر تاريخ الإسلام وفيات سنة (٢٣).

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [٢٧٧١-٥٩] كتاب التوبة، ١١-باب براءة حرم النبي ﷺ من الريمة، عن أنس . وفيه: أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لعلي: "ادهب فاضرب عنقه" فاتأه على فإذا هو في ركي يتبرد فيها..." الحديث وقد تقدم بلفظه.

(٢) قال النووي: أمر على ﷺ أن يذهب ليضرب عنقه فذهب فوجده يغسل في ركي وهو البئر فرأه محبوها فتركه قيل لعله كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر وجعل هذا محركاً لقتله بنفقة وغيره لا بالزنا وكف عنه على ﷺ اعتماداً على أن القتل بالزنا وقد علم انتقاء الزنا والله أعلم.

شرح مسلم لل النووي (١٧/١٠٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) الركي: هو البئر.

(٤) يجمع بين قصتي عمر، وعلي، باحتمال أن يكون معنى عمر إليها سابقاً عقب خروج النبي ﷺ فلما رأه محبوها أطمأن قلبه وتشاغل بأمر ما، وأن يكون إرسال على تراخي قليلاً بعد رجوع النبي ﷺ إلى مكانه ولم يسمع بعد بقصة عمر، فلما جاء على وجد الخصي قد خرج من عندها إلى النخلة يتبرد في

لأنه لو كان عن قصد لفعله من غير صعود إلى التخلة، ورمى نفسه من خوفه إلى الأرض مخاطرًا في النجاة بنفسه من القتل؛ لأنه كان في ذلك الإلقاء بما سقط على أم رأسه فمات، فما كان ذلك إلا لخوفه وتروعه^(١).

الجهة العاشرة: في أن نظر الذي ذهب إلى قتله لعورته هل كان عن قصد أو لا. الذي يجتهد إليه كلام أهل السنة أنه كان عن قصد.

وأما الصافي فكلامه يدل على أنه كان صدفة وهناك اختلافات أخرى ليس في ذكرها كبير فائدة فلأنه نطيل به.

وتحقيق ذلك كون السبب في هذه التهمة أن مأمورًا، إذا كان خصيًّا^(٢) كان يأوي إلى سيدتنا مارية (رضي الله تعالى عنها)، ويدخل إليها وكانت (رضي الله تعالى عنها) لا توارى، ذلك لما أنه خصي.

فرأى المناقون ذلك فقالوا: علّج يدخل على علّجة. والعلّج^(٣) هو الكافر من العجم، واتهموها به.

فدخل مرة رسول الله ﷺ على السيدة مارية فوجدها عند رأسها، فوجدت نفسه شيء (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) من ذلك شيئاً. وهو أن مأمورًا قبل عنه إنه غير خصي.

واتهموا السيدة مارية به، فلا يناسب دخوله عليه فأمر علّيًا أو عمر^(٤) على الخلاف المار

الماء فوجده ويكون لإخبار عمر وعلي معاً أو أحلمها بعد الآخر ، ثم نزل جبريل بما هو أكدر من ذلك. الإصابة (١٤/٦).

(١) أخرج ابن شاهين من طريق سليمان ابن أرقم عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أهديت مارية إلى رسول الله ﷺ وابن عم لها... فذكر الحديث... إلى أن قال: وبعث رسول الله ﷺ علّيًّا لقتله فإذا هو ممسوخ. الإصابة (١٤/٦).

(٢) أخرج حديث مأمور مسلم ولكن لم يسمه وساه أبو بكر بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري مأمور ولفظه ثم ولدت مارية التي أهدتها المقوقس إلى رسول الله ﷺ ولده إبراهيم، وكان أهدي معاً اختها سيرين وخصيًّا يقال له مأمورًا، وقد جاء ذكره في عدة أخبار غير مسمى.

الإصابة (١٤/٦) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) العلّج: كل جاف شديد من الرجال، وجمعها: علّوج، وأعلّاج.

(٤) أخرج ابن الحكم في فتوح مصر بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: دخل رسول الله ﷺ على القبطية أم ولده إبراهيم فوجد عندها نسيباً لها قدم معها من مصر وكان كثيراً ما يدخل عليها فوقع في نفسه شيء

ياظهار ذلك بقتله إن لم يكن خصيّاً، وصرح بذلك عليه السلام له مع علمه عليه السلام بأنه خصيّ كما يعلم من النقول التي أسلفناها لدى إمعان النظر.

فلما وجد الذي ذهب لقتله خصيّاً كف عنه ورجع للنبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)، فأخبره بذلك فاستصوب فعله وقدره، وإن الإطلاع على كونه خصيّاً أو غير خصي عن قصد لا على سبيل الصدفة لتوقف درء القتل عنه.

وأما أمره عليه السلام بقتله فقد كان على تقدير كونه غير خصيّ كما ظهر لك فهي شرطية والشرطية لا تستلزم الواقع؛ لأنّه عليه السلام علق قتله على تقدير كونه غير خصيّ، وليس في هذا الأمر تخويفاً، ولا ترويع لمسلم مؤمن بالله ورسوله يحرم تخويفه وترويعه؛ لأنّ الذي أتى إليه ليقتله بين له أول الأمر بأن قتله على كونه غير خصيّ، وهو يعلم أنه خصيّ فلم يخف، ولم يرع ولذلك كشف عن نفسه في الحال، فكف عنه، ولم يكن ذلك إلا عن إعلام له بأن قتله مبني على كونه غير خصيّ، وما كان ذلك الكشف عن صدفة، على غير رواية: "أنه كان في الركي" كما ادعاه الصافي^(١) في تفسيره بقوله: "فلما خشي أبي مأبور" - الذي سماه جريجاً، أن يرهقه - يعني علياً - صعد في نخلة، وصعد على في إثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، وبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء.

فرجع فليه عمر فعرف ذلك في وجهه فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم رحل على مارية وقريبها عندها فأهوى إليه بالسيف، فلما رأى ذلك كشف عن نفسه ، وكان محبوباً ليس بين رجليه شيء، فلما رأه عمر رجع إلى رسول الله عليه السلام فأخبره، فقال رسول الله عليه السلام إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله تعالى برأها وقريبها وأن في بطنها غلاماً مني وأنه أشبه الناس بي وأنه أمرني أن أسميه إبراهيم وكتابي أبا إبراهيم. انظر الإصابة لابن حجر (١٤/٦).

(١) قال ابن حجر في الإصابة (١٤/٦ ، ١٣/٦) ساه أبو بكر بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري مأبوراً ولفظه ثم ولدت مارية التي أهداها المقوقس إلى رسول الله عليه السلام ولده إبراهيم وكان أهدي معها أحنتها سيرين وخصيّاً يقال له مأبور، وقد جاء ذكره في عدة أخبار غير مسمى منها ما أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: دخل رسول الله عليه السلام على القبطية أم ولده إبراهيم وجد عندها نسيباً لها قدم معها من مصر ... الحديث.

(٢) مأبور بموجلة خفيفة مضمونه وواو ساكتة، ثم راء مهملة - القبطي الخصي قريب مارية أم ولد رسول الله عليه السلام قدم معها من مصر.

وقال الواقدي: بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: بعث المقوقس إلى رسول الله عليه السلام بمارية وأحنتها سيرين وألف من قال ذهباً وعشرين ثوباً ليناً وبغلته الدليل وحماره عفير ويقال يغفور ومعهم خصي يقال له مأبور، ويقال: هأبور بهاء بدل الميم، وبغير راء، الإصابة (١٤/٦).

وقد وهم من سماه جريجًا من قول بعضهم: إن الذي أهدى مارية للنبي ﷺ هو المقوس حريج بن مينا صاحب الإسكندرية ومصر، لا أبوها شعون كما ادعى الصافي؛ لأنه لو كان أباها لكان الأمر لا يخلو: إما أن يكون مسلماً أو لا، فإن كان مسلماً فليس للنبي ﷺ أن يسترقها^(١) ويسرى بها على وجه الملكية، بل كان عليه بحسب ما قدره من الشرائع والأحكام أن يعقد عليها لكونها حرة الأصل.

ولا قائل بأنه عقد عليها قط، بل اتفقت الأمة على أنها كانت له جارية وسريرته^(٢)، ومعدودة من جملة جواريه وسراريء الأربعة^(٣) (رضي الله تعالى عنهم). وإن كان غير مسلم، فحينئذ نقول: كيف يتصور العقل أن إنساناً يهدي لمن لا يؤمن به، ويراه عدواً لدينه ومعتقداته، ابنته يتسرى بها، ويستخدمها ويخرجها عن دينها ودين آبائها وأجدادها^(٤).

هذا عجيب وبعيد عن العقل جداً، ودعواه أعجب إذ لا يقبل العقل تصوره بوجه عام. ولم يذكر أحد من العلماء السيدة عائشة (رضوان الله تعالى عليها)، أو يتعرض لها في هذه التهمة غير الشيعة.

وأما كون آيات الإفك نزلت في السيدة مارية القبطية^(٥) (رضي الله تعالى عنها)، وما اتتتها به السيدة عائشة الطاهرة التقية رضوان الله تعالى عليها فمردوده من وجوه تسعه عشر: الوجه الأول: أنه لا يمكن أن تقع التهمة من سيدتنا عائشة الصديقة المبرأة على السيدة

(١) من سراري النبي ﷺ ريحانة، قال الذهبي: سند عن ثعلبة بن أبي مالك قال: كانت ريحانة من بني النضير، فسباها رسول الله ﷺ فأعتقها وتزوجها وماتت عنده. وعند ابن شهاب أن رسول الله ﷺ استأسر ريحانة ثم أعتقها فلحقت بأهليها، قلت: - أي الذهبي - هذا أشبه وأصح. تاريخ الإسلام (٢٤٧/١) في أزواج النبي ﷺ وعددهن.

(٢) ذكر الذهبي هؤلاء الأربع فقال: قال أبو عبيدة: كان للنبي ﷺ أربع ولائد: مارية، وريحانة من بني قريظة وجحيلية فكادها نساؤه، وكانت له جارية نفسية وهبتها له زينب بنت جحش. تاريخ الإسلام (٢٤٧/١).

(٣) انظر ما تقدم من ترجمتها في الإصابة (٨/١٨٥) وإسلامها بعد أن عرض عليها حاطب بن أبي بلقة الإسلام.

(٤) قال البلاذري: كانت أم مارية رومية ، وكانت مارية بيضاء جعدة جميلة . وتوفيت في خلافته قال الوادعي: ماتت في المحرم سنة ست عشرة فكان عمر يحشر الناس لشهودها وصلى عليها ودفنتها بالبقيع. وقال ابن منده: ماتت مارية بعد النبي ﷺ بخمس سنين. الإصابة لابن حجر (٨/١٨٥).

مارية القبطية (رضي الله تعالى عنها) بسبب سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولا أن تقول ما نقلوه عنها أن مأمور الخصي كان أسود، وسيدنا إبراهيم عليه السلام (١) ابن رسول الله عليه السلام كان أبيض، بل شديد البياض لقوله عليه السلام: وبشرني جبريل أن في بطنه يعني السيدة مارية غلاماً مني وأنه أشبه الخلق بي (٢).

وهذا الحديث فيه دلالات كثيرة منها: أن تهمة المنافقين لها كانت وهي حامل ومنها: أن السيدة عائشة (رضي الله عنها) لا يمكن أن تقول ما نسب إليها بعد قول النبي عليه السلام وبشرني أن في بطنه غلاماً مني، وأنه أشبه الخلق بي (٣).

ومنها من قوله فأخبرني أن الله برأها إلى غير ذلك.

الوجه الثاني: أنه لا يمكن أن تكون آيات الإفك نزلت في السيدة مارية وما أفككت به عليها على زعمهم الباطل السيدة عائشة (رضي الله تعالى عنها); لأن الآيات الكريمة المذكورة نزلت عقب غزوة بنى المصطلق (٤) التي يقال لها غزوة المريسيع، وذلك سنة خمس، أو ست أو أربع على ما قدمنا، وأن موت سيدنا إبراهيم عليه السلام كان سنة عشرة من الهجرة، فيكون نزول الآيات ووقع الإفك قبل وفاة سيدنا إبراهيم عليه السلام أو ست سنين بل قبل بحث السيدة مارية ووصولها المدينة المنورة بستين على الأقل أو بثلاث، أو أربع على الخلاف المار؛ لأن إهداء المقوقس (٥) إليها كان سنة شان كما أسلفنا.

(١) انظر ما سبأني عقب هذا من أنه كان كثير الشبه بسيدنا رسول الله عليه السلام.

(٢) توفى إبراهيم بن النبي عليه السلام هو ابن سنة ونصف، وغسله الفضل بن العباس وزُنَل قبره الفضل وأسامي بن زيد فيما قبل، وكان أبيض مسماً كثير الشبه بوالده عليه السلام. تاريخ الإسلام في سنة (٩).

(٣) أُنذل النبي عليه السلام السيدة مارية في العالية في المال الذي صار يقال له سرية أم إبراهيم وكان يختلف إليها هناك وكان يطواها بملك اليمين، وضرب عليها مع ذلك الحجاب فحملت منه ووضعت هناك في ذي الحجة سنة شان.

(٤) قال الواقدي عن عمر وغيره: أن بنى المصطلق من خزاعة كانوا ينزلون ناحية الفرع، وهم حلفاء بني مدلج، وكان رأسهم الحارث بن أبي ضرار، وكان قد سار في قومه ومن قدر عليه، وابتاعوا خيلاً وسلاماً، وتهما للمسير إلى رسول الله عليه السلام. وقال الواقدي: ونزل رسول الله عليه السلام الماء وضررت له قبة من أدم ومعه عائشة وأم سلمة وصف رسول الله عليه السلام أصحابه، ثم أمر عمر فنادي فيهم، قولوا: لا إله إلا الله، تعنوا بها أنفسكم وأموالكم، ففعل عمر، فأبوا فنكان أول من رمى رجل منهم سهم، فرمي المسلمين ساعة بالليل، ثم إن رسول الله عليه السلام أمر أصحابه أن يحملوا فحملوا، فما أفلت منهم إنسان. تاريخ الإسلام حوادث سنة (٥).

(٥) قال يونس: عن ابن إسحاق: ثنا الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد القارى أن رسول الله عليه السلام بعث

فإن صح وقوع تهمة على السيدة مارية المذكورة (رضي الله تعالى عنها)، لا يكون الإفك المذكور في القرآن المجيد. ولا تكون السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) هي المتهمة لها.

وهذا وحده كاف لبطلان قول الصافي^(١) عن القمي.

وأما الخاصة فإنهم رروا أنها نزلت في مارية القبطية وما رمتها به عائشة.

الوجه الثالث: إن هذا القول غير صحيح عند الشيعة أنفسهم أيضاً كما صرخ بذلك الصافي نفسه بقوله.

أقول: إن صح هذا إلى آخره.

الوجه الرابع: إن هذا القول مخالف وخارق لإجماع المفسرين والمحدثين، وأهل السير والمؤرخين، لم يذكره أحد منهم.

الوجه الخامس: إن الله (سبحانه وتعالى) قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصَبَةٌ مِّنْكُمْ﴾**^(٢).

وقدمنا أن العصبة من العشرة إلى الأربعين، وأن الصافي نفسه فسره بجماعة.

وهو تصریح منه تعالى بأن الأفکین جماعة^(٣) لا واحد وكون السيدة عائشة الصديقة المرأة أفك وحدها والعياذ بالله تعالى على السيدة مارية لا تطبق عليها الآية المذكورة. وكذا ما بعدها.

حاطب بن أبي بلقة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله، وأهدى معه إلى النبي ﷺ بغلة وكسوة وجاريتين، إحداهما: أم إبراهيم والأخرى وهبها النبي ﷺ لجهم بن أثيم فهى أم زكريا بن جهم، خليفة عمر وبن العاص على مصر. تاريخ الإسلام حوادث سنة (٨) هـ.

(١) الصافي في تفسير القرآن . تأليف: محسن بن محمد بن مرتضى بن محمود الكاشي الملقب بفاضي، والمتوفى سنة (١٠٩١) هـ.

(٢) سورة الأحزاب (١١). وقد تقدم تفسير الآيات من قبل.

(٣) قال يونس بن بکير: عن ابن إسحاق، حديثي عبد الله بن أبي بکر بن حزم، عن عروة عن عائشة قالت: لما تلا رسول الله ﷺ القصة التي نزل بها عذري على الناس، نزل فامر برجلين وامرأة من كان تكلم بالفاحشة في عائشة، فجلدوا الحد.

قال: وكان رمها ابن أبي، ومسطح، وحسان وحمنة بنت جحش.

تاريخ الإسلام حادث الإفك (٣٦٢/١).

الوجه السادس: إن في الآيات المذكورات تصريحًا بتوبه بعض الأفکين^(١).
وكون السيدة عائشة هي الأفکة برأها الله (تعالى) وحدها، كما افترى عليها.
 تكون الآية الدالة على توبه بعض الأفکين وهو قوله تعالى: **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مَنْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾**.

نزلت في حقها ودالة على توبتها وهو يرد على الصافى قوله عن القمي: لترجم عن ذنبها،
فما رجعت ولا اشتدت عليها قتل رجل مسلم.

الوجه السابع: إنه لو كانت آيات الإلافك نازلة فيما أفكـت به السيدة عائشة الصديقة^(٢)،
على السيدة مارية (رضي الله تعالى عنها)، على زعمـه لـكـانت السـيدة عـائـشـة الصـديـقةـ
حـاشـاـهـاـ اللـهـ تـعـالـىـ اـسـتـوـجـبـتـ حـدـ الـقـذـفـ،ـ وـهـوـ الـحـلـلـ^(٣).

لـقولـهـ تـعـالـىـ **﴿وَلَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءِ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ**

(١) في قوله تعالى: **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾** أيها المخاطبون في شأن عائشة
بأن قبل توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا وعفـا عنـكم لإيمـانـكـمـ بالنسبةـ إـلـىـ الدـارـ الـآخـرـةـ **﴿لَمْ يـكـنـ فـيـمـا**
أـفـضـلـ فـيـهـ﴾ من قضـيةـ الإـلـافـكـ **﴿عـذـابـ عـظـيمـ﴾** وهذا فيـمـنـ عـنـدـهـ إـيمـانـ فـيـقـبـلـ اللـهـ بـسـبـبـهـ التـوـبـةـ كـمـسـطـحـ
وـحـسـانـ وـحـمـنةـ بـنـتـ جـحـشـ أـخـتـ زـيـنـ بـنـ جـحـشـ،ـ فـاـمـاـ مـنـ خـاصـ فـيـهـ مـنـ الـمـنـافـقـينـ كـعـبـ الدـلـلـ بـنـ
أـبـيـ اـبـنـ سـلـوـلـ وـأـسـارـ بـهـ فـلـيـسـ أـوـلـكـ مـرـادـيـنـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ لـأـنـ لـيـسـ عـنـهـمـ مـنـ الإـيمـانـ وـالـعـمـلـ الصـالـحـ
مـاـ يـعـادـلـ هـذـاـ.

تفسير ابن كثير (٢٨٢/٣).

(٢) اختلف العلماء في عائشة وخلافة أيهما أفضل، وفي عائشة وفاطمة رضي الله عنـهمـ أجمعـينـ.
واختلف الناس في تفضـيلـ بعضـ الصـحـابـةـ عـلـىـ بـعـضـ وـفـاطـمـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ أـجـمـعـينـ.
الخطـاطـيـةـ:ـ أـفـضـلـهـمـ أـبـوـ بـكـرـ الصـدـيقـ،ـ وـقـالـ أـفـضـلـهـمـ أـبـوـ بـكـرـ الصـدـيقـ،ـ وـقـالـ
الـسـنـةـ عـلـىـ أـنـ أـفـضـلـهـمـ أـبـوـ بـكـرـ ثـمـ عـمـرـ،ـ وـقـالـ الرـوـانـيـةـ:ـ أـفـضـلـهـمـ العـبـاسـ،ـ وـقـالـ الشـيـعـةـ:ـ عـلـيـ،ـ وـاتـقـ أـهـلـ
أـهـلـ الـكـوـفـةـ بـتـقـدـيمـ عـلـىـ عـلـىـ عـثـمـانـ،ـ وـالـصـحـيـحـ الـمـشـهـورـ تـقـدـيمـ عـثـمـانـ.
الـنـوـويـ فـيـ شـرـحـ مـسـلـمـ (١٢١/١٥ـ) طـبـعةـ دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـةـ.

(٣) حـكـمـ جـلـ القـاذـفـ لـلـمـحـصـنـةـ ثـانـونـ جـلـدـةـ،ـ وـهـيـ الـحـرـةـ الـبـالـغـةـ الـعـفـيـفـةـ،ـ فـإـذـ كـانـ المـقـذـوفـ رـجـلـاـ
فـكـذـلـكـ يـجـلـدـ قـادـفـهـ أـيـضـاـ،ـ وـلـيـسـ فـيـ نـزـاعـ بـيـنـ الـعـلـمـاءـ،ـ فـإـنـ أـقـامـ القـاذـفـ بـيـةـ عـلـىـ صـحـةـ ماـ قـالـهـ دـرـاـ
عـنـهـ الـحـدـ وـلـذـاـ قـالـ تـعـالـىـ:ـ **﴿ثـمـ لـمـ يـأـتـوـ بـأـرـبـعـةـ شـهـادـةـ فـأـجـلـدـوـهـمـ ثـانـيـنـ جـلـدـةـ وـلـاـ تـقـبـلـوـهـمـ شـهـادـةـ**
أـبـدـاـ وـأـلـئـكـ هـمـ الـفـاسـقـونـ﴾ فـأـلـوـجـبـ عـلـىـ القـاذـفـ إـذـ لـمـ يـقـمـ الـبـيـةـ عـلـىـ صـحـةـ ماـ قـالـ:ـ ثـلـاثـ أـحـكـامـ
أـحـدـهـ:ـ أـنـ يـجـلـدـ ثـانـيـنـ جـلـدـةـ،ـ الثـالـثـ:ـ أـنـ تـرـدـ شـهـادـتـهـ أـبـدـاـ،ـ الثـالـثـ:ـ أـنـ يـكـوـنـ فـاسـقـاـ لـيـسـ بـعـدـ لـاـ عـنـدـ
الـلـهـ وـلـاـ عـنـ النـاسـ.

تفسير ابن كثير (٢٧٣/٨).

الكافرون

قال الصافي: فإن مالا حجة عليه مكذب عند الله أى في حكمه ولذلك ترتب الحد عليه.

الوجه الثامن: أن السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) لو استوجبت الجلد لكان جلدها رسول الله ﷺ ولم يتركها لما روى البخاري ومسلم^(١) في صحيحهما بسندهما أن قريشاً أهتمهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجرئ عليه؟ إلا أسماء^(٢) حب رسول الله ﷺ فكلم رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فخطب: "يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأئم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"^(٣).

وروى البخاري في صحيحه أيضاً أن أسماء كلام النبي ﷺ في امرأة فقال: "إنما هلك من كان من قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف والذي نفسي بيده، لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها"^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٧٨٨) - كتاب الحدود، ١٣ - باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، عن عائشة.

ومسلم في صحيحه [٨ - (١٦٨٨)] كتاب الحدود، ٢ - باب قطع السارق الشريف وغيره، والنبي عن الشفاعة في الحدود، عن عائشة.

(٢) أسماء بن زيد بن حارثة، حب رسول الله ﷺ وابن حبه ومولاه وأمه أم أيمن بركة حاضنة النبي ﷺ ومولاته. كان عمر إذا لقيه قال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته، أمير أمره رسول الله ﷺ ومات، وأنت على أمير.

ولما فرض عمر لأسماء مما فرض لابنه عبد الله قال له: إنما هجرتني وهجرته واحدة، فقال له عمر: إن أباك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وإنك كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك توفي عليه سنة (٥٤).

انظر تاريخ الإسلام - وفيات (٦٠-٥١).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وتقديم. وقال النووي: قد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الإمام لهذه الأحاديث، وعلى أنه يحرم التشفيع فيه، فأما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، فإن كان لم يشفع فيه، وأما المعاصي التي لا حد فيها وواجبها التعزير فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا لأنها أهون، ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه.

شرح مسلم للإمام النووي (١١/١٥٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٨٧) - كتاب الحدود، ١٢ - باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، عن عائشة.

ولم ينقل أحد من المسلمين أو من غيرهم في جلدها شيئاً بل ولا الشيعة أنفسهم.
الوجه التاسع: إنه بناءً على ما نقله الصافي من أن النبي ﷺ كان لا يعلم أن مأموراً خصي
قول الصافي: لما هلك إبراهيم بن رسول الله حزن عليه^(١) حزناً شديداً فقالت له عائشة: ما
الذى يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريج^(٢).

فبعث رسول الله علّي وأمره أن يقتله، يلزم أن رسول الله ﷺ كان يمكن رجلاً أحنياً أن
يدخل على جاريته وسريرته وحدها في بيته بعد نزول آية الحجاب، والعقل بقطع النظر عن
النقل يأبه.

وذلك لأن آية الحجاب نزلت حينما بنى النبي ﷺ بالسيدة زينب^(٣) هلال ذي القعدة
سنة أربع من الهجرة.

ومارية ومأمور وصلا المدينة المنورة سنة ثمان. إبراهيم ولدتها^(٤) توفي سنة عشر من
المigration، فكان وصول السيدة مارية المدينة المنورة بعد نزول آية الحجاب بأربع سنين، ووفاة

وقد روى مسلم [١١ - ١٦٨٩] في الحدود، ٢-باب قطع السارق الشريف وغيره، عن جابر، أن
امرأة من بنى مخزوم سرقت، فأتى بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: "والله لو
كانت فاطمة قطعت يدها" فقطعت.

(١) روى البخاري (١٣٠٣) كتاب الجنائز ، ٤٣-باب قول النبي ﷺ: "إنا بك لخزونون" وفيه: "فجعلت
عينا رسول الله ﷺ تذرفنـ (وذلك في وفاة ابنه إبراهيم) - فقال له عبد الرحمن بن عوف رض: وأنت
يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال رض: "إن العين تدمع، والقلب
يحزن، ولا تقول إلا ما يرضي ربنا وإنما لفراشك يا إبراهيم لخزونون".

وكذا رواه مسلم [٢٣١٥ - ٦٦] كتاب الفضائل، ١٥-باب رحمته رض بالصبيان والعياـل.

(٢) هو مأمور كما ورد في الكثير من كتب السيرة وترجمـ الرجال وقد تقدم ذلك.

(٣) السيدة زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية أسد خزيمة، أم المؤمنين أخت أبي أحمد ومحنة تزوجها
النبي ﷺ سنة ثلـاث، وقيل: سنة خمس، وقيل سنة أربع وهو أصح.
وقال الواقدي: تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وهي بنت خمس وثلاثين سنة، وكانت دينة
ورعـة كثيرة البر والصدقة، وكانت أول نساء رض لـحوقـاً بهـ، فصلـى عليهـ عمرـ سنة (٢١).

تـاريخ الإسلام - وفيـات (٢١).

(٤) روى مسلم في صحيحـه [٦٢ - ٢٣١٥] كتاب الفضائل، ١٥-باب رحمته رض الصـبيان والعـيـال
وتواضـعـهـ وفضلـهـ ذلكـ، عنـ أنسـ بنـ مـالـكـ قالـ: قالـ رسولـ اللهـ رض: "ولـدـ ليـ الـلـيـلـةـ غـلامـ، فـسـمـيـتـهـ أـبـاـ
إـبرـاهـيمـ، ثـمـ دـفـعـهـ إـلـيـ أـمـ سـيفـ اـمـرـأـ قـيـنـ يـقـالـ لـهـ أـبـوـ سـيفـ ...ـ الـحـدـيـثـ.ـ وـقـالـ التـوـيـيـ:ـ فـيـ جـوـازـ تـسـمـيـةـ
الـمـولـدـ يـوـمـ وـلـادـتـهـ وـجـوـازـ تـسـمـيـةـ بـاسـمـاءـ الـأـبـيـاءـ صـلـوـاتـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـهـ.

سيدنا إبراهيم العليّة بعدها بست سنين.

الوجه العاشر: إنه لو أدعّت الشيعة ^(١) أن النبي صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلم أن مأموراً خصي، ولذلك كان يمكنه من الدخول على جاريته، يرده ما رواه الصافى: أن رسول الله صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أخبره على بأنه ليس له ما للرجال، ولا له ما للنساء قال: "الحمد لله الذى صرف عنا السوء أهل البيت" ^(٢)، لأن الظاهر من هذا الحمد أنه على كون مأمور لا آلة له لاتفاقه السوء حينئذ عن مارية الذى هو التهمة، فيتفي عن أهل البيت باتفاقه عنها لأنها منهم.

الوجه الحادى عشر: أنه لو قيل إن حمد النبي صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس على ذلك؛ لأنه معلوم عنده، بل على عدم قتل على إيه.

قلنا هذا يدل على أن النبي صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن يعلم ^(٣) أن علياً لا يقتله ويرده ما صرخ به الصافى نفسه بقوله: وكان - أي رسول الله صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه لا يقتله، فلم يكن الحمد حينئذ إلا على وجود مأمور خصياً.

الوجه الثاني عشر: أنه لو قالوا إن حمد النبي صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن على وجود مأمور خصياً، ولا على عدم قتل سيدنا على إيه بل على ظهور كون مأمور خصياً، وهو لا ينافي علمه صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيه، فلا يكون دليلاً على عدم علمه.

أجبنا عنه بأن ظهور كون مأمور خصياً لا يستلزم الحمد؛ لأنه ليس بنعمة ولا يحتاج إلى

(١) تنقسم فرق الشيعة إلى ثلاثة فرق هم:

- ١- الغالية: منها: البيانية - الجناحية - الحرية - المنصورية - الخطابية - المعمورية - المفضلية - السبعية - المفروضية - الذمية وغيرها.
- ٢- الإمامية: منها: القطعية - الكيسانية - الرواندية - الرزامية - الحرية - الباقية - الماشية - اليوسية - الناوسة - القرامطة - المباركية وغيرها.
- ٣- الزيدية: منها: الجارودية - السليمانية - الصالحية - العقوبية - ابترية - النعيمية.

انظر موسوعة الفرق والجماعات ، ص ٢٦٨

(٢) في فضائل أهل البيت . روى الترمذى (٣٧٦٨) كتاب المناقب، باب مناقب المحسن والحسين، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الحسن والحسين سيداً شباباً أهل الجنة". وقال الترمذى: حسن صحيح.

(٣) روى مسلم [٥ - (٩)] كتاب الإيمان، ١-باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بآيات قدر الله سبحانه وتعالى ، عن أبي هريرة، وفي آخره "في خمس لا يعلمون إلا الله" ثم تلا صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إن الله عنده علم الساعة وينزل الفيت ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأي أرض تموت إن الله علیم خير للمان (٣٤).

ارسال على لقتله وتخويفه. إذ لو أخبر رسول الله ﷺ أصحابه أن مأموراً خصي لصدقه. ورؤيه على^(١) ذلك بعينه لا تزيفه يقيناً عن إخبار المصطفى ﷺ إيه فضلاً عن غيره من الصحابة رضوان الله عليهم.

فإن إخبار على إيهام أنه رأه خصيًّا بالنسبة لإخبار النبي ﷺ إيهام به، ليس بشيء، فلا فائدة بهذا الظهور هذا بالنسبة للصحابة الكرام^(٢).

أما بالنسبة للمنافقين والكفرة، فإذا كانوا لا يصدقون إخبار رسول الله ﷺ المتفق عندهم على صدقه، لا يصدقون على الذي هو بعض أتباعه بالأولى، فلا يصح حمل الحمد إلا على وجود مأمور خصيًّا.

الوجه الثالث عشر: إن فيما فعله على (كرم الله تعالى وجهه) على ما نقله الصافي تخويفاً وترويعاً لمؤمن بالله تعالى ورسوله ومسلم، بغير حق يقتضي ذلك، وهو حرام من عنده سيد الأنام بقوله ﷺ: "من أخاف مؤمناً، كان حفراً على الله تعالى أن لا يؤمنه من إفراع يوم القيمة"^(٣).

وقوله ﷺ: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً"^(٤).

(١) في فضائل على عليه قوله ﷺ: "أنت بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" قال القاضي: هذا الحديث مما تعلقت به الروايات والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حفلاً على وأنه وصى له بها، قال: ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروايات سائر الصحابة في تقلييمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر علياً لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم، وهؤلاء أسفخ منهاً وأفسد عقلاً من أن يرد قولهم أو يناظر. وقال القاضي: ولاشك في كفر من قال هذا لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام . النموي في شرح مسلم (١٤٢/١٥).

(٢) من فضائل الصحابة الكرام ما رواه مسلم في صحيحه [٢٢١ - ٢٥٤٠] كتاب فضائل الصحابة، ٤-باب تحرير سب الصحابة رضي الله عنهم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ، ولا نصيحة".

وقال النموي: أعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتنة منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك المحراب متأولون، وقال القاضي: وسب أحد لهم من المعاصي الكبائر، ومنهنا ومنهاب الجهمي أنه يعزز ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل.

النموي في شرح مسلم (٧٦/١٦).

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (٤٣٧٠٤).

(٤) لم أقف عليه.

وقد كان التخويف والترويع هنا بغير حق لعدم اقترافه إنما يوجب ذلك. وهذا يدل على أن القصة على ما رواها ثابت ما فيها من التبديل، وأنها وإن صحت على الوجه الذي ذكروه مع أن ذلك محال لتناقضه.

يكون سيدنا على صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ أخبر مأموراً بذلك، فكشف له عن قصد منه، والحق أنه رأه حين أخرجه من ركي الماء قبل أن يخوفه ويروعه كما رواه مسلم^(١).

فيكون كشف مأمور عن صدفة، ونظر سيدنا على عن قصد للحاجة، فلم يكن سيدنا على صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ ليخووه ويروعه كما أورد هذه القصة أهل السنة والجماعة.

وأما إهواه سيدنا عمر أمير المؤمنين صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ بالسيف^(٢). فقد كان بعد أن أخبر مأمور بذلك استعجالاً له لتنفيذ أمر النبي صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ لذلك قوله: فلما رأى ذلك كشف عن نفسه^(٣).

الوجه الرابع عشر: أنه إن قلنا كما قالت الشيعة بأن النبي صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ لم يبين لعلي أنه إن كان مأمور غير خصي فلا يقتله كيف يتصور أن سيدنا على صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ يخالف أمر النبي صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ فلا يقتله بعد أن ظفر به وتمكن من قتله.

وه هنا لا يخلو إما أن يجاح بـأن علياً كان علم أن النبي صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ لا يريد قتله. وهذا مردود من وجهين أيضاً.

الأول: أنه لو كان يعلم ذلك لما رجع للنبي صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ وقال: "أمضى على ذلك أم أثبتت؟"^(٤).

(١) لفظ مسلم تقدم، وأيضاً تقدم تعليق الإمام النووي عليه.

انظر شرح مسلم للإمام النووي (١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) ذكرها ابن حجر في الإصابة (١٤٦).

(٣) في شدة عمر في الحق ما ذكره النهي: قال الأخفف بن قيس: سمعت عمر يقول: لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين: حلة للشتاء، وحلة للصيف، وما حج به واعتبر، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس باغنامهم، ثم أنا رجل من المسلمين.

وعن خزيمة بن ثابت: أن عمر كان إذا استعمل عاماً كتب له واشترط عليه ألا يركب بربونا، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات، فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة. تاريخ الإسلام حوادث سنة ٢٣ ترجمة عمر بن الخطاب.

(٤) روى مسلم في صحيحه [٣٣-٤٠٥] كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ في إعطاء النبي صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ الرأبة في فتح خير وقال له: امش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك ...".

قال النووي: أن المراد الحث على الإقدام والمبادرة إلى ذلك وحمله على صَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ على ظاهره ولم يلتفت

فإنه لو علم مراد النبي ﷺ كما أدعاه الصافى لما سأله؛ لأن ثبته هنا عين مضيه في أمره، وهذا بناءً على أن سؤاله ذلك كان بعد رجوعه من الذهاب إلى مأمور على ما نقله الصافى لا قبله كما عليه أهل السنة والجماعة.

الثانى: أنه لو كان يعلم ذلك بغير إعلام النبي ﷺ (١) إيه لعلم أن الأمر بقتل مأمور إنما هو لما اتهم به وأن تلك التهمة لا أصل لها لما عليه مأمور من حال لا يمكنه معها فعل ما اتهم به.

وكان لم يروع ولم يخوف صحابيًّا مسلماً مؤمناً بغير ذنب لما مر. وإن قيل إنما فعل ذلك امثلاً لأمره ﷺ. قلنا: كان عليه أن يخبر بذلك النبي ﷺ أولاً. ويدرأ هذا الرعب والروع والخوف عن هذا الرجل المسلم المؤمن الصحابي، لتهمته ظلماً وعدواناً فإنه ﷺ يصدقه أولاً كما صدقه.

ثانيًّا وإنما أن يحاب بأنه كان لا يعلم وحيثند نقول: لا يمكن أن يقول عاقل بأن سيدنا عليًّا يخالف أمر رسول الله ﷺ مع تمكنه من القيام بإجرائه.

ويرد أيضاً قول الصافى: ولو كانت عزيمة من رسول الله القتل ما رجع على حتى يقتله. وأما قوله: إنما بعث علياً إلى جريج^(٢) ليظهر الحق أقول: كان يمكن إظهار الحق بغير ذلك بأن يخبر رسول الله ﷺ السيدة عائشة أن مأموراً لا يقدر على فعل شيء لأنه لا آلة له، وتصدقه السيدة عائشة الصديقة المبرأة بالضرورة لأنها تعلم صدقه ﷺ بل أعداؤه الكفار به يعلمون صدقه.

وكانوا يسمونه في الجاهلية الصادق الأمين^(٣) ﷺ كما صدقته بعد لما أخبره علي.

يعينه حين الحاجة.

والآخر: أنه على ظاهره أى لا تلتفت بعينك لا يميناً ولا شملاً بل امض على جهدة قصدك، ثم قال النwoي أيضاً: فيه فضائل ظاهرة لعليه^٤ وبيان شجاعته وحسن مراعاته لأمر رسول الله ﷺ وجهه الله^٥ ووجهه رسوله ووجههما إيه. شرح مسلم للنwoي (١٤٤/١٥).

(١) خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله وذلك من قوله تعالى: «إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأي أرض تموت» سورة لقمان (٣٤).

(٢) هو مأمور وقد تقدمت ترجمته، وقال ابن حجر في الإصابة (١٨٥/٨) أقام الخصي على ديه حتى أسلم بالمدينة بعد في عهد رسول الله ﷺ.

(٣) هذا كان اسم النبي ﷺ في مكة قبل مبعثه ولنا في قصة بناء الكعبة مثلاً ذكر النبوي هذا فقال: «فليما

الوجه الخامس عشر: أن قوله: إنما فعل رسول الله ﷺ لترجع عن ذنبها، فما رجعت.

الضمير راجع إلى السيدة عائشة الصديقة^(١) المبرأة (رضي الله تعالى عنها).

والذنب هو الإفك على السيدة مارية على زعمه يرده، أنها لو أصرت على ذنبها كما افترى به على الله كذبًا لكان ذلك تكذيباً منها لرسول الله ﷺ. وتکذيبه ﷺ كفر.

وكيف يبقى عنده رسول الله وحبسته امرأة كافرة بالله تعالى عدوة الله (عز شأنه) مكذبة لرسول الله جل جلاله.

ينام معها في فراش واحد ويأتيها، ويأتيه الوحي في لحافها^(٢): وتوفي ﷺ ورأسه الشريف في حجرها بين سحرها ونحرها^(٣) هذا لا يتصوره عامي، له أدنى عقل.

بلغ البيان موضع الركن يعني الحجر، اختصموا فيمن يضعه، وحرست كل قبيلة على ذلك حتى تحاربوا ومكثوا أربع ليال. ثم لئنهم اجتمعوا في المسجد تناصفوا فزعموا أن أبا أمية بن المغيرة وكان أسن قريش قال: أجعلوا بينكم فيما تختلفون أول من يدخل من باب المسجد، فكان رسول الله ﷺ أول من دخل فقالوا: هذا الأمين رضينا به فقال: "هاتوا ثوباً" فأخذ الركن بيده فوضعه في الثوب ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم أرفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو ﷺ بيده وبنى عليه. تاريخ الإسلام (٣٨١).

(١) تكى السيدة عائشة أم عبد الله فقيل أنها ولدت من النبي ﷺ ولدًا فمات طفلاً ولا يثبت هذا، وقيل كنها بابن أختها عبد الله بن الزبير وهذا الثاني ورد عنها من طرق منها عن ابن سعد عن يزيد بن هارون عن حماد عن هشام بن عروة عن عباد بن حمزة عن عائشة قال الشعبي: كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثني الصادقة ابنة الصديق حبيبة حبيب الله .
انظر الإصابة لابن حجر (٤٠٨).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٧٧٥) في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة (ﷺ)، وفي آخره، فقال: يا أم سلمة لا تؤذني في عائشة، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها .

وأخرجه أيضاً الترمذى في سننه (٣٨٧٩) في المناقب، باب فضل عائشة (ﷺ)، والنمساني في الكبرى، المناقب، باب فضل عائشة بنت أبي بكر الصديق، وفي عشرة النساء، باب الغيرة.
قال الترمذى: حديث حسن غريب.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه [٢٤٤٣-٨٤] كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة (ﷺ)، عن عائشة ، قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليفقد يقول: "أين أنا اليوم؟ أين أنا غداً؟ استبطأه ليوم عائشة، قالت: فلما كان يوم قبضه الله بين سحرى ونحرى .

قال الترمذى: السحر يفتح السين المهملة وضمنها إيسكان الحاء وهى الرئة، وما تعلق بها.

قال القاضى: إنما هو شجري بالشين المعجمة والجيم وشيك هذا القائل أصابعه، وألواما إلى أنها ضمته

وإن من أنه لا ينفر عنه، لكن بالنظر إلى مقامه لا يليق به ذلك لقوله تعالى: **﴿يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** في قوله عز شأنه: **﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدُهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾**^(١).

وأي مودة أعظم من تواجد الزوجة مع ما عرف منه **﴿كُلُّهُ﴾** من جهه إياها أكثر من الناس^(٢).
فإن قلت: إنه لم يعلم ذلك منها.

قلت: كيف علم أن علياً لا يقتل مأموراً، ولا يعلم أن عائشة الصديقة برأها الله تعالى لا تصدقه حكم لا يقول به عاقل.

الوجه السادس عشر: إن الله سبحانه وتعالى قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمَوْنَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَالِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**^(٣).

فلو كانت السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها)، وبرأها مما يفترى به عليها أعداؤها هي الرامية السيدة مارية بالزنا.

وبقيت مصرا على ذلك (حاشاها الله تعالى) ونزعها عما يقول فيها الملحدون، ويفترى به عليها أعداؤها الظالمون.

إلى نحرها مشبكة يديها عليه، والصواب المعروف هو الأول.

شرح مسلم للنووي (١٥/١٦٨) مطبعة دار الكتب العلمية.

(١) سورة الجادلة (٢٢).

(٢) في تفسير الآية المتقدمة قال ابن كثير في تفسيره (٣٢٩/٨): قال سعد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح **﴿ه﴾** حين جعل الأمر شوري بعده في أولئك السنة (٢٦)، ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته وقيل في قوله تعالى: **﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾** نزلت في أبي عبيدة قتل أبياه يوم بدر، **﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾** في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن **﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾** في مصعب بن عمير قتل أخيه عبيدة بن عمير يومئذ **﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾** في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عبيدة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم.

(٣) سورة النور (٢٣). قال العوفي عن ابن عباس في الآية: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمَوْنَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾** الآية يعني أزواج النبي **ﷺ** وما هن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباءعوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي **ﷺ**، ثم نزل بعد ذلك **﴿وَالَّذِينَ يَرْمَوْنَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوْا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ﴾** إلى قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** فأنزل الله الجلد والتوبه، فاللوبية تقبل والشهادة ترد.

تفسير ابن كثير (٨/٢٨٥).

لما كان أمسكها بِهِ عنده بل كان يطلقها لأن من يرمي الحصنات الغافلات المؤمنات ملعون في الدنيا والآخرة.

ولاشك أن السيدة مارية (رضي الله تعالى عنها) وعن سائر الزوجات الطاهرات الحصنات غافلة مؤمنة^(١)، فلم يكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ يقى عنده ملعونة من الله على لسانه، سيماء وأن ذلك مع دعوى الإصدار منها (والعياذ بالله تعالى) كما زعم، كيف وقد ثبت أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ قال: لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة في حديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي بزرة الأسلمي^(٢): ولفظه "بِنِمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ هُنَّ بَعْضَ مَنْتَاعٍ إِذْ بَصَرُتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ، وَتَضَاقَّ جَهَنَّمُ الْجَبَلَ": فقالت: حل اللهم عنها. قال فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: "لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة"^(٣).

(١) قال ابن جرير بنده عن ابن عباس قال: فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْحُصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾** الآية قال: نزلت في شأن عائشة وأزواجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ وهي مهمة وليس لهم توبة ثم قرأ **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْحُصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهِدَاءٍ﴾** إلى قوله: **﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾** الآية قال: فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة. تفسير ابن كثير (٢٨٥/٨).

(٢) أبو بزرة الأسلمي اسمه نضلة بن عبيد بن الحارث، مشهور بكتبه، صاحب رسول الله، سكن البصرة وكان مع معاوية بالشام وقيل: شهد صفين مع على عَلِيٌّ، وقد روى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ وأبي بكر، غزا خراسان ومات بها، وأخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ٦٥. ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/٤٤٦)، تقرير التهذيب (٢/٣٠٣)، الكافش (٣/٥٠٢)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/١١٨)، الجرح والتعديل (٨/٤٩٩)، أسد الغابة (٥/٣٢١)، الثقات (٣/٤١٩)، الاستيعاب (٥/٤٩٥)، تجريد أسماء الصحابة (٥/١٠٦)، الإصابة (٦/٤٢٣)، طبقات ابن سعد (٧/٩).

(٣) قال النووي في رواية: "خَلَنُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعَوْهَا فِيمَا مَلْعُونَةٌ" وفي رواية "لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة إنما قال هذا زحراً لها ولغيرها وكان قد سبق نهياً وهي غيرها عن اللعن فعوقبت بإرسال الناقة، والمراد النبي عن مصاحبه لتلك الناقة في الطريق، وأما بيعها وذبحها ورکوها في غير مصاحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ وغير ذلك من التصرفات التي كانت جائزه قبل هذا، فهي باقية على الجواز لأن الشرع إنما ورد بالنبي عن المصاححة فبقى الباقي كما كان.

شرح مسلم للنووي (٦/١٢٢).

(٤) أخرجه مسلم [٨٢-٢٥٩٦] كتاب البر والصلة والآداب، ٢٤-باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

وفي رواية عن أبي الدرداء قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: "لا يكون اللعنون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة" فيما رواه مسلم [٨٥-٢٥٩٨] به.

وقال النووي: فيه الزجر عن اللعن وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة لأن اللعنة في

وفي رواية أخرى أيضًا.

قال: وزاد في حديث المعتمر^(١): "لا وأيم الله لا تصاحبنا راحلة عليها لعنة من الله". أو كما قال^(٢)، انتهى. فلم يرضَ أن تصاحبه في طريقه ناقة ملعونة فكيف يتصور مسلم أن يكون مع النبي ﷺ في بيته ملعون في غالب أوقاته بل ينام معه في فراش واحد ويفضي إليه بعد قوله ذلك، فإن قيل: إن الحامل للنبي ﷺ على إمساكها عنده هو فرط حبه لها^(٣).

قلت: هذا ينافي في العصمة ولا يقول به مسلم.

وقد اتفقت الأمة الإسلامية على شرط العصمة للأئم^(٤) (عليهم الصلاة والسلام).

وسيأتي بعض تعرض لذلك في خاتمة هذا الكتاب (إن شاء الله تعالى).

الوجه السابع عشر: إن في نسبة هذه إلى السيدة عائشة المبرأة زوج النبي ﷺ وحياته إيداع له بكتير.

الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضاً والجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والتدابر وهذا غاية ما يوده المسلم للكافر ويدعو عليه.

شرح مسلم للنبوة (١٢٣/١٦).

(١) معتمر بن سليمان بن طرخان ، أبو محمد التيمي البصري، ثقة، أخرجه له: أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ١٨٧ ، ١٨٠ .

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢٢٧/١٠) ، تقريب التهذيب (٢٦٣/٢) ، الكافش (٦١/٣) ، التاريخ الكبير للبخاري (٤٩/٨) ، التاريخ الصغير للبخاري (٢٤١/٢) ، الجرح والتعديل (١٨٤٦/٨) ، ميزان الاعتدال (١٤٢/٤) ، سير الأعلام (٤٧٧/٨) ، الأنساب (١٢٤/٣) ، الثقات (٥٢١/٧) ، معجم المؤلفين (٣٠٤/١٢) .

(٢) انظر مسلم [٨٣ - ٨٣] [٢٥٩٦] كتاب البر والصلة والأداب ، ٢٤ - باب النبي عن لعن الدواب وغيرها.

(٣) قال النبوة: كان بكتير يسوى بين أزواجه في الأفعال والميّت ونحوه، وأما حبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منه، وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها، ولا يلزمها التسوية وفيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال.

شرح مسلم للإمام النبوة (١٥ / ١٦٦ ، ١٦٧) .

(٤) قال الشوكاني: وأعلم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين فأئمهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة عالية فقل أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق، فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء.

انظر قطري الولي على حديث الولي ص ٣٥ من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

ما روى البخاري^(١) عن هشام^(٢) عن أبيه قال: كان الناس يتحررون بهداياهم يوم عائشة. قالت عائشة: فاجتمع صواحي إلى أم سلمة فقلت: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحررون بهداياهم يوم عائشة، وإنما نريد الخير كما تريده عائشة فمرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة^(٣) للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ. قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلى ذكرت له ذلك فأعرض عني. فلما كان في الثالثة ذكرت له، فقال: يا أم سلمة، لا تؤذني في عائشة، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منك غيرها^(٤).

ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ في حديث الإفك الذي رواه البخاري^(٥) وغيره وهو على المنبر: "يا معشر المسلمين، من يعذري من رجل، قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟"^(٦) وإيناؤه إيناء الله تعالى. كما ورد في صريح الحديث، وهو يستوجب اللعن.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٧٥) - كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ ، باب فضل عائشة (٣٧٧٦).

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد أبو المنذر القرشي الأسدي التبريري الملني أحد الأئمة الأعلام، روى عن عميه عبد الله بن الزبير وأبيه وأخويه عبد الله بن عروة وعبد الله بن عثمان. وقال أبو حاتم: ثقة إمام فالمحدث، وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة، توفي سنة ١٤٦. انظر تاريخ الإسلام وفيات (١٤١/١٥٠).

(٣) قال ابن حجر في الإصابة (٨/٤٠) أسلمت قليماً هي وزوجها وهاجر إلى الحبشة فولدت له سلمة ثم قدماً مكة وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر ودرة وزينب، قاله ابن إسحاق.

وقد روى النسائي بسند صحيح عن أم سلمة قالت: لما انقضت عدة أم سلمة خطبها أبو بكر فلم تتزوجه فبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ يخطبها عليه... الحديث. وفي آخره فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ فزوجه. انظر الإصابة (٨/٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٧٥) كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ ، باب فضل عائشة (٣٧٧٦).

(*) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن، ٦ - باب قوله «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً» إلى قوله: «الكافرون».

ومسلم في صحيحه [٥٦ - (٢٧٧٠)] كتاب التوبة، ١٠ - باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف.

(٥) تقدم في البخاري ومسلم.

وقال النووي: وأما استعذاره فمعناه أنه قال من يعذري فيمن آذاني في أهلي كما بينه في هذا الحديث ومعنى من يعذري من يقوم بعذري إن كفأته على قبيح فعله ولا يلومني، وقيل: معناه من ينصرني والعذير: الناصر.

شرح مسلم للإمام النووي (١١٩) طبعة دار الكتب العلمية.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْدَلَ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١) وحرام باتفاق الأمة، فيكون القول به يوجب اللعن بصريح القرآن، وحراماً أيضاً باتفاق الأمة.

الوجه الثامن عشر: إن السيدة عائشة الصديقة (رضوان الله تعالى عليها) التي برأها الله تعالى بصريح كتابه العزيز، وجعل براعتها قرآنًا يتلى ويتبعده المتبعدون، حيث ثبت أنها مع غيرها من سائر الزوجات الطاهرات^(٢) من أهل بيت النبوة (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) كان إذهاب الرجس عنها وتطهيرها مانعاً عن لحوق ما اختلفه أعداؤها ونسبوه إليها من تهمتها السيدة مارية (رضي الله عنها)، ونصراً قاطعاً في أنها خالية من كل دنس ومطهرة أبداً^(٣) الآبديين، ودهر الادهرين.

وهذا القدر من الوجوه الذي ذكرناه على هذه المسألة كاف عن الإطالة عنها، وذكر غيرها.

وإن يكن هناك وجوه أخرى ضربنا صفحها عن ذكرها خوف الملل على أن كل وجه مما ذكرناه كاف وحده لرد تلك الدعوى الباطلة والتهمة الرائلة.

الوجه التاسع عشر: إن القول زعم واه ضعيف جداً، خرق للإجماع مخالف للنقل والعقل لا ينفت إليه سيماء وقد قام على خلافه وبطلانه إجماع الأمة من أهل السنة والشيعة من زمانه إلى الآن فلا يليق بعاقل أن يشك في وصفه لغرض البعض^(٤)، فضلاً عن أن يعول عليه.

(١) سورة الأحزاب (٥٧) .

(٢) روى الترمذى في سنته (٣٨٩١) كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، عن عكرمة قال: قيل لابن عباس بعد صلاة الصبح ماتت فلانة بعض أزواج النبي ﷺ، فسجد فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟ فقال: أليس قد قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم آية فاسجلوا فائى آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ.

(٣) روى الترمذى في سنته (٣٨٨٨) ٥٠-كتاب المناقب، باب فضل عائشة (ؑ)، عن عمرو بن غالب أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر فقال: أغرب مقبوحاً منبوداً أن تؤذى حبيبة رسول الله ﷺ . وقال الترمذى: حديث حسن.

(٤) بغض الشيعة للسيدة الطاهرة عائشة (رضي الله تعالى عنها) لما كان منها يوم الحمل ، وقد ذكره الذهبي في "تاريخ الإسلام وفيات سنة (٦٠-٥١)" : قالت عائشة: إذا من ابن عمر فارونيه، لما مر قيل لها: هذا ابن عمر، قال: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك وظننت أنك لاتخالفينه يعني ابن الزبير قال: أما إنك لو نهيتني ما خرجت تعني مسيريها في فتنة يوم الحمل .

والله تعالى نسأل أن يحمينا من الزلل فلا نقول إلا صدقا ولا نعتقد إلا حقا. آمين يا رب العالمين.

المسألة الثالثة: إن المراد بأولي القربي في آية **﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾** قرابة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)^(١)، لا مسطح، وقرباته يرد ذلك وجوه سبعة: الأول: إن الآية الكريمة نزلت في أبي بكر الصديق (رضي الله تعالى عنه) يدل عليه ما ورد في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما أن الصديق الأكبر^(٢) (رضي الله تعالى عنه) لما أنزل الله تعالى براءة السيدة عائشة الصديقة المبرأة، وكان مسطح بن أثاثة تكلم فيمن تكلم بالإفك، وكان الصديق الأكبر ينفق عليه وعلى قرباته لقرباته منه، وفقره وقال: والله لأنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله: **﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ...﴾** الآية فرجع إلى مسطح النفقه التي كان ينفق عليه^(٣)، وعلى قرباته، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

(١) قال النووي في شرح مسلم (٩٩/١٧) من فوائد حديث الإفك: منها فضائل لأبي بكر رضي الله عنه في قوله تعالى: **﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾** الآية، ومنها: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين. ومنها الغفو والصفح عن المسيء، ومنها: استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الحirيات. ومنها أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويُكفر عن يمينه.

(٢) انظر إلى فضائل الصديق فيما ذكره الرمخنثري في مختصره لكتاب المواجهة بين أهل البيت والصحابة، في هجرة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: فلما انطلق أبو بكر برسول الله إلى باب الغار، قال له أبو بكر: رويدك يا رسول الله حذراً عليه، فدخل أبو بكر إلى الغار فلم ير حمراً إلا دخل أصبعه فيه حتى جاء إلى حمر كبير فأدخل رجله في ذلك الحمر حذراً على رسول الله حتى بلغ إلى فخدنه ثم أخرج رجله ثم قال: ادخل يا رسول الله فقد مهدت لك الموضع تمهيداً والله خليفتي عليك.

مختصر كتاب المواجهة بين أهل السنة والصحابة (ص ٤٦) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤٧٥٧) كتاب تفسير القرآن، باب **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تُشَيَّعَ الْفَاحِشَةُ...﴾** الآية، **﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى...﴾** الآية، عن عائشة وفي آخره" وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان والمنافق عبد الله بن أبي وهو الذي كان يستوشيه ويحمه، وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة، قالت: فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطح بنافعة أبداً، فأنزل الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: **﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾** إلى آخر الآية يعني أبي بكر **﴿وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِين﴾** يعني مسطحاً إلى قوله: **﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَقْرَئَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ أَعْفُورَ رِحْمَم﴾** حتى قال أبو بكر: بلى والله ياربنا، إنا نحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع.

الثاني: إن ذكر هذه الآية ونزو لها بعد آيات الإفك مبينات على سبب يقتضي أن تكون نزلت في الصديق الأكبر^(١) (رضي الله تعالى عنه) لا غير، وهو امتناع الصديق عن الإنفاق على مسطح وقرباته الذين هم قرابته، وحلفه على ذلك.

الثالث: إن قوله تعالى: **﴿وَلَيَعْقُفُوا وَلَيَصْفُحُوا﴾** يقتضي وقوع ما يستلزم العفو والصفح من أولي القربي - أعني - أن يفعل أولو القربي ما يستلزم عفو وصفح غيرهم عنهم، فلو كان المراد بهم قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال الصافي، للزم أن يكون وقع منهم ذنوب تقتضي العفو والصفح عنهم، وهم مبرأون من ذلك، وأما مسطح فقد وقع منه ما يقتضي أي عفو، وأي صفح، وهو ذو قرابة من الصديق الأكبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

الرابع: إن رواية "الناء" التي إدعاه الصافي في **﴿وَلَيَعْقُفُوا وَلَيَصْفُحُوا﴾**، ورواهما عن المجمع لم تعرف أصلاً، وعلى فرض تسليمها لا تكون دليلاً على أن المراد بأولي القربي، قرابة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأن الخطاب حينئذ يكون للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعائشة الصديقة، والصديق الأكبر، وصفوان^(٣) (رضي الله تعالى عنهم)، ويقى

(١) فيما تدعى الشيعة من أن الخلافة من حق على ما روی عن على حيث قال: "والله ما مات رسول الله فجاءة ولا قتل قتلاً، ولكن مرض أياماً وليالي، كل ذلك يأبه المؤذن فيؤذنه بالصلاحة فيقول له: أئث أبا بكر فمره فليصل بالناس، ولقد ترکني وهو يرى مکانی ولو كان عهد رسول الله إلى، ما ترکت أحداً منبني تیم ولا ابن الخطاب يقومان يخطبان على منبر رسول الله نظراً في أمورنا، فإذا الصلاة عمود الإسلام وقوم الدين فرضينا لدنيانا ما رضي به رسول الله لدينا، فولينا أبا بكر. أنظر كتاب "مختصر المواجهة بين أهل البيت والصحابة" ص ٢٧ من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) روی البخاري^(٤) (٧٥٠) في كتاب تفسير القرآن، ٦ - باب **﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا - إِلَى قَوْلِهِ - الْكَاذِبُونَ﴾**، عن عائشة من حديث طويل في آخره: "فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بِرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرَ الصَّدِيقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ يَنْفَقُ عَلَى مسْطَحَ بْنِ أَنَّاثَةَ قَرَابَتِهِ مِنْ وَقْرَدَةٍ: وَاللَّهُ لَا أَنْفَقُ عَلَى مسْطَحَ شَيْئاً أَبْدَأْ بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعائشَةَ مَا قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ **﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ...﴾** الآية إلى **﴿عَفْوَرَ رَحِيمَ﴾** قَالَ أَبُو بَكْرَ: بَلِي وَاللَّهُ، إِنِّي أَحَبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مسْطَحَ النَّفَقةِ الَّتِي كَانَ يَنْفَقُ عَلَيْهِ..... الْحَدِيثُ".

(٣) كان حسان بن ثابت قد كثر على صفوان بن المعطل وقال يعرض به:

وَابنُ الْفَرِيعَةِ أَمْسَى بِيَضَّةِ الْبَلْدِ

أَمْسَى الْجَلَالِيْبِ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثَرُوا

فَضَرَبَهُ صَفَوَانُ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ:

غَلامٌ إِذَا هُوَ جَيْتَ لِيْسَ شَاعِرُ

تَلَقَّ ذَبَابَ السَّيْفِ عَنِّيْ فَإِنَّتِي

وَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَا حَسَانَ أَتَشْوَفْتَ عَلَى قَوْمٍ أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ؟ يَا حَسَانَ أَحَسَنَ فِيمَا أَصَابَكَ" قَالَ: "هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ سِيرِينَ الْقَبْطِيَّةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنَ، وَأَعْطَاهُ أَرْضًا

المراد بأولى الفضل الصديق الأكبر لقوله تعالى: **﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾** ولأنه هو الذي حلف^(١) على ألا ينفق على مسطح، وقد قال تعالى: **﴿وَلَا يَأْتُل﴾** أي لا يحلف، ولعدم قوله: **“تَأْتُلُوا”** بالباء.

الخامس: أنه لم يقع حلف من النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) أن لا ينفق على أحد من قرابته حتى تكون هذه الآية الكريمة نزلت في حقه (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) على ما ادعاه الصافي: من أن يعفوا ويصفحوا أو أرادت "بالباء" ليستقيم له ذلك.

السادس: أنه لم يقل أن أحدها حلف على ألا ينفق على قرابة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) لإقرارهم ذبنا يقتضي ذلك ويأمر الله (سبحانه وتعالى) بالعفو والصفح عنهم.

السابع: أن المفسرين والمحدثين أجمعوا على أن المراد بأولى الفضل: أبو بكر (رضي الله تعالى عنه)، وبأولي القربي: مسطح وقرباته^(٢).

المسألة الرابعة: أن تفسير الفضل بالغنى وعدوله عما فسر به الأصل - وهو البيضاوي إلى ذلك ليس في محله، فليس ب المسلم لأن الغنى والسعفة بالمال واحد، فتكون السعة تأكيداً للفضل.^(٣)

وأما على تفسير البيضاوي، وكذا غيره إيه بأنه الدين فيكون تأسيساً، ولا مانع منه. وحيث كان لا مانع منه من التأسيس الذي هو الأصل إلى التأكيد الذي هو فرعه إلا

كانت لأبي طلحة وآلت إلى رسول الله. انظر تاريخ الإسلام (٣٦٢/١) في حادث الإفك.

(١) في كفارة اليمين كما جاء في كتاب الله العزيز: **﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْغُرُورِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقْدَتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِكُمْ أَوْ كَسْوَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَقْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانِكُمْ كَذِلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتَهُ لَعْلَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (سورة المائدة: ٨٩).

(٢) قال النووي في "فوايد حادث الإفك": براءة عائشة (رضي الله عنها) من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافرا مرتدًا بجماع المسلمين، قال ابن عباس وغيره: لم تزرن امرأة نبي من الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) أجمعين، وهذا إكرام من الله تعالى لهم.

وفيه فضائل لأبي بكر رضي الله عنه في قوله تعالى: **﴿وَلَا يَأْتُلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾** الآية

شرح مسلم للنووي (٩٩/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) انظر ما تقدم من التفسير نقلًا عن البيضاوي وابن كثير.

لما ناج وقد علمت ألا مانع هنا منه.

قال الرازبي: والفضل في هذه الآية إما في الدنيا، وإما في الدين. والأول باطل، لأنه تعالى ذكره في معرض المدح له، والمدح من الله بالدنيا غير جائز. وقد جعل هذه الآية دالة على أفضلية^(١) أبي بكر بعد رسول الله (صلى الله تعالى وآله وسلم).

المسألة الخامسة: إن تفسير اسم الإشارة وهو قوله تعالى: **﴿أولئك مُبَرَّوْنَ﴾** غير أهل النبي (عليه وآله الصلوة والسلام) أو الرسول وعائشة وصفوان، أو الطيبين غير عليٍ وشيعته^(٢)، مدحوض بوجوه ثلاثة:

الأول: أن السياق يقتضي كون المراد بالخيثات: الزانيات، وبالطبيات: الحصينات اللاتي أحصن فروجهن.

والمراد بالخيثات: المنافقين، وغير المؤمنين من الرجال. وبالطبيات: النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه)، يقتضي كون اسم الإشارة عائد إلى الطيبين المذكورين، وهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعائشة الصديقة المبرأة، وصفوان لأن نسبة ذلك إلى عائشة الصديقة التي هي زوجته (عليه وآله الصلوة والسلام) غير لائق بمقامه السامي، فبرأه الله تعالى منه.

الثاني: أنه إذا جعلنا المراد بالخيثات: الكلمات، وكذا بالطبيات على ما تقدم يقى الحكم كذلك. لأن المراد بالطبيين النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم).

والخيثات: المنافقون وغير المؤمنين.

الثالث: أن تفسيره الطيبين بسيدنا علي (رضي الله تعالى عنه)، وأصحابه، وشيعته^(٣).

(١) عن محمد بن عقبة بن أبي طالب قال: خطبنا علي فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: ذاك أبو بكر الصديق إنه لما كان في يوم بدر وضعننا لرسول الله العريش، فقلنا: من يقيم عنده لا يدنو منه لأحد من المشركين فما قام عليه إلا أبو بكر وإنه كان شاهراً السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى إليه أبو بكر بالسيف.

انظر: مختصر كتاب المموافقة ص ٤٣ - من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) الشيعة هم الذين شایعوا علياً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت بظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين الذي لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تقويه إلى العامة.

انظر: موسوعة الفرق والجماعات (ص ٢٦٥).

(٣) قال الشعبي: كان على في هذه الأمة مثل المسيح ابن مريم فيبني إسرائيل أحبه قوم فكفروا في حبه وأبغضه قوم فكفروا في بغضه، وهذا الكلام كما قال هو نفسه: حب غال، وبغض قال.

انظر مقدمة كتاب: مناقب الأسد الغالب علي بن أبي طالب لابن الجوزي (ص ٨).

والخبيثين: بأعداء الشيعة لا دليل عليه، والسياق يأباه من كل وجه. وقد بينا بالليل أن نسبة ذلك إلى سيدنا الحسن^(١) (رضي الله تعالى عنه) مردود.

الباب السابع عشر

في بيان أن السيدة عائشة الصديقة^(٢) مبرأة من أن يكون ما وقع عليها من الإفك، أو نسب إليها أنها أفتته صحيحاً، باتفاق أهل السنة والجماعة والشيعة.

وهو نتيجة هذه الأبواب، والمقصود من تاليف هذا الكتاب أعلم وفينا الله وإياك إلى اتباع الحق^(٣) وسلوك الصدق، ومحانا من أن يزغ بنا الغرض، إذ هدانا الله تعالى عن الصراط المستقيم فنؤذن الله تعالى ورسوله (عليه وآله أفضـل الصلاة، وأتم التسلـيم)، فتسود وجوهنا

(١) روى البخاري (٣٧٥٠) -٦٢- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين (عليهما السلام)، وعن عقبة بن الحارث قال: "رأيت أبا بكر ﷺ وقد حمل الحسن وهو يقول: "بأي شيء بالنبي، ليس شيئاً بعلي، وعلى يضحك" وما روى عنه أيضاً في أمر الخلافة ما ذكره النهبي في تاريخ الإسلام (٢٧٩) وفيات (٤١-٥٠) وقال ابن عبد البر: إن الحسن لما احضر قال لأخيه - يقصد الحسين - يا أخي إياك أن تستشرف لهذا الأمر فإن أباك استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه، ووليه أبو بكر ثم استشرف لها فصرف عنه إلى عمر، ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعلوه فصرفت إلى عثمان، فلما مات عثمان بويع، ثم توزع حتى جرد السيف فما صفت له، وإن والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة.

(٢) وقال الزهرى عن قاسم بن محمد أن معاوية لما قدم المدينة حاجاً دخل على عائشة فلم يشهد كلامها الأذكوان مولى عائشة فقالت له: أمنت أن أجيء لك رجلاً يقتلك بأخي محمد، قال: صلقت ثم لتها وعظته وحضرته على الاتباع، فلما خرج اتكاً على ذكوان وقال: والله ما سمعت خطيباً ليس رسول الله ﷺ أبلغ من عائشة . تاريخ الإسلام وفيات (٦٠-٥١).

(٣) اتباع الحق لا يكون إلا باتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفي حديث إبار النخل ما رواه مسلم [١٣٩-٢٣٦١] كتاب الفضائل، ٣٨-باب وجوب امتحال ما قاله شرعاً، وفيه إن كان يفهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظنت ظناً فلما تواحدني بالظن ولكن إذا أحذثكم عن الله شيئاً فخذلوا به".

قال النورى: وفي رواية إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذلوا به، وإذا أمرتكم بشئ من رأى، فإنما أنا بشر، وفي رواية أتم أعلم بشئون دينكم".

قال العلماء: قوله ﷺ (من رأى) أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع فاما ما قاله باجتهاده! ورأه شرعاً يجب العمل به وليس إبار النخل من هذا النوع.

شرح مسلم للنورى (٩٥/١٥) طبعة دار الكتب العلمية.

يُوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ فَلَا يَكُونُ لَنَا شَفِيعٌ^(١)، وَلَا يَنْفَعُنَا وَلِي حَمِيمٌ بِكُلِّ الْوِجْهِ أَنَّهُ مِنْ أَسْرِ سَرِيرَةِ الْأَبْيَضِ اللَّهُ رَدَاءُهَا، فَمَنْ أَحْسَنَ اللَّهُ سَرِيرَتَهُ، أَحْسَنَ سِيرَتَهُ، وَمَهْمَّا تَكُونُ عِنْدَ امْرَأٍ مِنْ خَلِيقَةِ إِنَّمَا تَخْفِي عَلَى النَّاسِ تَعْلِمُ فَالسَّيِّدَةَ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةَ زَوْجَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّتِي بِرَأْهَا اللَّهُ الْعَظِيمُ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَسْرَ فَضْلِيَّةِ طَوِيلَةِ أَنْتَاجَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

أَرَادَ اللَّهُ (سَبِّحَهُ وَتَعَالَى) أَنْ يَجْعَلَ بِرَأْتَهَا وَإِحْصَانَهَا قُرْآنًا يَتَلَى وَيُنْشَرُ فَضْلَاهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ كَرِمًا مِنْهُ وَفَضْلًا، فَأَنْتَاجَ لَهَا لِسَانَ رَأْسَ الْمَنَافِقِينَ^(٢) الشَّقِيقِ الْلَّعِينِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنِ سَلْوَلِ^(٣)، فَأَفَكَ عَلَيْهَا بَعْضًا مِنْهُ بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَسَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ عَصْبَةً.

كَانَ لِبَعْضِهِمْ خَيْرًا وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ شَرًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِهَا سَتَةً عَشْرَ آيَةً مَوَالِيَّةً فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مَكْذِبَةً لَهُمْ وَمُخْتَوِّمَةً بِصَرِيحِ الْبَرَاءَةِ فِي: **﴿أُولَئِكَ مُبَرُّوْنَ مِمَّا يَقُولُوْنَ لَهُمْ﴾**

(١) حديث الشفاعة رواه مسلم [٣٢٢-١٩٣] كتاب الإيمان، ٨٤-باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، عن أنس بن مالك، من حديث طويل وفيه: "فَيَا تَوْنِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ ساجدًا فِي دِعْنِي مَا يَشَاءُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفِعْ رَأْسَكَ، قُلْ تَسْمَعُ، سُلْ تَعْطِهِ، اشْفُعْ تَشْفِعْ فَأَرْفِعْ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي..... الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ.

قال النبوى: وجاء في حديث أنس وأبى هريرة ابتداء النبي ﷺ بعد سجوده وحمده والإذن له في الشفاعة بقوله: "أَمْتِي أَمْتِي" ثم قال النبوى أيضًا: ثم بعد ذلك حلَّت الشفاعة في أمْتَهِ ﷺ وفي المذنبين وصلت الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم. النبوى في شرح مسلم (٣٥/٣) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق المشهور وكان له ابن من فضلاء الصحابة هو عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان اسمه الحباب، فلما أسلم سماه النبي عبد الله وقد شهد عبد الله الابن بدرًا وما بعدها، وذكر ابن منهده أن أنه أصيب يوم أحد فأمره النبي ﷺ أن يتَّخِذْ أَنْفَهُ مِنْ ذَهَبٍ. وروي عن عائشة عن عبد الله بن عبد الله قال: "نَدَرْتُ (أي سقطت) شَيْئِي فَأَمْرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتَخْذِ شَيْئَهُ مِنْ ذَهَبٍ" وهذا أثبت من قول ابن منهده. استشهد عبد الله بن عبد الله يوم اليمامة. تاريخ الإسلام حِوَادِثُ سَنَةٍ (١٢).

(٣) روى البخاري في صحيحه (١٢٦٩) كتاب الجنائز، ٢٢-باب الكفن في المقاصد الذي يكفن أو ليكفن، عن ابن عمر (رضي الله عنهما): "أَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي لَمَّا تَوَفَّيَ جَاءَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: 'أَذْنِي أَصْلِي عَلَيْهِ' فَأَذْنَاهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَصْلِي عَلَيْهِ جَذْبَهُ عَمْرُونَ (رضي الله عنهما) فَقَالَ: 'إِلِيَّ اللَّهُ هُنَاكَ أَنْ تَصْلِي عَلَيْهِ مَنْ أَنْتَ' مَنَّا فَلَمَّا يَقْتُلَهُ اللَّهُ لَهُمْ فَصَلَى عَلَيْهِ فَنَزَلَتْ **﴿إِسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ لَهُمْ سَعْيٌ مَرَّةٌ فَلَنْ يَقْتُلَهُ اللَّهُ لَهُمْ﴾** فَصَلَى عَلَيْهِ فَنَزَلَتْ **﴿وَلَا تُتَّصِّلُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا﴾** وَمَا يَلِيهِ (١٢٧٠): أَتَى النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنِ سَلْوَلَ بَعْدَ مَا دُفِنَ، فَأَخْرَجَهُ فَنَفَثَ فِي هِهِ رِيقَهُ وَأَبْيَسَهُ قَمِيسَهُ.

مَعْفَرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ》 فمن قرأ هذه الآيات الكريمة، وما جاء عاصداً لها ومفسراً من الأحاديث العظيمة وما ألقى فيها من الشبهات، وما أجبنا عنها بأحسن وأوضح جواب من الأجوية الحكيمات^(١).

اعلم أن السيدة عائشة الصديقة بريئة مما نسب إليها من الإفك^(٢) سواء كان واقعاً عليها أم منها، فما نسبوه إليها من الإفك الذي افتروا به عليها برأها الله (تعالى) منه باتفاق أهل السنة والجماعة والشيعة، أما أهل السنة فمعلوم اعتقدهم لم يخالف فيه أحد منهم، وأما الشيعة فقد اتفقوا على براعتها أيضاً، وذلك لأنهم قالوا: روت العامة أنها نزلت في عائشة، وما رميت به في غزوة بنى المصطلق من خزاعة^(٣). انتهى.

فلم يختلفوا فيه، ولم يناقشوا ، ولم يفوهوا ببنت شفة، بل سلم منهم من سلم. وأما من لم يسلم منهم فلم يدع صحة الإفك، ولا خالف القرآن العظيم، بل قال: إن الإفك المذكور فيه لم يقع عليها أصلاً بل وقع على السيدة مارية القبطية (رضي الله تعالى عنهم).

وبين ذلك الصافي منهم بقوله: وأما الخاصة فإنهم رروا أنها نزلت في مارية القبطية، وما

(١) في فضائل عائشة عليها مبرأة ما رواه مسلم في صحيحه [٢٤٣٩-٨٠] كتاب فضائل الصحابة، ١٣ باب في فضل عائشة عليها مبرأة قالت: قال لي رسول الله عليه السلام: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليّ غاضب" قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غاضب، قلت: لا ورب إبراهيم، قالت: قلت أجل يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.

قال الترمذى: دل على أن قلبها وحبها كما كان، وإنما الغيرة في النساء لفطر الحبة.

(٢) في نزول براءة أم المؤمنين عائشة في كتاب الله تعالى وما له من الشرف والمكانة قال ابن عباس فيما ذكره النهبي في تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٥٠): قال: يأم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله عليه السلام، على أبي بكر عليه السلام، ولو لم يكن إلا ما في القرآن من البراءة لكتفى بذلك شرفاً.

(٣) قال الواقدي بسنده عن جويرية عليها مبرأة قالت: أنا سمعت رسول الله عليه السلام ونحن على المريسيع، فلما سمع أبي يقول: أثنانا ما لا قبل لنا به، قالت: وكنت أرى من الناس والخيل والعدد ولا أصف من الكثرة، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله عليه السلام ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعرفت أنه رعب من الله، وكان رجل منهم قد أسلم يقول: لقد كنا نرى رجالاً يبضاً على خيل أبلق، ما كنا نراهم قبل ولا بعد.

رمتها به عائشة. انتهى.

وقد علمت ببطلانه، فقد كان ذلك إجماعاً منهم على تبرئة السيدة عائشة الصديقة مما أفك به عليها باتفاق الأمة الإسلامية لاسيما الشيعة، وهو المقصود من تأليف هذا الكتاب^(١)، وما نسبوه إليها من إنها أفكـت على السيدة مارية القبطية بـمأبـور.

فقد علمت مما قدمت في الباب السادس عشر أنه كذب محض اختلاف بعض ذوي الأغراض من أهل الشيعة، بعد عصر الصحابة والتابعـين وتابعـيـهم، لأن يدخلـها حـماـها الله تعالى^(٢) فيما لا يجوز النقل والـعقلـ اـنـطـبـاقـهـ عـلـيـهاـ.

إنـماـ هوـ ظـاهـرـ الفـسـادـ لاـ يـقـدـرـ عـلـىـ المـكـابـرـةـ فيـ عـدـمـ تـسـلـيمـ فـسـادـهـ أوـ العـنـادـ.

فـبـثـتـ أـنـ السـيـدـةـ عـائـشـةـ الصـدـيقـةـ (ـرـضـيـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـهـاـ)ـ بـرـيـةـ مـنـ الإـلـفـكـ الـذـيـ وـقـعـ عـلـيـهـاـ وـمـنـ أـنـ تـأـفـكـ عـلـىـ غـيرـهـاـ فـتـدـخـلـ فـيـ الـوـعـيـدـ الشـدـيدـ.

وـأـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ جـعـلـ خـيـرـاـ عـظـيـمـاـ وـأـعـدـ لـهـ بـهـ مـغـفـرـةـ وـرـزـقـاـ كـرـيـمـاـ.

إفصاح :

إـنـ مـاـ ذـكـرـتـهـ مـنـ إـنـفـاقـ الشـيـعـةـ مـعـ أـهـلـ السـنـةـ عـلـىـ بـرـاءـةـ السـيـدـةـ عـائـشـةـ الصـدـيقـةـ (ـرـضـيـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـهـاـ)ـ مـنـ الإـلـفـكـ الـذـيـ وـقـعـ عـلـيـهـاـ^(٣)ـ هوـ مـبـنيـ عـلـىـ مـاـ ذـكـرـهـ الصـافـيـ فـيـ تـفـسـيـرـهـ كـمـاـ يـعـلـمـ

(١) للمصنـفـ مـوـلـفـاتـ غـيرـ هـذـاـ مـنـهـاـ: مـصـادـرـ الـفـضـائـلـ، وـحـسـنـ الـابـتـاجـ بـالـإـسـرـاءـ وـالـمـعـرـاجـ، اـنـظـرـ كـتابـ لـيـضـاحـ الـمـكـنـونـ لـلـبـغـادـيـ (٤٠٧ـ/ـ١ـ).

(٢) فـيـ حـبـةـ النـبـيـ عليها مبرأةـ لـلـسـيـدـةـ عـائـشـةـ (ـرـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ)ـ ماـ روـيـ فـيـ الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ فـيـ إـرـسـالـ أـزـوـاجـ النـبـيـ عليها مبرأةـ فـاطـمـةـ (ـعـلـيـهـاـ مـبـرـأـةـ)ـ وـفـيـهـ: "يـسـأـلـنـكـ الـعـدـلـ فـيـ اـبـنـةـ أـبـيـ قـحـافـةـ". قـالـ النـوـوـيـ: "مـعـنـاـهـ يـسـأـلـنـكـ التـسـوـيـةـ يـسـنـهـنـ فـيـ حـبـةـ الـقـلـبـ، وـكـانـ عليها مبرأةـ يـسـوـيـ بـيـنـهـنـ فـيـ الـأـفـعـالـ وـالـمـبـيـتـ وـنـحـوـهـ، وـأـمـاـ حـبـةـ الـقـلـبـ فـكـانـ يـحـبـ عـائـشـةـ أـكـثـرـ مـنـهـمـ، وـأـجـمـعـ الـمـسـلـمـوـنـ عـلـىـ أـنـ حـبـتـهـنـ لـاـ تـكـلـيـفـ فـيـهـاـ وـلـاـ يـلـزـمـهـ التـسـوـيـةـ فـيـهـاـ لـأـنـهـ لـاـ قـدـرـةـ لـأـحـدـ عـلـيـهـاـ إـلـاـ اللـهـ (ـسـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ)، وـلـنـاـ يـؤـمـرـ بـالـعـدـلـ فـيـ الـأـفـعـالـ.

انـظـرـ شـرـحـ مـسـلـمـ النـوـوـيـ (١٥ـ/ـ١٦٦ـ،ـ١٦٧ـ)ـ طـبـعـةـ دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـةـ.

(٣) روـيـ الـبـخـارـيـ (٤٧٥ـ)ـ كـتابـ تـقـسـيـرـ الـقـرـآنـ ٩ــ بـابـ ولـولاـ إـذـ سـعـتـمـوـهـ قـلـتـ مـاـ يـكـونـ لـنـاــ تـكـلـمـ هـذـاـ سـبـحـانـكـ هـذـاـ هـتـانـ عـظـيمــ عنـ اـبـنـ أـبـيـ مـلـيـكـةـ اـسـتـاذـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـبـلـ مـوـتـهـاـ عـلـىـ عـائـشـةـ وـهـيـ مـغـلـوـبـةـ. قـلـتـ: أـخـشـيـ أـنـ يـثـنـيـ عـلـىـ، قـفـيـلـ: اـبـنـ عـمـ رـسـوـلـ اللـهـ عليـهـاـ مـبـرـأـةــ وـمـنـ وـجـوـهـ الـمـسـلـمـيـنـ، قـلـتـ: اـئـذـنـوـهـ. فـقـالـ: كـيـفـ تـجـدـيـنـكـ؟ قـالـتـ: بـخـيـرـ إـنـ اـتـقـيـتـ اللـهـ، قـالـ: فـأـنـتـ بـخـيـرـ إـنـ شـاءـ اللـهـ، زـوـجـةـ رـسـوـلـ اللـهـ عليـهـاـ مـبـرـأـةــ، وـلـمـ يـنـكـحـ غـيـرـكـ بـكـرـاـ، وـنـزـلـ عـنـرـكـ مـنـ السـمـاءـ، وـدـخـلـ اـبـنـ الزـبـيرـ قـفـالـ: دـخـلـ اـبـنـ عـبـاسـ فـائـشـيـ

ما أسلفناه وصرحنا به مراراً.

فإذا وجد في غيره من كتب الشيعة ما ينافيه يكون منافقاً لكلام الصافى، لا تقولى، ولا يرد على دعوى إجماع الشيعة^(١) عليه لعدم اطلاعى على ما يخالفه، بل غير التفسير المذكور من كتبهم.

ولأنه لا يخطر لي ببال أن الصافى مع جلالة قدرة عندهم، واحترامه وتسليمه لهم بالفضل وشهادتهم له بالعلم، واعتمادهم على تفسيره وطبعهم، ونشرهم تفسيرهم يخالف مذهبهم.

فائدة: إن اسم الإشارة في قوله: **﴿أُولَئِكَ مُبَرَّوْنَ﴾** إذا كان مراداً به الطيبون يكون المعنى الطيبون مبرأون مما يقوله الخبيثون فيهم، وهو الإفك والخبيثون الأفكون. ويكون معناه كلفظه جمعاً، فتكون أزواجه النبي^(٢) (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) الطاهرات كلهن مبرأات من الإفك، لا يجوز لأحد أن يقدح في واحدة منهن لأنها تكون و(العياذ بالله تعالى) حينئذ خبيثة^(٣).

عليَّ وددت أني كتبت نسياً منسياً".

(١) زاد بعض الشيعة في المبالغة في سيدنا علي بن أبي طالب فيما رواه الذهبي في تاريخ الإسلام: جاء أنس إلى على فقلوا: أنت هو، قال: من أنا؟ قالوا أنت هو، قال: أياكم من أنا؟ قالوا أنت ربنا، قال: ارجعوا، فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم خد لهم في الأرض، ثم قال: يا قبر آتني بحزم الخطب فحرقهم بالنار وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً
أوقدت ناري ودعوت قبراً

(٢) ما كان الله ليجعل عائشة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وعلى آله) إلا وهي طيبة لها أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعاً ولا قدرها، ولهذا قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ مُبَرَّوْنَ هُمَا يَقُولُونَ﴾** أي هم بعدها عما يقوله أهل الإفك والعدوان **﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾** أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب، **﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** أي عند الله في جنات النعيم. تفسير ابن كثير (٢٨٦/٣).

(٣) معاذ الله أن تكون الصديقة الطاهرة مما يقال عليها من الشيعة فقد كانت من الكرم والجود، فعن عروة، عن عائشة أنها كانت تصدق بسبعين ألفاً، وأنها لترفع جانب درعها، وعن أم ذرية قالت بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين، يكون مائة ألف فدعت بطبق فجعلت تقسم في الناس، فلما

وقد قال الله تعالى: **﴿الْحَيَّاتُ لِلْخَيْرِينَ، وَالطَّيَّاتُ لِلْطَّيَّبِينَ﴾** فلا يجوز أن تكون الخبيرة زوجة للطيب، بل لأطيب الطيبين وهو النبي (صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فائزواجه إذاً لا يكن إلا طيبات طاهرات، كما أنه لا أحد أطيب، ولا أطهرب منه (صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: ثم بين تعالى: أن لهم مغفرة - يعني براءة من الله ورسوله، ورزقاً كريماً في الآخرة ويتحمل أن يكون ذلك خيراً مقطوعاً به، فيعلم بذلك أن أزواج النبي (عليه الصلاة والسلام) هن معه في الجنة، وهذا يدل على أن عائشة (عَائِشَةَ) تصير إلى الجنة^(١). انتهى.

أقول يؤيده قوله (صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "عائشة زوجتي في الجنة"^(٢) رواه السيوطي عن ابن سعد، عن مسلم البطين قوله عليه وآله الصلاة والسلام: "سألت ربِّي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إلى أحد، إلا كان معِي في الجنة، فأعطياني ذلك" وقوله (صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "سألت ربِّي ألا يدخل أحداً من أهل بيتي النار فأعطيانيها"^(٣) وقوله عليه وآله أفضل الصلاة وأتم سلام: "سألت ربِّي ألا أزوج إلا من أهل الجنة، ولا أتزوج

أمست قالت: يا جارية هاتي فطري، فقالت أم ذرة يا أم المؤمنين أما استطعت أن تشتري بدرهم لحماً مما أنفقت، فقالت: لا تعنفيني لو ذكرتني لفعلت.

تاریخ الإسلام للنھی وفیات (٦٠-٥١)

(١) قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. وعن عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة. وقال مسروق: رأيت مشيخة الصحابة يسألونها عن الفرائض. وعن عروة: ما رأيت أعلم بالشعر منها. المرجع السابق.

(٢) انظر ما روى البخاري من حديث عمار، ففي صحيح البخاري (٣٧٧٢) -٦٢- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١- باب فضل عائشة (عَائِشَةَ)، عن الحكم سمعت أبا وائل قال: "لما بعث عليًّا عماراً والحسن إلى الكوفة ليستقر بهم خطب عماراً فقال: "إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتبغوا أو ليابها".

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٤١٤٩)، وبلفظ "سألت ربِّي ألا يدخل أحداً من أمتي النار فأعطيانيها".

الآ من أهل الجنة^(١) وقوله (صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلـمـ): "إن الله أبـي لي أن أزوجـ، أوـ أتزوجـ إلاـ منـ أهلـ الجنةـ" رواه السيوطيـ أيضـاـ فيـ الجامـعـ الصـغـيرـ.

والـأـولـ خـاصـ فيـ عـائـشـةـ، وـالـبـاقـيـ فيـ سـائـرـ الزـوـجـاتـ الطـاهـرـاتـ، وـقـالـ فيـ بـرـاعـتـهاـ سـيـدـنـاـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ^(٢):

حـصـانـ رـزـانـ مـاـ تـرـنـ بـرـيـةـ
إـلـىـ آنـ قـالـ

مـهـذـبـهـ وـقـدـ طـيـبـ اللـهـ خـيـمـهـ^(٣)
وـقـدـ تـقـدـمـتـ كـلـهـاـ.

(١) ذـكـرـهـ الـهـنـدـيـ فـيـ كـنـزـ الـعـمـالـ(٣٤١٤٨ـ).

(٢) الأـيـاتـ التـالـيـةـ هـذـاـ الـبـيـتـ هـيـ:

حـلـيـلـةـ خـيـرـ النـاسـ دـيـنـاـ وـمـنـصـبـاـ
عـقـيـلـةـ حـيـ منـ لـوـيـ بـنـ غـالـبـ

(٢) حـصـانـ: مـتـحـصـنـ بـعـقـبـتـهاـ. رـزـانـ: تـقـالـ ذـاتـ ثـبـاتـ وـوـقـارـ. مـاـ تـرـنـ: مـاـ تـهـمـ. غـرـثـ: جـائـعـةـ.
الـغـوـافـلـ: الـعـفـافـ قـلـوـبـهـنـ عـنـ الشـرـ.

(٣) وـمـاـ يـلـيـهـ:

فـلـاـ رـفـعـتـ سـوـطـيـ إـلـىـ آنـامـلـيـ
وـلـكـنـهـ قـوـلـ اـمـرـئـ بـيـ مـاـحـلـ
لـأـلـ نـبـيـ اللـهـ زـيـنـ الـخـافـلـ
تـقـاـصـرـ عـنـهـ سـوـرـةـ الـمـتـاـوـلـ
رـأـيـكـ وـلـيـغـفـرـ لـكـ اللـهـ حـرـةـ
مـنـ الـمـحـسـنـاتـ غـيـرـ ذـاتـ غـوـافـلـ

(٤) الـكـيـمـ: الـطـبـعـ وـالـأـصـلـ.

الباب الثامن عشر

في بعض ما ورد في فضل السيدة عائشة الصديقة الم Bradley

زوجته وحبیبة حبیب رب العالمین (رضی الله تعالیٰ عنہا).

لقد عقد المحدثون (رضي الله تعالى عنهم) أبواباً مخصوصة لبيان فضائلها منهم الشيخان إماماً المحدثين البخاري ومسلم في صحيحهما، وكذا غيرهما، وجاء القرآن الكريم مفصحاً عنها، وهي كثيرة ف منها في القرآن الحميد قوله تعالى: **«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا»** ومنها: **«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ بِالْأَفْكَرِ عَصَبَةً مَنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ»**^(٢) ومنها: **«أُولَئِكَ مُبَرُّوْنَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ»**، ومنها الحديث الشريف تسلیم جبریل (عليه السلام) عليهما.

روى البخاري^(٣) عن أبي سلمة، أن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: يا عائش هذا جبریل يقرئك السلام" فقلت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، ترید رسول الله ﷺ.

ومنها: شهادة النبي ﷺ لها بالكامل روى البخاري^(٤) أيضاً عن أبي موسى الأشعري^(٥)

(١) قال النهي: كان مسروق إذا حدث عن عائشة (رضي الله عنها) قال: حدثني الصديقة بنت الصديق، حبیبة حبیب الله، المبرأة من فوق سبع سمات، فلم أكلنها.

وقد روی الترمذی في سننه (كتاب المناقب)، عائشة (رضي الله عنها)، عن عمار بن ياسر.

(٢) سورة النور (١١) وقد تقدم تفسير هذه الآيات.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٧٦٨) -٦٢- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١- باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، ومسلم في صحيحه [٩١- (٢٤٤٧)] كتاب فضائل الصحابة، ١٣- باب في فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها).

وقال النووي: فيه فضيلة ظاهرة لعائشة (رضي الله عنها)، وفيه استحباب بعث السلام و يجب على الرسول تبليغه، وكذا لو بلغه سلام في ورقة من غائب لزمه أن يرد عليه باللفظ على الفور إذا قرأه، وفيه أنه يستحب في الرد أن يقول عليك أو وعليكم السلام باللواو فلو قال عليكم السلام أو عليكم أجزاء على الصحيح وكان تاركاً للأفضل.

شرح مسلم للنووي (١٧١/١٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٦٩) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١- باب فضل عائشة (رضي الله عنها).

(٥) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار اليماني، صاحب رسول الله ﷺ، قدم عليه مسلماً سنة سبع من أصحاب السفيتين من الحبشة، وكان قدم مكة فخاف بها أبا أحیحة سعید بن العاص ثم رجع إلى بلده ثم خرج منها في خمسين من قومه قد أسلموا، فلقيتهم سفيتهم والرياح إلى أرض الحبشة، فاقاموا عند

قال: قال رسول الله ﷺ: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وأسيمة امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". ومنها: أن فضلها على النساء كفضل الثريد على الطعام.

روي البخاري أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "فضل عائشة على النساء كفل الثريد على الطعام" ^(١).

ومنها: أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآلها وسلم)، وأبا بكر (رضي الله تعالى عنه) قد سبقاها إلى الجنة وهي لها منزلة.

روي البخاري أيضاً عن القاسم بن محمد ^(٢)، أن عائشة اشتكت، فجاء ابن عباس فقال: "يا أم المؤمنين، تقدمين على فرط صدق، على رسول الله ﷺ، وعلى أبي بكر ^(٣)".

ومنها: أنها زوجة النبي (صلى الله تعالى عليه وآلها وسلم) في الدنيا والآخرة.

روي البخاري عن أبي وائل ^(٤) قال: لما بعث علي عماراً، والحسن إلى الكوفة لاستنفرهم،

جعفر بن أبي طالب ثم قدموا معه، استعمله النبي ﷺ على زيد وعدن، ثم إلى الكوفة والبصرة لعمر، وكان من أجلاء الصحابة وفضلاً لهم، توفي سنة (٥٠) هـ.

تاریخ الإسلام وفیات (٤١-٤٠)

(١) أخرجه: البخاري (٣٧٧٠) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة (رضي الله عنه)، عن أنس بن مالك.

ومسلم في صحيحه [٢٤٤٦-٨٩] كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها).

والترمذى (٣٨٨٧) ٥٠-كتاب المناقب، باب فضل عائشة (رضي الله عنه). قال الترمذى: وفي الباب عن عائشة وأبي موسى، قال: وهذا حديث حسن.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد، أبو عبد الرحمن التيمي، المدنى، القرشى، الضرير، ثقة أحد الفقهاء بالمدينة، أخرج له البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربع، توفي سنة (١٠١) - (١٠٢) هـ.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٣٣٣/٨)، تقريب التهذيب (١٢٠/٢)، الكاشف (٣٩٣/٢)، تاريخ البخاري الكبير (١٥٧/٧)، الجرح والتعديل (٦٧٥/٧)، سير الأعلام (٥٣/٥)، الحلية (١٨٣/٢)، تراجم الأحجار (٢٦٦/٣)، طبقات ابن سعد (٣٤٤/٥)، البداية والنهاية (٩/٥٠)، الثقات (٥/٣٢٠).

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه (٣٧٧١) كتاب فضائل أصحاب النبي رضي الله عنه، باب فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها).

(٤) أبو وائل هو شقيق بن سلمة، الأسدى، الكوفي ثقة، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٨٢) هـ.

وله ١٠٠ سنة.

خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتبتغوه أو إياها^(١)، ومنها: أنها السبب في نزول آية التيمم وترخيصه روى البخاري عن عائشة أنها استعارت من أسماء^(٢) قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركهم الصلاة، فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك فنزلت آية التيمم^(٣) . ومنها: أنها ما نزل بها (رضي الله تعالى عنها) أمر إلا جعل الله تعالى لها منه مخرجاً، وللمسلمين فيه بركة: روى البخاري عن هشام عن أبيه، عن عائشة أنه لما نزلت آية التيمم، قال أسد بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل لنا منه بركة^(٤) .

ومنها أنها كانت تتدى السواك إلى رسول الله ﷺ بريتها.

روى البخاري في صحيحه بسنده أنه: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر^(٥) ، ومعه سواك يستن به^(٦) ، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن فأعطيانيه،

ترجمته: تهذيب التهذيب(٤/٣٦١)، تقريب التهذيب(١/٣٥٤)، الكاشف(٢/١٥)، تاريخ البخاري الكبير(٤/٢٤٥)، التاريخ الصغير(١/٢٣١، ٢١٩)، الجرح والتعديل(٤/١٦١٣)، الوافي بالوفيات(٦/١٧٢)، طبقات ابن سعد(٦/١٠١)، سير الأعلام(٤/١٦١)، الثقات(٤/٣٥٤).

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه(٢٣٧٧٢)-٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (٣٧٧٢)، عن أبي وائل.

(٢) أسماء بنت أبي بكر الصديق زوج الزبير بن العوام، ذات الطاقين، التيممية القرشية، من كبار الصحابة عاشت مائة سنة، أخرج لها أصحاب الكتب الستة، توفيت سنة(٧٣، ٧٤)، التقريب(٢/٥٨٩)، الثقات(٣/٢٣)، أسد الغابة(٤/٩)، أعلام النساء(١/٣٦)، الإصابة(٢/٤٨٤)، الكاشف(٣/٤٦)، التاريخ الصغير(١/٤٦).

(٣) أخرجه: البخاري(٢٣٧٧٣)-٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (٣٧٧٣).

(٤) أخرجه: البخاري (٣٧٧٣) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (٣٧٧٣).

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد وقيل: أبو عبد الله التيمي القرشي شقيق عائشة تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح، وشهد اليمامة والفتح، أخرج له: السنة (٥٣). ترجمته: تهذيب التهذيب(٦/١٤٦)، تقريب التهذيب(١/٤٧٤)، الكاشف(٢/١٥٧)، التاريخ الكبير(٥/٢٤٢)، التاريخ الصغير(١/٣٧)، الجرح والتعديل(٢/٤١٧)، الثقات(٣/٢٤٩)، الإصابة(٣/٢٩١)، سير الأعلام(٤/٤٧١).

(*) قال ابن حجر: ومع عبد الرحمن سواك يستن به، أي يسنك ، قال الخطابي: أصله من السن أي بالفتح ومنه المسن الذي يسن عليه الحديد، وقوله: "فقضمته" يفتح القاف وكسر الصاد المعجمة أي مضغته، والقضم الأخذ بطرف الأسنان، وحكي عياض أن الأكثر رواه بالضاد المهملة أي كسرته أو قطعه.

فقضمته ثم مضغته، فاعطىه رسول الله ﷺ، فاستن به، وهو مستند إلى صدرى ^(١) .
ومنها أن رسول الله ﷺ كان حريصاً في مرضه الذي توفاه الله تعالى فيه (صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم) أن يمرض في بيته حـماها.

روى البخاري عن هشام عن أبيه أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول أين أنا غداً حرصاً على بيت عائشة.

قالت عائشة فلما كان يومي سكن ^(٢) .

ومنها أن الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) كانوا كلهم يعلمون حب رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم) لها فكانوا يتحرون بهدايـاهـم يومها.
ومنها: أنه قال: "لا تؤذني في عائشة".

ومنها: انه ما نزل عليه (صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم) الوحي في لحاف امرأة من نسائه غيرها ^(٣) .

روى البخاري ^(٤) عن هشام عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهدايـاهـم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحيـيـ إلى أم سلمة، فقلـنـ يـأـمـ سـلـمـةـ، وـالـلـهـ إـنـ النـاسـ يـتـحـرـونـ بـهـدـاـيـاهـمـ يوم عائشـةـ ، وـإـنـاـ نـرـيـدـ الـخـيـرـ كـمـاـ تـرـيـدـهـ عـائـشـةـ، فـمـرـيـ(٤)ـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ أـنـ يـأـمـرـ النـاسـ أـنـ يـهـدـوـاـ إـلـيـ حـيـثـمـاـ كـانـ، أـوـ حـيـثـمـاـ دـارـ.

قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عنـيـ، فـلـمـ عـادـ إـلـيـ ذـكـرـتـ لهـ ذلكـ، فـأـعـرـضـ عـنـيـ، فـلـمـ كـانـ فـيـ الثـالـثـةـ ذـكـرـتـ لهـ، فـقـالـ: "يـأـمـ سـلـمـةـ لـاـ تـؤـذـنـيـ فـيـ عـائـشـةـ،

انظر فتح الباري لابن حجر (٨/١٣٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٥٠) كتاب المغازي، ٨٥-باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٣٧٧٤) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (٦٦).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٧٧٥) - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (٦٦)، والترمذـيـ في جامـعـهـ الصـحـيـحـ (ـهـوـ السـنـنـ)ـ ٥ـ-ـكـابـ المـنـاقـبـ، بـابـ فـضـلـ عـائـشـةـ (٦٦)، رقمـ الحديثـ (٣٨٧٩ـ)، والـسـنـائـيـ فيـ الـكـبـرـيـ فيـ الـمـنـاقـبـ، بـابـ فـضـلـ عـائـشـةـ بـنـتـ أـبـيـ بـكـرـ الصـدـيقـ حـيـةـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ، وـأـبـيـ بـكـرـ، وـعـنـ أـبـيـهـاـ وـفـيـ عـشـرـةـ النـسـاءـ بـابـ الغـيـرـةـ.

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه (٣٧٧٥) - كتاب (فضائل أصحاب النبي ﷺ)، ٣١-باب فضل عائشة (٦٦)، (ونـقـلـمـ باـقـيـ التـخـرـيـجـ قـبـلـ هـذـاـ).

(*) قوله "فمرى" أي قولي وبه استدل على عدم اشتراط الاستعلاء في الأمر كما في العيني.

فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكן غيرها^(١).

ومنها: أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم) شهد لها بأنه لم يعلم عليها إلا خيراً وكفى بها شهادة.

روى البخاري^(٢) في حديث الإفك أنه (صلى الله تعالى عنه وآلـه وصحبه وسلم) قام فاعترض يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول فقال وهو على المنبر: "يا معاشر المسلمين، من بعذرني من رجل قد يلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً". وكذا رواه غير واحد.

ومنها: أنها كانت لا تحب أن يزكيها الناس تواضعًا منها.

روى البخاري^(٣) في صحيحه بسنده عن عائشة (رضي الله تعالى عنها) أنها أوصت عبد الله بن الزبير^(٤): لا تدفني معهم، وادفني مع صواحبِي بالقيع، لا أزكي به أبدًا. اتهي. وقولها معهم أي مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

يتزوجها ثلث ليال: روى مسلم^(٥) في صحيحه عن هشام، عن أبيه عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: أرِيتُك في المنام ثلث ليال^(٦)، جاعني بك الملك في سرقةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فاكتشف عن وجهك، فإذا أنت هي فاقول: إن يك هذا من عند

(١) انظر البخاري في أول الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٥٠) - ٦٥ - كتاب التفسير، ٥ - باب قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصِيَّةٌ مِّنْكُمْ﴾ أفال كذاب، ٦ - باب ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظُنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ إلى قوله ﴿الْكَاذِبُونَ﴾، ومسلم في صحيحه [٥٦ - ٢٧٧٠] كتاب التوبية، ١٠ - باب في حديث الإفك، وقبول توبه، القاذف.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩١) - ٢٣ - كتاب الحنائز، ٩٦ - باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

(٤) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو بكر أبو خبيب الأنصاري، أمه أسماء بنت أبي بكر، القرشي، الحميري، الباهلي، صحابي مشهور كان أول مولود في الإسلام بالمدينة، أخرج له: الستة توفي سنة (٧٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢١٣/٥)، تهذيب التهذيب (٤١٥/١)، الكافش (٨٦/٢)، التاريخ الكبير (٣/٦)، الجرح والتعديل (٥٦/٥)، أسد الغابة (٣)، الإصابة (٤/٨٩) الثقات (٢١٢/٣).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٩ - ٢٤٣٨] كتاب فضائل الصحابة، ١٣ - باب فضل عائشة (رضي الله عنها).

(٦) قوله "جاعني بك الملك في سرقة من حرير" هي بفتح السين المهملة والراء وهي الشقق البضم من الحرير قاله أبو عبيدة وغيره.

الله، يمضنه (١) .

ومنها: أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم) كان يراقبها في أحواها لحبه إياها.
روى مسلم بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "إني لأعلم إذا كنت عنـي راضية وإذا كنت على غضـى".

قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: "أما إذا كنت عنـي راضية، فإنـك تقولـين لا وربـ محمدـ، وإذا كنتـ غضـىـ، قـلتـ لاـ وـربـ إـبـراهـيمـ" (٢). قـالتـ: فـقلـتـ: "ـماـ أـهـجرـ إـلـاـ أـسـلـكـ" (٣).
ومنها: أن رسول الله ﷺ كان يُسر لسرورـهاـ.

روى مسلم عن عروة عن عائشة (رضيـهاـعـنـهـ) أنهاـ كانتـ تـلـعـبـ بـالـبـيـنـاتـ عـنـدـ رـسـوـلـ اللهـ (ﷺ).
قالـتـ (٤): وـكـانـتـ تـأـتـيـنـيـ صـوـاحـبـيـ، فـكـنـ يـنـقـمـنـ مـنـ رـسـوـلـ اللهـ (ﷺ). قـالتـ: "ـفـكـانـ

(١) قوله ﷺ: "فأقول: إن يكـ هذاـ منـ عندـ اللهـ، يـمضـنهـ" قالـ القـاضـيـ: إنـ كـانـ هـذـهـ الرـؤـيـاـ قـبـلـ النـبـوـةـ وـقـيلـ تـخـلـيـصـ أـحـلـامـهـ مـنـ الـأـضـغـاتـ فـمـعـنـاهـاـ إـنـ كـانـ رـؤـيـاـ حـقـ وـإـنـ كـانـ بـعـدـ النـبـوـةـ فـلـهـ ثـلـاثـ مـعـانـ:
أـحـلـمـهـ: أـنـ الـمـرـادـ أـنـ تـكـونـ الرـؤـيـاـ عـلـىـ وـجـهـهـ لـاـ تـحـتـاجـ إـلـىـ تـعـبـيرـ وـتـفـسـيرـ فـسـيـضـهـ اللـهـ تـعـالـىـ وـيـنـحـزـهـ،
الـثـانـيـ: أـنـ الـمـرـادـ إـنـ كـانـ هـذـهـ الرـوـجـةـ فـيـ الـدـنـيـاـ يـمـضـهـ اللـهـ فـالـشـكـ أـنـهـ زـوـجـهـ فـيـ الـدـنـيـاـ أـمـ فـيـ الـجـنـةـ،
الـثـالـثـ: أـنـهـ لـمـ يـشـكـ وـلـكـ أـخـبـرـ عـلـىـ التـحـقـيقـ، وـأـتـيـ بـصـورـةـ الشـكـ.

النـوـويـ فـيـ شـرـحـ مـسـلـمـ (١٦٤/١٥) طـبـعـةـ دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـةـ

(٢) قالـ النـوـويـ: قـالـ القـاضـيـ: مـغـاضـبـةـ عـائـشـةـ لـلـنـبـيـ (ﷺ) هيـ مـاـ سـيـقـ مـنـ الغـيـرـةـ الـتـيـ عـفـيـ عـنـهـاـ لـلـنـسـاءـ فـيـ
كـثـيرـ مـنـ الـأـحـكـامـ، كـمـاـ سـيـقـ لـعـدـ اـنـفـكـاـكـهـنـ مـنـهـاـ، حـتـىـ قـالـ مـالـكـ وـغـيـرـهـ مـنـ عـلـمـاءـ الـمـدـيـنـةـ يـسـقطـ
عـنـهـاـ الـحـدـ إـذـ قـلـفـتـ زـوـجـهـ بـالـفـاحـشـةـ عـلـىـ جـهـةـ الـغـيـرـةـ. قـالـ: وـاـنـتـجـ بـمـاـ رـوـيـ عـنـ النـبـيـ (ﷺ) أـنـهـ قـالـ:
مـاـ تـلـرـيـ الـغـيـرـاءـ أـعـلـىـ الـوـادـيـ مـنـ أـسـفـلـهـ، وـلـوـ ذـلـكـ لـكـانـ عـلـىـ عـائـشـةـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ الـمـرـجـ مـاـ فـيـهـ؛ لـأـنـ
الـغـضـبـ عـلـىـ النـبـيـ (ﷺ) وـهـجـرـهـ كـبـيرـ عـظـمـةـ؛ وـلـهـذاـ قـالـتـ: لـاـ أـهـجـرـ إـلـاـ أـسـلـكـ فـدـلـ عـلـىـ أـنـ قـلـبـهـ
وـجـهـهـ كـمـاـ كـانـ، وـإـنـماـ الـغـيـرـةـ فـيـ النـسـاءـ لـفـرـطـ الـحـبـةـ.

شـرـحـ مـسـلـمـ لـلـإـلـامـ النـوـويـ (١٦٥/١٥) طـبـعـةـ دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـةـ

(٣) قـالـ القـاضـيـ عـيـاضـ: وـاـسـتـدـلـ بـعـضـهـمـ هـذـاـ عـلـىـ أـنـ الـاسـمـ غـيـرـ الـمـسـمـيـ فـيـ الـمـخـلـوقـيـنـ، وـأـمـاـ فـيـ حـقـ اللـهـ
تـعـالـىـ فـالـاسـمـ هـوـ الـمـسـمـيـ.

وـهـذـاـ كـلـامـ مـنـ لـاـ تـحـقـيقـ عـنـهـ مـنـ مـعـنـيـ الـمـسـأـلـةـ لـغـةـ وـلـاـ نـظـرـاـ وـلـاـ شـكـ عـنـ الـقـائـلـينـ بـاـنـ الـاسـمـ هـوـ
الـمـسـمـيـ مـنـ أـهـلـ الـسـنـةـ وـجـمـاهـيرـ أـئـمـةـ الـلـغـةـ أـوـ مـخـالـفـيـهـمـ مـنـ الـمـعـتـلـةـ أـنـ الـاسـمـ قـدـ يـقـعـ أـحـيـاـنـاـ وـالـمـرـادـ بـهـ
الـتـسـمـيـةـ حـيـنـ كـانـ فـيـ خـالـقـ أـوـ مـخـلـوقـ فـيـ حـقـ الـخـالـقـ تـسـمـيـةـ الـمـخـلـوقـ لـهـ بـاسـهـ وـفـعـلـ الـمـخـلـوقـ ذـلـكـ
بـعـارـاتـهـ الـمـخـلـوقـةـ، وـأـمـاـ أـسـمـاؤـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـ الـتـيـ سـمـىـ هـاـ نـفـسـهـ فـقـلـيمـةـ كـمـاـ أـنـ ذـاـتـهـ وـصـفـاتـهـ قـدـيمـةـ.

شـرـحـ مـسـلـمـ لـلـنـوـويـ (١٦٥/١٥)

(٤) قـالـ القـاضـيـ: فـيـ جـوـازـ اللـعـبـ هـنـ أـيـ بـالـبـيـنـاتــ وـقـالـ: وـهـنـ مـخـصـوـصـاتـ مـنـ الـصـورـ الـمـنـهـيـ عـنـهـاـ هـذـاـ

رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُسَرِّبُهُنَّ إِلَىٰ^(١) .

ومنها أن رسول الله ﷺ كان يرضيه وُد عائشة. روى مسلم^(٣) بسنده أن الناس كانوا يتحررون بهدايهم يوم عائشة، يتغون بذلك مرضاه رسول الله ﷺ^(٤).
ومنها أن رسول الله ﷺ كان يحبها^(٤).

ومنها أنه (عليه وآلـه الصلاة والسلام) أمر السيدة فاطمة (رضي الله تعالى عنها) بحبها. ومنها أنه (صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم) جعل من جملة فضائلها التي تقتضي تقديمها عن سائر زوجاته الطاهرات كونها بنت أبي بكر الصديق الأكبر (رضي الله عنه وعنهما). روى مسلم أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة^(٥) بنت رسول الله ﷺ

الحاديـث، ولـما فـيـه مـن تـدـريـب النـسـاء فـي صـغـرـهـن لـأـمـر أـنـفـسـهـن وـبـيوـتـهـن وـأـلـادـهـن.

قال: وقد أجاز العلماء بيعهن وشراعهن، وروي عن مالك كراهة شرائهن، وهذا محمول على كراهة الأكسياب بها، وتنتزه ذوي المروءات عن تولى بيع ذلك لا كراهة اللعب.

(١) مسلم في صحيحه [٨١-٢٤٤٠] كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة (عليها).

(٢) آخرجه مسلم وسيأتي. وفي البخاري بأطول من ذلك، وسيأتي بلفظه، وكذلك آخرجه البخاري أيضاً في كتاب الهبة، باب قبول الهدية، وباب من أهدى إلى صاحبه وتحري بعض نسائه دون بعض. والترمذى (٣٨٧٩) كتاب المناقب، باب فضل عائشة (ع)، عن عائشة والنسائى في الكبرى في المناقب، باب فضل عائشة بنت أبي بكر الصديق حبيبة حبيب الله وحبيبة رسول الله (ع) وعن أبيها عبد الله عثمان أبي بكر الصديق (ع). وفي عشرة النساء: باب الغيرة. وقال الترمذى: هذا حديث حسن، غيرت.

(٤) أخرج الترمذى فى سنه (٣٨٨٨) ٥- كتاب المناقب، باب فضل عائشة (ع)، وفيه: "حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق عن عمرو بن غالب أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر فقال: اغرب مقبوحاً منبوحاً، أتؤذى حبىبة رسول الله ﷺ".
وقال الترمذى: هذا حديث حسن.

(٥) من فضائل فاطمة (رضي الله عنها) ما رواه البخاري في صحيحه (٣٧٦٧) -٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي

إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرضي فأذن لها. فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة^(١)، وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: "أي بنت، ألسنت تجدين ما أحب؟". قالت: بلى. قال: "فأحبني هذه". قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذى قالت وبالذى قال لها رسول الله ﷺ. فقلن لها: ما نراك أغنیت عنا من شيء. فارجعى إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة^(٢). فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً. قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش^(٣)، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تسامياني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى الله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتدالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله (تعالى). ماعدا سورة من حِلَةٍ كانت فيها. تُسرع منها الفيضة^(٤). قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ.

٣٠- باب مناقب فاطمة (عليها السلام)، عن المسور بن مخرمة (رضي الله عنه) قال: "فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني".

(١) قال النووي: قوله "يسألك العدل في ابنة أبي قحافة" معناه يسألنك التسوية بينهن في حبة القلب، وكان يسوى بينهن في الأفعال والبيت ونحوه، وأما حبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن، وأجمع المسلمين على أن محبتهن لا تكليف فيها، ولا يلزمهم التسوية فيها؛ لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله تعالى وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال.

انظر شرح مسلم للنووي (١٥/٦٧).

(٢) ينشدنك: أي يسألنك. وقد اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء في أنه هل كان يلزمهم القسم بينهن في الدوام والمساواة في ذلك كما يلزم غيره أم لا يلزم، بل يفعل ما يشاء من إثارة وحرمان، فالمراد بالحديث طلب المساواة في حبة القلب لا العدل في الأفعال، فإنه كان حاصلاً قطعاً، وهذا كان يطاف به في مرضه عليهم حتى ضعف فاستأذنن في أن يُعرض في بيت عائشة (عليها السلام) فأذن له.

شرح مسلم للنووي (١٥/٦٧).

(٣) زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية، أم المؤمنين أخت أبي أحمد وحمنة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، تزوجها النبي ﷺ سنة أربع وهو أصح، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة قال الله تعالى: «فَلَمَّا قَضَى رَبَّهُ مَهْنَهَا وَطَرَا زَوْجَتَكَهَا»، فكانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهليكن، وزوجني الله من فوق عرشه. وكانت دينية ورعة كثيرة البر والصلة، وكانت أول نسائه لحوقاً به، فصلى عليها عمر رضي الله عنه، توفيت سنة عشرين، وقال خليفة وحده: توفيت سنة إحدى وعشرين.

تاریخ الإسلام حوادث سنة (٢٠).

(٤) قال النووي: قوله "ماعدا سورة من حد كانت تسرع منها الفيضة" هكذا هو في معظم النسخ سورة من

رسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها^(١) على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو مها. فأدَنَ لها رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله، إن أزواجه أرسلني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. قالت: ثم وقعت بي، فاستطالت على^(٢). وأنا أرافق رسول الله ﷺ، وأرافق طرفه، هل يأدَنَ لي فيها. قالت: فلم تبرح زينب^(٣) حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن انتصر. قالت: فلما وقعت بها لم أنشيها حين أتحيت عليها^(٤). قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم: إنها ابنة أبي بكر. ومنها أن رسول الله ﷺ قبضه الله بين سحرها ونحرها. روى مسلم^(٥) عن عائشة قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليت فقد يقول: "أين أنا اليوم؟، أين أنا غداً؟" استبطأه ليوم عائشة.

حد بفتح الحاء بلا هاء وفي بعضها من حلة بكسر الحاء وبالهاء. قوله: "سورة" هي بسین مهملة مفتوحة، ثم واو ساكنة، ثم راء، ثم تاء، والسورة الثوران وعجلة الغضب. وأما الحلة فهي شدة الخلق وثورانه، ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب تسرع منها الفيضة بفتح الفاء وبالهاء، وهي الرجوع أي إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً ولا تصر عليه. النووي في شرح مسلم (١٦٧/١٥).

(١) المرط: كساء من خز أو صوف أوكتان يوتزر به وتلتئم به المرأة، وجمعها: مروط.

(٢) قال الواقدي: حدثني عمر بن عثمان الحخشبي عن أبيه قال: تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لحلال ذي القعدة سنة خمس، وهي بنت خس وثلاثين سنة، قال: وكانت امرأة صالحة صوامة قوامة صناعاً تصدق بذلك كله على المساكين. انظر تاريخ الإسلام. حوادث سنة (٢٠).

(٣) قال النووي: أما أتحيت فيالنون المهملة، أي: قصدها واعتمادها بالمعارضة، وفي بعض النسخ حتى بدل حين وكلاهما صحيح، ورجح القاضي " حين" بالنون، ومعنى لم أنشيها: لم أهملها، وفي الرواية الثانية: لم أنشيها أن أتحيتها عليه بالعين المهملة وبالباء، وفي بعض النسخ بالغين المعجمة وأتحيتها بالثاء المثلثة والخاء المعجمة، أي: قمعتها وقهرتها، وقولها أولأ ثم وقعت بي أي استطالت علىي ونالت مني بالحقيقة في. اعلم أنه ليس فيه دليل على أن النبي ﷺ أذن لعائشة، ولا أشار بعينه ولا غيرها، بل لا يحل اعتقاد ذلك فإنه تحرم عليه خاتمة الأعين، وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها فلم ينهاها، وأما قوله "إنها ابنة أبي بكر". فمعنى الإشارة إلى كمال فهمها وحسن نظرها، والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (١٦٨/١٥).

(٤) آخرجه مسلم في صحيحه [٨٤_٢٤٤٣] كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها)، عن عائشة قالت... الحديث. وقال النووي: قوله: "قبضه الله بين سحرها ونحرها". السحر: بفتح السين المهملة وضمها وإسكان الحاء وهي الراء، وما تعلق بها. قال القاضي: وقيل: إنما هو شجري بالشين المعجمة والجيم، وشبك هذا القائل أصابعه، وأوّما إلى أنها ضمته إلى نحرها مشبكة يديها عليه، والصواب المعروف هو الأول.

شرح مسلم للإمام النووي (١٦٨/١٥).

قالت: "فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي^(١) قُبْضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سُحْرِيْ وَنَحْرِيْ".

وَمِنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَعْظِمُ رَسُولَ اللَّهِ^ﷺ، وَتَعْرَفُ شَأْنَهُ وَقَدْرَهُ قَدْرَهُ، رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٢) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ^ﷺ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ الْقَرْعَةُ^(٣) عَلَى عَائِشَةَ وَحْصَةَ، فَخَرَجَتَا مَعَهُ جَمِيعًا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ^ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ، سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ مَعَهَا. فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: أَلَا تَرْكِبِنَ اللَّيْلَةَ بِعِيرِيْ وَأَرْكِبْ بَعِيرِكَ^(٤)؟ فَنَتَظَرَيْنَ وَأَنْظَرَ؟ قَالَتْ: بَلِي. فَرَكِبَتْ عَائِشَةَ عَلَى بَعِيرِ حَفْصَةَ. وَرَكِبَتْ حَفْصَةَ عَلَى بَعِيرِ عَائِشَةَ. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ^ﷺ إِلَى جَمْلِ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَسَلَمَ ثُمَّ سَارَ مَعَهَا، حَتَّى نَزَلُوا، فَأَفْتَقَدَهُ عَائِشَةَ فَغَارَتْ. فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ تَجْعَلُ رِجْلَهَا بَيْنَ الإِذْهَرِ^(٥). وَتَقَوْلُ: "يَا رَبُّ، سُلْطَانُ عَلَيْهِ عَقْرَبًا أَوْحِيَ تَلْدُغِنِيْ. رَسُولُكَ وَلَا أَسْتَطِعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا^(٦)". وَمِنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١) قَوْلُهُ: "فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قُبْضَهُ اللَّهُ" أَيْ: يَوْمَهَا الأَصْلِيلُ بِحَسَابِ الدُّورِ وَالْقُسْمِ، وَإِلَّا كَانَ قَضَى جَمِيعَ الْأَيَّامِ فِي يَتِيمِهِ.

(٢) الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ، الْفَقِيهُ أَحَدُ الْأَعْلَامِ، وَلَدُ فِي خَلَافَةِ عُثْمَانَ^{رض}، وَكَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْهِ بَكْثِيرٍ، نَشَأَ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ فِي حَجَرِ عَمْتَهُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ^{رض}، فَسَمِعَ مِنْهَا، وَمِنْ أَبْنَاءِ عَبَّاسٍ، وَأَبْنَاءِ عَمِّهِ، وَمَعَاوِيَةَ، وَصَالِحَ بْنِ خَوَاتِ، وَفَاطِمَةَ بْنَتِ قَيْسَ وَطَافَةَ. وَقَالَ أَبْنَ عَيْنِهِ: أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ ثَلَاثَةَ: الْقَاسِمُ، وَعَرْوَةُ، وَعُمْرَةُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ. وَكَانَ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانَةٍ - أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ - وَكَانَ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانَهُ فَذِكْرُ حَدِيثِهِ، وَكَانَ فَقِيهِ إِيمَانًا مُجْتَهِدًا وَرَعًا عَابِدًا ثَقَةً حَجَةً، تَوْفَى سَنَةَ (١٠٦، ١٠٧، ١٠٨). تَارِيخُ الْإِسْلَامِ وَفَيَاتِ (١٠١ - ١٠٠).

(٣) أَيْ: خَرَجَتِ الْقَرْعَةُ لَهَا، فَفِيهِ صَحَّةُ الْإِقْرَاعِ فِي الْقُسْمِ بَيْنَ الْزَوْجَاتِ، وَفِي الْأَمْوَالِ وَفِي الْعَنْقِ وَنَحْوِهِ ذَلِكَ مَا هُوَ مَوْقُرَرٌ فِي كِتَابِ الْفَقِهِ مَا فِي مَعْنَى هَذَا، وَبِإِثْبَاتِ الْقَرْعَةِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ قَالَ الْفَاضِلُ وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ: وَفِيهِ أَنَّ مَنْ أَرَادَ سُفْرًا بِعْضَ نِسَائِهِ أَقْرَعَ بَيْنَهُنَّ كُلُّكُلَّ، وَهَذَا الْإِقْرَاعُ عِنْدَنَا وَاجِبٌ فِي حَقِّ غَيْرِ النَّبِيِّ^ﷺ فَمَنْ قَالَ بِوُجُوبِ الْقُسْمِ يَجْعَلُ إِقْرَاعَهُ وَاجِبًا، وَمَنْ لَمْ يُوْجِبْ بِقَوْلِهِ: إِقْرَاعُهُ^ﷺ مِنْ حَسْنِ عَشْرَتِهِ وَمَكَارِمِ أَحْلَاقِهِ.

(٤) قَالَ الْفَاضِلُ: قَالَ الْمَهْبَبُ: هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُسْمَ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَيْهِ^ﷺ، فَلَهُذَا تَحْلِيلُ حَفْصَةِ عَائِشَةَ بِمَا فَعَلَتْ، وَلَوْكَانَ وَاجِبًا لَحْرَمَ ذَلِكَ عَلَى حَفْصَةَ. وَهَذَا الَّذِي ادْعَاهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ، فَإِنَّ الْقَاتِلَ بِأَنَّ الْقُسْمَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ لَا يَمْنَعُ حَدِيثَ الْأَخْرَى فِي غَيْرِ وَقْتِ عَمَادِ الْقُسْمِ. قَالَ أَصْحَابُنَا: يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ فِي غَيْرِ وَقْتِ عَمَادِ الْقُسْمِ إِلَى غَيْرِ صَاحِبِهِ التَّوْبَةَ، فَيَأْخُذُ الْمَتَاعَ أُوْيَضَعَةً أَوْ نَحْوَهُ مِنَ الْحَاجَاتِ، وَلَهُ أَنْ يَقْبِلُهَا وَيَلْمِسُهَا مِنْ غَيْرِ إِطَالَةٍ، وَعَمَادُ الْقُسْمِ فِي حَقِّ الْمَسَافِرِ هُوَ وَقْتُ النَّزُولِ، فَحَالَةُ السَّيِّرِ لَيْسَ مِنْهُ سَوَاءٌ كَانَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا.

(٥) قَالَ الْمَهْبَبُ: قَالَ الْمَهْبَبُ: هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُسْمَ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَيْهِ^ﷺ. وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَمْرَ الغَيْرَةِ مَغْفُوْعَهُ.

انْظُرْ مَا نَقَلْنَا عَنْ النَّوْوَى فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (١٦٥/١٥) طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَبِ الْعُلُومِيَّةِ.

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ [٨٨-٢٤٤٥] كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ. ١٣ - بَابُ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ (٣٦٦) عَنْ عَائِشَةَ.

كان يسامرها وتسامره.

ومنها: أنه قال لها^(*): "كنت لك كأبي زرع لأم زرع"^(١)

(*) حديث أم زرع رواه مسلم في صحيحه [٢٤٤٨-٩٢] [كتاب فضائل الصحابة، ٤-باب ذكر حديث أم زرع، عن عائشة أنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً].

- قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث. (غث: المراد بالغث المهزول، على رأس جبل وعر معناه أنه قليل الخير، وقال الخطابي: أي يترفع ويتكبر)، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سهل فيستقل.

- قالت الثانية: زوجي لا أخاف أن لا أذره، لاني أذكره أذكره عجره وجره (لا أبث خبره: أي لا أنشره وأشيشه، إني أخاف أن لا أذره، قال الخطابي: أرادت بهما عيوبه الباطنة وأسراره الكامنة).

- قالت الثالثة: زوجي العشق إن أنطف، وإن أسكت أعلق (قال النووي: العشق: معناه ليس فيه أكثر من طول بلا نفع، فإن ذكرت عيوبه طلقني وإن سكت عنها علقي فتركني لا عزباء ولا مزوجة).

- قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حد ولا قد، ولا مخافة ولا سامة (هذا مدح بليغ ومعناه ليس فيه أذى بل هو راحة ولذادة عبس كليل تهامة للذيد معتدل ليس فيه حر ولا برد ولا أخاف له غائلة لكرم أخلاقه ولا يسامني ولا يمل صحبتي).

- قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد (هذا أيضاً مدح بليغ).

- قالت السادسة: زوجي إن أكل ألف، وإن شرب اشتاف، وإن اضطجع التف، ولا يروح الكف،

ليعلم البث (قال العلماء: البث في الطعام الإكثار منه مع التخلط من صنوفه حتى لا يبقى منها شيئاً، والاشتاف في الشرب أن يستوعب جميع ما في الإناء مأخوذ من الشفافة وهي ما يبقى في الإناء من الشراب، فإذا شربها قيل اشتافها واشتافها، وقال الهروي قال ابن العربي هذا ذم له أرادت، وإن اضطجع. ورقد التف في ثيابه في ناحية ولم يضاجعني ليعلم ما عندي من محنته. مثل ما تقدم في شرح

مسلم للنووي (١٧٢١-١٧٢٤).

- قالت السابعة: زوجي غياء أو عباء طباء، كل داء له داء، شجك أو فلك، أو جمع كلا لك (غياء أو عباء: وأنكر أبو عبيدة وغيره المعجمة، وقالوا: الصواب المهملة: وهو الذي لا يقع، وقيل: هو العين الذي تعيه مباضعة النساء ويعجز عنها. وقال القاضي وغيره: غياء بالمعجمة صحيح، وهو مأخوذ من الغيابة وهي الظلمة، وأما طباء فمعناه المطيبة عليه أمره حماً. وقيل: الذي يعجز عن الكلام فتقطيق شفتاه. وقيل: هو العين الأحق الفلم. وشجك: أي: جرحك، وفالفك: الفل الكسر، ومعناه: أنها معه بين شج رأس وضرب وكسر عضو أو جمع بينهما، وقيل: المراد بالفل هنا الخصومة. وقولها كل داء له داء: أي جميع أدوات الناس مجتمعة فيه. المرجع السابق (١٥-١٧٥).

- قالت الثامنة: زوجي الريح ريح زرنب، والمس مس أرنب (الزرنب: نوع من الطيب معروف، قيل: أرادت طيب ريح جسده، وقيل: طيب ثيابه في الناس، وقيل: لين حلقه وحسن عشرته، والمس مس أرنب: صريح في لين الجانب وكرم الخلق).

- قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد عظيم الرماد، قريب البيت من النادي (قال العلماء: معنى رفيع العماد وصفه بالشرف وسناء الذكر، وأصل العماد عماد البيت، وقيل: إن بيته الذي يسكنه رفيع العماد؛ ليراه الضيوف وأصحاب الحوائج فيقصدوه، وهكذا بيت الأجواد. وطويل النجاد: تصفه بطول القامة، والنجاد حمائل السيف، فالطويل يحتاج إلى طول حمائل سيفه، وعظيم الرماد تصفه بالجود

وكثرة ضيوفه فيكثر رماد وقوده. وقرب البت من النادي؛ ولأن أصحاب النادي يأخذون ما يحتاجون إليه في مجلسهم من بيت قريب من النادي، واللئام يتبعاً دون من النادي. المرجع السابق (١٧٦/١٥).

- قالت العاشرة: زوجي مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح، إذا سمع صوت المزهراً أيقن أنهن هوالك (معناه أن له إبلًا كثيرة في باركة بفنائه لا يوجهها تسرح إلا قليلاً قدر الضرورة ومعظم أوقاتها تكون باركة بفنائه، فإذا نزل به الضيوف كانت الإبل حاضرةً فيقربهم من البنادق والخومها، والمزهراً بكسر الميم العود الذي يضرب، أرادت أن زوجها عود إبله إذا نزل به الضيوف نحر لهم منها، وأناهم بالعيدين والمعازف والشراب، فإذا سمعت الإبل صوت المزهراً علمن أنه قد جاءه الضيوف، وأنهن منحورات هوالك، هذا تفسير أبي عبيدة والجمهور. المرجع السابق (١٧٦/١٥)).

- قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، فما أبو زرع؟ أنس حلي، وما من شحم عضدي، وبجحني فبجحنت إلى نفسي (معناه حلاني قرط وشنوفاً فهي تنوش أي: تتحرك لكثرتها). قال العلماء: معناه أسمتي، وما بدنني شحاماً ولم ترد اختصاص العضدين لكن إذا سنتا سمن غيرهما. قال الجوهري: معناه فرحي ففرحت، وقال ابن الأباري: وعظمني فعظمت عند نفسي، يقال: فلان يتبعج بكتداً أي: يتعظم ويختصر. المرجع السابق (١٧٧/١٥)).

ووجلني من أهل غنية بشق، فجعلني صهيل وأطيط، ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقيح، وأرقد فاتصبح، وأشرب فافتتح (قولها في غنية: أي أهلها كانوا أصحاب غنم لا أصحاب خيل وإبل؛ لأن الصهيل أصوات الخيل والأطيط أصوات الإبل، والعرب لا تعتد بأصحاب الغنم، وإنما يعتدلون بأهل الخيل والإبل. وأما قوله: بشق يعني بشق جبل لقلتهم وقلة غنمهم وشق الجبل ناحيته. وقال القبيسي: وبقطونه بشق بالكسر أي: بشظف من العيش وجهد، قال القاضي عياض: هذا عندي أرجح واحتاره أيضًا غيره. المرجع السابق (١٧٧/١٥)).

أم أبي زرع فما أم أبي زرع؟ عكومها رادح (عكومها الأعدال والأوعية التي فيها الطعام والأمتة، ورداح: أي عظام كبيرة. المرجع السابق)، وبيتها فساح

ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمثل شطبة (مرادها أنه مههف خفيف اللحم كالشطبة وهو مما يمدح به الرجل والمسل هنا مصدر بمعنى المسؤول أي: ما سل من قشره، وقال ابن الأعرابي وغيره: أرادت بقولها كسل شطبة أنه كالسيف سل من غمده)، ويشيعه ذراع الجفرة (ذراع الجفرة: الجفرة هي الأنثى من أولاد المعز وقيل من الضأن وهي ما بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها، والمراد أنه قليل الأكل والعرب تدح به)، بنت أبي زرع، فما بنت أبي زرع؟ طوع أيها وطوع أمها، وملء كستانها وغيط جارتها (ملء كستانها: أي ممتلئة الجسم سينة. غيط جارتها: المراد بجارتها ضرتها يغطيها ما ترى من حستها وعفتها وأدتها. المرجع السابق (١٧٩، ١٧٨/١٥)), جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع؟ لا تب ث حديثاً تبثثاً، ولا تفتق ميرتنا تفقيثاً ملأ بيتنا تعشيشاً (لا تب حديثاً تبثثاً: أي لا تشيعه وتطهره، بل تكتم سرنا وحديثنا كلها. وقولها: ولا تفتق ميرتنا تفقيثاً: الميرة الطعام المحلى،

روى مسلم حديث أم زرع. ثم قال في آخره، قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع". ومنها: أنها حوارية النساء.

و معناه لا تفسد ولا تفرقه ولا تذهب به ومعناه وصفها بالأمانة. و قوله: "ولا تهلا بيتنا تعشيشاً": أي لا تترك الكناسة والقمامنة فيه مفرقة كعش الطائر، بل هي مصلحة للبيت معتبرة بتنظيمه، وقيل: معناه لا تغوننا في طعامنا في زوايا المنزل كأعشاش الطير.

قالت خرج أبو زرع والأوطالب تمحض (الأوطالب تمحض: هي جمع وطب، وهي سقية اللبن التي يمحض فيها)، وقال أبو عبيد: هو جمع وطبة، فلقي امرأة معها ولدات لها كال فهيدين. يلعن من تحت خصرها برماتين، فطلقني ونحرها. فنكحت بعده رجلاً سرياً، ركب شريعاً، وأخذ خطياً، وأراح على نعمًا ثرياً (يلعن من تحت خصرها برماتين): قال أبو عبيد: معناه أنها ذات كفل عظيم، فإذا استلقت على قفاهما تألف كلها من الأرض حتى تصير تحتها فجوة يجري فيها الرمان، قال القاضي قال بعضهم: المقصود بالرماتين هنا ثدياهما، أي: لها مهدين حسنين صغيرين كالرماتين. و قوله: "فنكحت بعده رجلاً سرياً ركب شريعاً" أي: سيداً شريفاً، وقيل: سخيناً. والشري: هو الفرس الذي يستشرى في سيره أي يلج ويضي بلا فتور ولا انكسار. و قوله: "أخذ خطياً": الخططي الرمح منسوب إلى الخط قرية من سيف البحر تحمل الرماح إلى هذا الموضع وتنقف فيه. و قوله: "وراح على نعمًا ثرياً": النعم الإبل والبقر والغنم، والثري الكثير من المال وغيره. شرح مسلم للإمام النووي (١٨١/١٥).

و أعطاني من كل رائحة زوجاً (قوله: وأعطياني من كل رائحة زوجاً: أي مما يروح من الإبل والبقر والغنم والعيال. قوله: زوجاً أي اثنين، ويعتمل أنها أرادت صنفاً، والزوج يقع على الصنف. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَرْوَاجًا ثَلَاثَةٌ﴾). قال: كلي أم زرع وميري أهلك (وقوله: "ميري أهلك" بكسر الميم من الميرة أي: أعطتهم وأفضلني عليهم وصليلهم. المرجع السابق). فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغراني أي زرع.

قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع" (قوله ﷺ لعائشة (عليها السلام)): "كنت لك كأبي زرع لأم زرع". قال العلماء هو تطبيب لنفسها، وإيضاح حسن عشرته لياها، ومعناه: أنا لك كأبي زرع، و"كان" زائدة أو للدוא كقوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: كان فيما مضى، وهو باق كذلك والله أعلم.

قال العلماء: وفي حديث أم زرع فوائد: منها: استحباب حسن العاشرة للأهل وجوائز الإخبار عن الأمم الحالية. ومنها: أن كنایات الطلاق لا تقع إلا بالنية؛ لأن النبي ﷺ قال لعائشة: كنت لك كأبي زرع لأم زرع، ومن جملة أفعال أبي زرع أنه طلق امرأته أم زرع، ولم يقع على النبي ﷺ طلاق بتشبيهه لكونه لم يبو الطلاق، وإلى غير ذلك من الفوائد. انظر شرح مسلم للإمام النووي (١٥/١٨٢). (طبعه دار الكتب العلمية).

(١) آخر جه مسلم في صحيحه وقد ذكرناه بلفظه وشرح النووي له.

روى السيوطي عن ابن عساكر عن يزيد بن أبي حبيب^(١) أن رسول الله ﷺ قال: "للرجال حواري، وللنساء حوارية، فحواري الرجال الزبير^(٢)، وحوارية النساء عائشة". ومنها: أنها زوجته في الجنة. روى السيوطي عن ابن سعد، عن مسلم البطين أن النبي ﷺ قال: "عائشة زوجتي في الجنة"^(٣).

ومنها: أن رسول الله ﷺ كان يصالحها إذا غضبت. روى السيوطي عن ابن السنبي أن رسول الله ﷺ كان إذا غضبت عائشة^(٤) عرك نفسها، وقال: يا عويش، قولي لله رب محمد،

(١) يزيد بن أبي حبيب، أبو رجاء، أبو عبد الرحمن أبو عثمان، الأزدي، مولاه المصري، سويد، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، وكان ثقة فقيه، وكان يرسل، توفي سنة ١٢٨٠هـ وقد قارب الثمانين. ترجمته: تهذيب التهذيب (٣١٨/١١)، تقريب التهذيب (٣٦٣/٢)، الكاشف (٢٧٥/٣)، تاريخ البخاري الكبير (٣٢٤/٨)، التاريخ الصغير للبخاري (١٠/٢)، الجرح والتعديل (١١٢٢/٩)، الثقات (٥/٥٤٦)، نسيم الرياض (٣٩١/٣)، المعين (٤٤٥)، التمهيد (١/٥٤)، تراجم الأحبار (٤/٢٤٣)، سير الأعلام (٦/٣١)، معرفة الثقات (١٠/٢٠١).

(٢) روى الترمذى (٣٧٤٤) في المناقب، باب مناقب الزبير بن العوام رض، عن على رض قال: قال رسول الله ص: إن لكل نبى حواريًا، وإن حواري الزبير بن العوام".

وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرج البخارى في صحيحه (٧١٠٠) كتاب الفتن-باب الذي يلي باب الفتنة التي تمحق كمحق البحر" عن أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدى قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث على عمار بن ياسر وحسن بن على، فقدموا علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن على فوق المنبر في أعلى، وقام عمار أسفل من الحسن، فاجتمعوا إليه فسمعت عمارًا: يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة: ووالله لها زوجة نبىكم ص في الدنيا والآخرة... الحديث".

وأخرج الترمذى في جامعه الصحيح (السنن) (٣٨٨٩) كتاب المناقب وباب فضل عائشة رض، عن عبد الله بن زياد الأسدى قال: سمعت عمار بن ياسر يقول: "هي زوجته في الدنيا والآخرة". يعني عائشة رض. وقال الترمذى: حديث حسن، وفي الباب عن على.

(٤) أخرج البخارى في صحيحه (٦٦١٥)، ومسلم في صحيحه [١١٠-٢٦١٠] في البر والصلة، وأبوداود (٤٧٨١)، والنسائى (٣٩٣) في اليوم والليلة، كلهم عن سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي ص فجعل أحدهما يغضب ويحرر وجهه، فنظر إليه النبي ص فقال: إني لأعلم كلمة لو قالها للذهب ذا عنه "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، فقام إلى الرجل رجل من سمع النبي ص آفأ، قال: "إني لأعلم كلمة لو قالها للذهب عنه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال له الرجل: "أبجعوًا تراني". واللفظ مسلم.

اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن". (*)

ومنها: أن رسول الله ﷺ كان يحب أن تتصر. روى السيوطي عن ابن ماجة^(١) أن النبي ﷺ قال لها: "دونك فانتصرى". أي: خذى حنك يا عائشة^(٢).

ومنها: أن النبي ﷺ أمرنا أن نأخذ عنها شطر ديننا. روى الشبرخيتي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "خذنوا شطر دينكم عن هذه الحميراء"^(٣).

وحميراء: تصغير حمراء. وقد نقل أن بعض المتمشيخين المتتصدرين للتدريس بغير حق، فسر هذا اللفظ بغير معناه، وقال: أراد النبي ﷺ كان يمزح. ولكن لا يقول إلا حقاً. كقوله ﷺ: "لا تدخل الجنة عجوز"^(٤).

ومنها: أنها كانت كثيرة العلم، وأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ما أشكل عليهم حديث قط وسألوها عنه، إلا وجدوا عندها منه علمًا. روى الشبرخيتي عن أبي موسى أنه قال: "ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا"^(٥).

(*) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/٤٠)، والعرافي في المغني عن حمل الأسفار (٣/١٧٠)، والهندى في كنز العمال (٩٤٠/١).

(١) ابن ماجة هو محمد بن يزيد، أبو عبد الله الربعي القزويني، ابن ماجة صاحب السنن، أحد الأئمة، حافظ، صنف السنن والتفسير والتاريخ، ولد سنة (٢٠٧)، ولم يخرج له أحد من التسعة، وتوفي سنة (٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٩/٥٣٠)، تقريب التهذيب (٢/٢٢٠)، الكاشف (٣/١١٠)، طبقات الحفاظ (٢٧٨)، معجم طبقات الحفاظ (١٧١)، الوافي بالوفيات (٥/٢٢٠)، تذكرة الحفاظ (٣/٣٠٩)، سير أعلام النبلاء (١٣/٢٧٧)، معجم المؤلفين (١٢/١١٥، ١١٦).

(٢) قال النووي في قوله: "ثم وقعت بي فاستطالت عليّ، وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها، فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن تتصر، فلما وقعت بها، لم أنشبها حين أتحبب إليها" أعلم أنه ليس فيه دليل على أن النبي ﷺ أذن لعائشة ولا وأشار بعينيه ولا غيرها، بل لا يحل اعتقاد ذلك، فإنه ﷺ تحرم عليه خاتمة الأعين، وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها فلم ينهاها، وأما قوله ﷺ: "إنه ابنة أبي بكر" فمعناه الإشارة إلى كمال فهمها وحسن نظرها والله أعلم. شرح مسلم للنوعي (١٥/٦٨).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/٤٩٩). والعرافي في المغني (٣/١٢٥)، وانظر أخلاق النبوة (٨٦).

(٥) أخرجه الترمذى (٣٨٨٣) كتاب المناقب، باب فضل عائشة، وقال الترمذى: حسن صحيح، وذكر

وعن مسروق^(١) قال يحلف بالله: لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض^(٢). وقال الزهري: لو جُمِع علم عائشة إلى جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة أكثر.

ومنها: أنها كانت صاحبة كرم وزهد^(٣). قال الشبرخي^(٤) قال عطاء: بعث لها معاوية بطريق من ذهب فيه جوهر، قيمته مائة ألف. وقال غيره: دينار فقسمته بين أزواج النبي ﷺ.

وعن أم ذرة^(٥) وكانت تغشى^(٦) عائشة أنه بعث إليها عبد الله بن الزبير بمال في غرارتين^(٧). قالت: أراه شهرين أو مائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمسكت وما عندها من ذلك درهم، فلما أمسكت قالت: يا جارية هلمي

هذا النهي في تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠): وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا. وقال مسروق: رأيت مشايخة الصحابة يسألونها عن الفرائض. وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة. وقال الزهري: لو جُمِع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أضل.

(١) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية عبد الله، أبو عائشة، الهمداني الوداعي، الكوفي، العابد، الفقيه، ثقة، عابد، أخرج له أصحاب الكتب الستة، محضر، توفي سنة (٦٢، ٦٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/١٠)، تقريب التهذيب (٥/٤٢)، الكاشف (٣/٤٣٦)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/٣٥)، التاريخ الصغير للبخاري (١/٨٩، ١٢٣)، الجرح والتعديل (٨/١٨٠)، الخلية (٢/٩٥)، نسيم الرياض (٣/٤)، سير الأعلام (٤/٦٣)، الثقات (٥/٤٥٦)، معرفة الثقات (٩/١٧٠)، طبقات الحفاظ (١٤).

(٢) انظر ما تقدم قبل هذا.

(٣) قال النهي بسنده عن عروة: رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفاً، ولنها لترقع جانب درعها. وعن مصعب بن سعد قال: فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة الآف، وزاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله ﷺ.

تاريخ الإسلام للنهي وفيات (٥١-٥٠)

(٤) أم ذرة المدنية مولاة عائشة، مقبولة أخرج لها أبو داود. ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/٤٦٧) رقم (٤٢٩٤٤).

(٥) غشى المكان: أتاه.

(٦) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٨/٦٦-٦٧) وain كثير في جامع المسانيد في مستند عائشة (٣٤/٢٥) المقدمة.

بفطرى. فجاءتها بخبز وزيت. فقالت^(١) لها أم ذرة: ما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه. فقالت: "لا تعنفيني، لو كنت أذكرتني لفعلت". وأمثال ذلك كثيرة.

ومنها: أنها كانت كثيرة الخوف من الله تعالى. روى غير واحد أنها نذرت أن لا تكلم عبد الله بن الزبير، فشفع فيه عندها المسور بن مخرمة^(٢)، وعبد الرحمن بن الأسود، فظفقا يناشداها إلا ما كلامته ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عمما قد علمت من التهاجر. " وأنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ"^(٣). فطفقت عائشة تبكي وتقول: إني نذرت، والنذر شديد". فلم يزالا بها حتى كلامته. واعتقدت في نذرها ذلك أربعين رقبة^(٤). وكانت تذكر

(١) ذكر النهي في تاريخ الاسلام فقال: أبو معاوية ثنا هشام بن عروة، عن ابن المنكدر عن أم ذرة قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غررتين، يكون مائة ألف فدعت بطبق فجعلت تقسم في الناس، فلما أسمت قالت: يا جارية هاتي فطري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين أما استطعت أن تشتري بدرهم لحماً مما أنفقت. فقالت: لا تعنفيني لو ذكرتني لفعلت.

تاریخ الإسلام وفیات (٥١-٦٠).

(٢) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب رض، أبو عبد الرحمن، الزهري، القرشي، له ولائيه صحبة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٥١/١٠)، تقريب التهذيب (٢٤٩/٢)، الكاشف (١٤٥/٣)، تاريخ البخاري الكبير (٤١٠/٧)، تاريخ البخاري الصغير (١/٢١٤)، الثقات (٣٩٤/٣)، أسد الغابة (٥/١٧٥)، الأعلام (٢٢٥/٧)، شذرات الذهب (٧٢/١)، تجريد أسماء الصحابة (٧٧/٢)، طبقات الحفاظ (٤٥)، الاستيعاب (٣٩٩/٣)، سير الأعلام (٣٦٠/٣)، العبر (١/٤٠، ٧٠)، طبقات ابن سعد (٣٨٣/٢)، أسماء الصحابة الرواة (١٢٤).

(٣) أخرج مسلم في صحيحه [٢٥-٢٥٦٠] كتاب البر والصلة والأداب، باب تحرير المحرر فوق ثلاث ليال، بلا عذر شرعي، عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هنا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".

قال النووي: قال العلماء في هذا الحديث تحرير المحرر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال، وإياحتها في الثلاث الأول: بنص الحديث، والثاني: بمفهومه، قالوا: وإنما عفي عنها في الثلاث؛ لأن الآدمي مجبر على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك ففهي عن المحررة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض، وقيل: إن الحديث لا يقتضي إباحة المحررة في الثلاثة، وهذا على مذهب من يقول لا يحتاج بالمفهوم ودليل الخطاب.

شرح مسلم للنووي (١٦/٩٦) طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) روى مسلم في صحيحه [١٣-١٦٤٥] كتاب النذر ٥-باب في كفارة النذر، عن عقبة بن عامر، عن رسول الله ﷺ قال: "كفارة النذر كفارة اليمن".

نذرها بعد ذلك، فبكى^(١). وروى عن مسروق أنها إذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَفِي بَيْوَتْكُن﴾، بكى حتى يبتل حمارها^(٢). ومنها أنها كانت تصوم الدهر.

روى الشبرخيتي، عن القاسم عن أبيه أنها كانت تصوم الدهر، ولا تفتر إلا يوم الأضحى، ويوم الفطر^(٣).

ومنها: أنها كانت لا تأخذنها في الله لومة لائم. روى الشبرخيتي: أنها كتبت لمعاوية^(٤) أما بعد: فإن العبد إذا عمل بمعصية الله تعالى عاد حامداً من الناس ذاماً (من الله)^(٥).

ومنها: أنها كانت فصيحة اللسان بلغة البيان. روى البخاري ومسلم^(٦) وغيرهما أن رسول الله^(٧) لما دخل عليها في بيت أبيها في قصة الإفك، وقال لها: أما بعد، يا عائشة فإن كنت بريئة فسييرئك الله... إلى آخره^(٨)... وقضى مقالته. قالت لأبيها^(٩): أجب رسول الله

وقال النووي: اختلف العلماء في المراد به فحمله جمهور أصحابنا على نذر اللجاج، وهو أن يقول إنسان يزيد الامتناع من كلام زيد مثلاً إن كلمت زيداً مثلاً فلله على حجة أو غيرها في كلمه، فهو بالخيار بين كفارة يمين وبين ما التزم، هذا هو الصحيح في مذهبنا. وحمله مالك وكثيرون أو الأكثرون على النذر المطلق كقوله: على نذر، وحمله أبو أحمد وبعض أصحابنا على نذر المعصية كمن نذر أن يشرب الخمر. وحمله جماعة من فقهاء أصحاب الحديث على جميع أنواع النذر و قالوا: هو خير في جميع النذورات بين الوفاء بما التزم وبين كفارة يمين، والله أعلم.

شرح مسلم لل النووي (٨٧/١١).

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب المحرمة، رقم (٦٠٧٣، ٦٠٧٤، ٦٠٧٥).

(٢) انظر تاريخ الإسلام للذهبي ترجمة عائشة^(١٠) وفيات سنة (٦٠-٥١).

(٣) في النبي عن صيام يوم الأضحى والfast. روى البخاري في صحيحه (١٩٩٣) -٣٠- كتاب الصوم ٦٧ -باب الصوم يوم النحر، عن أبي هريرة^(١١) قال: ينهى عن صيامين ويعتبن: الفطر والنحر، والملامسة والمناية^(١٢). وأخرج مسلم في صحيحه [١١٣٨-(٣٩)] -باب الصيام ٢٢- باب النبي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى. عن أبي هريرة: أن رسول الله^(١٣) نهى عن صيام يومين يوم الأضحى ويوم الفطر^(١٤).

(٤) غير موجودة بالأصل.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٥٠) -٦٥- كتاب تفسير القرآن، ٥ -باب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مُّنْكَمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ بِلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾ الآية.

ومسلم في صحيحه [٥٥-(٢٧٧٠)] -باب التوبة، ١٠- باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف.

(٦) قوله^(١٥): وإن كنت ألمت بذنب، فاستغفرى الله". معناه: إن كنت فعلت ذنباً، وليس ذلك لك بعادة، وهذا أصل اللهم.

قال: ما أدرني ما أقول^(١). وقالت لأمها مثل ذلك، فامتنعت واعتذر أيضًا. قالت^(٢)، وكان عمرها اثنتي عشرة سنة مع ما كان ملماً بها من المرض والكرب الذي لا يطاق^(٣)، والحياة من رسول الله ﷺ، ومن أبويها (رضي الله تعالى عنهما) مجيبة عن نفسها: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني منه بريئة لتصدقني. والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: **«فَصَبَرْ جَمِيلٌ وَاللهُ أَمْسَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصْفِونَ»**^(٤)

وروى ابن عبد ربه أنها قالت: "كل كرم دونه لؤم، فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه كرم، فالكرم أولى به". انتهى.

فانظر إلى هذا الكلام الذي هو من جوامع الكلم وقدره حق قدره. **«وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ»** ولا تنظر إلى غرض نفسك.

ومنها: وهي أفضل الفضائل: أنها أحب الناس لرسول الله ﷺ. روى البخاري ومسلم وغيرهما، واللفظ للبخاري عن عمرو بن العاص^(٤) أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات

النwoي في شرح مسلم (٩٣/١٧)

(١) قال النwoي: قوله لأبويها: "أجيأنا عنِّي"، فيه تقويض الكلام للكبار؛ لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه أبوها يعرفان أحليها، وأما قول أبويها لا ندرى ما نقول فمعناه أن الأمر الذي سألهما عنه لا يفهان منه على زائدة على ما عند رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها والسرائر إلى الله تعالى. شرح مسلم للنwoي (٩٣/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) في دعاء الكرب والمهم آخر الحاكم في مستدركه (٥٠٩/١)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٢) الإحسان، وأحمد في مستنده (٤٥٢، ٣٩١/١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "ما قال عبد قط إذا أصابه هم أورحزن: اللهم إني عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيديك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه، وأبدل مكان حزنه فرحاً، قالوا: يا رسول الله ينبعي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال: "أجل ينبعي لمن سمعهن أن يتعلمنهن". واللفظ لابن حبان في صحيحه.

(٣) سورة يوسف (١٨).

(٤) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم رضي الله عنه، أبو عبد الله، أبو محمد السهمي، القرشي، صحابي شهير أسلم عام الحديبية، وهو الذي فتح مصر، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة نيف وأربعين.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٥٦/٨)، تقريب التهذيب (٧٢/٢)، الكاشف (٣٣٣/٢)، تاريخ البخاري

السلالس^(١) فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة". فقلت: من الرجال؟ فقال: "أبوها". فقلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب. "فعد رجالا"^(٢).

أقول: لقد وقع لهذا الحديث قصة من الغرائب، فحق لها أن تذكر في جملة العجائب. وذلك أنه في سنة^(٣) ومائتين وalf أتى عالم من الشيعة العجم احتفل به الشيعة كثيراً، فسأل عن العلماء وأهل البيت، فاصطحب معهم وزارهم وزاروه واسمه أبو القاسم، وكان يدعى الاجتهاد^(٤) والشرف، وأنه من أولاد سيدنا موسى الكاظم^(٥) ومن جملة من زارهم وزاروه والدي رحمة الله تعالى، و كنت معه فاستحسن أحوال والدي وأعجب به،

الكبير (٦/٣٠٣)، تاريخ البخاري الصغير (١/٤٣٧)، الحرج والتعديل (٦/٢٤٢)، الثقات (٣/٢٦٥)، الاستيعاب (٣/١١٨٤)، أسد الغابة (٤/٢٤٤)، تجريد أسماء الصحابة (١/٤١)، الإصابة (٤/٦٥٠)، سير الأعلام (٣/٧٧)، البداية والنهاية (٨/٢٥)، أسماء الصحابة الرواة (٨٠).

(١) ذات السلاسل: هو بفتح السنين الأولى وكسر الثانية، وهو ماء لبني جذام بناحية الشام، ومنهم من قال هو بضم السنين الأولى، وكذا ذكره ابن الأثير في النهاية، والمشهور والمعروف فتحها، وكانت هذه الغزوة سنة (٨) من الهجرة.

وقوله: "أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة...". وقال التووي: هذا تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر عائشة^(٦)، وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر، ثم عمر على جميع الصحابة. شرح مسلم للتووي.

(٢) أخرج البخاري (٣٦٦٢) كتاب فضائل أصحاب النبي^(٧)، ٤-باب فضل أبي بكر بعد النبي^(٨) وأخرجه مسلم [٨-٢٣٨٤] كتاب فضائل أبي بكر الصديق^(٩)، وفي رقم (٩-٢٣٨٥) عن ابن أبي مليكة سمعت عائشة، وسألت: من كان رسول الله^(١٠) مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قالت لها: ثم من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا.

(٩) بياض بالأصل.

(٣) قال الشوكاني: ينبغي أن يعلم كل من له فهم أن دين الله واحد، وأن ما أحله فهو حلال لا يتغير عن صفتة، وما حرمه فهو حرام لا يتغير. وإن قال قائل من أهل العلم فيما قد أحله بكتابه أو بسنة رسوله^(١١) أنه حرام فهو مخاطئ مخالف لما شرعه الله لعباده، ولكن هذا القائل الذي يخالف ما تقرر في الشريعة إن كان أهلاً للإجتهاد، وقد بحث كلية البحث فلم يجد فهو مخاطئ مأجور كما في الحديث الصحيح الذي قدمنا ذكره أن للمجتهد مع الإصابة أجرين، وللمجتهد مع الخطأ أجرًا، وهو حديث متفق عليه، انظر البخاري (٧٣٥٢)، مسلم [١٥-١٧١٦] في (كتاب الأقضية) متلقى بالقبول، وإن كان غير أهل للإجتهاد، أو لم يبحث كما يجب عليه فهو مجازف في دين الله آثم بمخالفته لما شرعه الله لعباده. انظر كتاب قطر الولي على حديث الولي للشوكاني (ص ١٥٨) من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية.

ثم بعد رجوعه من الحج ذهب للقدس، وبعد أن قفل منه زاره والدي رحمة الله تعالى ثم أخذ في الحديث^(١) إلى أن آلَّا بهما الحديث إلى ذكر السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها)، وعن أبيها فغضب واكته وجهه. فقال له والدي رحمة الله تعالى: ورد أن رسول الله ﷺ قيل له: أي الناس أحب إليك؟^(٢) فقال: "عائشة". فقيل: من الرجال؟ فقال: "أبوها".

فقال أبو القاسم الشيعي^(٣) المذكور: لا، ورفع رأسه، وكان على رأسه عمامة كبيرة جداً عظيمة بحيث لو كانت إماء لوسعت قلتي ماء فسقطت العمامة من فوق رأسه على الأرض، وكان جم غفير حاضراً فضحك الكل. وكان أكثرهم من الشيعة^(٤). فألقم حجراً وأسكنه الله تعالى وأهله، فلم يفه بعدها بكلمة، وقمنا من ذلك المجلس، ولم نجتمع به بعد. وهذا من كرامات السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله تعالى عنها) وأرضها. ومنها: أنها

(١) وقال الشوكاني أيضًا في المرجع السابق (ص ٦٤): قد قلت (أي: المقلدة) ليس للناس إلا التقليد ولا سبيل لهم إلى غيره، وأن الاجتهد قد انسد بآبه وبطلت دعوى من يدعى، وامتنع فضل الله على عباده وانقطعت حجته. وهذا مع كونه من الإفك بين قد اختلفت فيه أنظار هؤلاء المقلدة اختلافاً كبيراً فقالت طائفة منهم ليس لأحد أن يجتهد بعد أبي حنيفة وأبي يوسف ووزير ومحمد بن الحسن، والحسن بن زياد، وإلى هذا ذهب غالب المقلدة من الحنفية، وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي ليس لأحد أن يجتهد بعد المائتين من الهجرة، وقال آخرون: ليس لأحد أن يجتهد بعد الأوزاعي وسفيان الثوري ووكيع بن الجراح وعبد الله بن المبارك، وقال آخرون: ليس لأحد أن يجتهد بعد الشافعي.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخدلاً خليلًا". وفي المغازي: باب غزوة ذات السلاسل وهي غزوة لخم وجذام، ومسلم في فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر الصديق^٤، والترمذى (٣٨٨٥) في كتاب المناقب، باب فضل عائشة^(٥)، وابن ماجة في المقدمة في فضائل عائشة، وأحمد بن حنبل في مسنده (١٣٠/٦)، وابن سعد في الطبقات (٦٧/٨).

(٣) أول فرقة من الشيعة أطلقوا عليها الشيعة العلوية، منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفارى وعمران بن ياسر، وهؤلاء كانوا منقطعين إليه ويقولون ياماته، ويفرق المؤرخون بين هذا التشيع الذى ظهر مبكراً، واشتد أثناء فتنة عثمان وخرج على لقتال طلحة والزبير وعائشة وبعد مقتل علي، واستفحى بعد مقتل الحسين، والتشيع الاصطلاحى الذى تطور وصار مذهبًا له أصوله وقواعدة كالقول بوجوب الإمامة وعصمة الإمام والثقية. موسوعة الفرق والجماعات (ص ٢٦٦).

(٤) جعل الشهير ستانى الشيعة خمس فرق: هي الكيسانية - والزيدية - والإمامية - والغلابة - والإسماعيلية. وهم ثلاثة أصناف عند الأشعري: الشيعة الغالية وهم خمس عشرة فرقة. والشيعة الإمامية وهم الرافضة - وهم أربع وعشرون فرقة، والشيعة الزيدية وهم ست فرق. ويجتمعهم القول بوجوب التعين والتصيص على الإمام، وثبتت عصمة الأنبياء والأئمة وجوئاً عن الكبار والصفائر، والقول بالتلوي والتبرى قولهاً وفعلاً وعقداً، إلا في حال التقى، ويختلفون بعض الزيدية في ذلك. ولم في تعددية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعددية وتوقف مقالة ومذهب. المرجع السابق (ص ٢٦٦).

روي لها ألفاً حديث وعشرة، وقيل: ألف وعشرة، وقيل: ألف حديث ومائتاً حديث وعشرة أحاديث^(١). اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين. وانفرد البخاري بأربعة وسبعين، ومسلم بثمانية وستين.

ومنها: أنها كانت أحفظ الصحابة للحديث^(٢). وقد اعترف أعداؤها الشيعة بذلك أنفسهم. قال الأزدي^(٣) عامله الله بما يستحق، وجازاه بما هو فيه أحق في قصيده التي مطلعها:

لمن الشمس في قباق قباهما شف جسم الدجى بروج حنيها

ما نصه:

حفظت أربعين ألف حديث من الذكر آية تنساها

ولله در حسن أندى البزار الموصلي حيث أحسن في الرد على هذا البيت

فقال:

باتجتهد للمؤمنين مغيث

خرجت^(٤) نصرة لحق حيث

حفظت أربعين ألف حديث^(١)

فبذا أراد قول جنب حيث

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٧/٦)، وابن سعد في طبقاته (٨/٦٦) قال: أخبرنا أبو معاوية الضرير، حدثنا الأعمش عن مسلم، عن مسروق أنه قيل له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ فقال: إِنَّمَا يَنْهَا عَنِ الْفَرَائِضِ الْأَكْبَرِ يَسْأَلُنَا عَنِ الْفَرَائِضِ". وأخرجه ابن كثير في جامع الأسانيد (٣٤/٩).

(٢) في تفاصيلها في أمور الدين. روى البخاري في صحيحه (١/٩٧-٩٦-١٩٧-١٩٨-٦٧) في العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه. ولفظه: حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: أخبرنا نافع بن عمر. قال: حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: "من حوسب عذب". قالت عائشة فقلت: "أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَّبُ حَسَابًا يَسِيرًا﴾" قالت: فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن من نوتش الحساب بهلك".

(٣) الأزدي هو محمد كاظم شاعر الشيعة وسيأتي.

(٤) يقصد خروجها في وقعة الجمل: وذلك لما خرج طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأم المؤمنين عائشة ومنتبعهم رأوا أنهم لا يخلصهم مما وقعوا فيه من تواناتهم في نصرة عثمان، إلا أن يقوموا في الطلب بهم، والأخذ بثاره من قتلهم، فساروا من المدينة بغير مشورة من أمير المؤمنين على وطليباً البصرة، وسار على من المدينة والتقى هو وجيش طلحة والزبير، وكان على خيل على يوم الجمل عمار وعلى الرجالية محمد بن أبي بكر، وعلى الميمنة علباء ويقال: عبد الله بن جعفر، ويقال: الحسن بن علي. وعلى الميسرة الحسين بن علي، وعلى المقدمة عبد الله بن عباس، ثم كان ما كان من أمر الواقعة.

ومن الذكر آية تنساها

حسبها سؤدداً بذا وكفافها
قرباً بالله ما أتقاها
باجتهاد^(٢) أدى إليه نهاها
ومن الذكر آية تنساها

حفظت أربعين ألف حديث
تحفظ الذكر وبه تعمل
ليت شعرى تبرجاً خرجت أم
فعلام لعنت تنسدها فيها

ثم الكلام على هذه القصيدة وتخميسها لأحد الشيعة أيضاً يحتاج إلى إفراد جزء بالتأليف

لها^(٣).

فإذا أراد الله تعالى ويسر إتمام "كتاب التدقير" الذي أشرت له في خطبة هذا الكتاب أرى حكم الله تعالى فيه. إذ ليس مجال هنا للكلام عليها. وإن كانت المناسبة متوفرة لكن أصون مؤلفي هذا عن أن أدنسه بذلك. ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول: وللسيدة عائشة (رضي

(١) من فضائل عائشة أخرج ابن سعد في طبقاته (٦٦-٦٧/٨) قال: أخبرنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش، عن تيم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة قال: "رأيتها تصدق بسبعين ألفاً وإنها لترقع جانب درعها".

(٢) قال النووي في الخلاف بين الصحابة: وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببيها، وكلهم عدول^(٤) ومتاولون في حروفهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة، لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم، وأعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهه فلشدة اشتباها اختلف اجتهادهم.

شرح مسلم للنوعي (١٥/١٢١).

(٣) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام قال: قال ابن علية، عن أبي سفيان بن العلاء المازني، عن ابن أبي عتيق قال: قالت عائشة: إذا مر ابن عمر فأروني، فلما مر قيل لها: هذا ابن عمر قال: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غالب عليك وظننت أنك لا تخالفينه - يعني ابن الزبير - قالت: أما إنك لو نهيتني ما خرجت تعني مسيرها في فتنة يوم الجمل.

تاریخ الإسلام وفیات سنة (٥١-٦٠).

الله تعالى عنها) فضائل^(١) كثيرة، اقتصرنا منها هنا على ما ذكرناه. ومن أراد زياده على ذلك فعليه بكتب الحديث والسير.

(١) من فضائل السيدة عائشة (رضي الله عنها): أخرج البخاري في صحيحه تفسير سورة النور من حديث ابن أبي ملیکة أن ابن عباس استأذن عليها وهي مغلوبة فقالت: أخشى أن يشي عليَّ فقيل ابن عم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ) ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اهت. قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ) ولم يتزوج بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء، فلما جاء ابن الزبير. قالت: جاء ابن عباس وأثنى عليَّ، ووددت أني كنت نسيًا منسيًا.

الباب التاسع عشر

فيما كانت تفتخر به السيدة عائشة الصديقة

المبرأة أم المؤمنين، زوج وحبيبة حبيب رب العالمين ﷺ (١)، وعن أبيها (١). روى عن السيدة عائشة (٢) أنها كانت تقول مفتخرة على غيرها: لقد أعطيت تسعًا ما أعطيتنه امرأة، لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي (٣) في راحته حين أمر رسول الله ﷺ بتزوجي. ولقد تزوجني بكرًا وما تزوج بكرًا غيري. ولقد ثُوقي، وإن رأسه لفي حجري (٤). ولقد قبر في بيتي. ولقد حفته الملائكة في بيتي. وإن الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه. وإن كان لينزل عليه وأنا في لحافه (٤)، وإنني لابنة خليفته وصديقه. ولقد نزل عذري من السماء. ولقد

(١) أبوها هما أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأمها هي أم رومان زوج أبي بكر أم عائشة وعبد الرحمن، صحابية ويقال: اسمها زينب، وقيل: دعد، زعم الواقدي ومن بعده أنها ماتت في زمان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، ونزل قبرها. وال الصحيح أنها عاشت بعده، ورواية مسروق عنها مصراً فيها بالسماع منها في صحيح البخاري، وليس بخطأ كما زعم بعضهم، والله أعلم. وقد أخرج لها البخاري.

انظر ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤٦٧/١٢) رقم الترجمة (٢٩٤٦)، وتقريب التهذيب (٦٢١/٢). أسماء الصحابة الرواية (١٠٠٨).

(٢) روى مسلم في صحيحه [٧٩-٢٤٣٨] [كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة رضي الله عنها] عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: أریتك في المنام ثلاث ليال، جاعني بك الملك في خرقة من حرير يقول: هذه امرأتك، فاكتشف عن وجهك فإذا أنت هي فاقول: إن يك هذا من عند الله يمضه". وأخرجه أيضًا: الترمذى (٣٨٠) كتاب المناقب، باب فضل عائشة (٣٨٠). وقال الترمذى: حديث حسن غريب.

(٣) روى مسلم في صحيحه [٨٤-٢٤٤٣] [كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها)، عن عائشة قالت: إن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ليتفقد يقول: "أين أنا غدا؟ استبطأ ليوم عائشة قالت: فلما كان يوم قبضه الله بين سحرى ونحرى". قال النبوي: السحر يفتح السنين المهملة وضمها وإسكان الحاء وهي الرئة، وما تعلق بها. قال القاضى: وقيل إنما هو شجرى بالشين المعجمة والجيم وشبك هذا القائل أصابعه، وأوّلما إلى أنها ضمته إلى نحرها مشبكة يديها عليه، والصواب المعروف هو الأول.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه (٣٧٧٥) [كتاب فضائل أصحاب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، ٣٠١-باب في فضل عائشة رضي الله عنها]، عن عائشة وفي آخره: "يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل على صلوات الله عليه وآله وسلامه الوحي وأنا في لحاف امرأة منك غيرها". وأخرجه أيضًا: الترمذى (٣٧٨٩) [كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها]، والنمساني في الكبرى في المناقب، باب فضل عائشة بنت أبي بكر، وفي عشرة النساء، باب الغيرة.

خلقت طيبة عند طيب. ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً^(١) وزاد الرازى عن القاسم بن محمد: وتزوجني في شوال، وبني بي في ذلك الشهر^(٢). وكنت أغتسل معه في إناء واحد^(٣). وأبواي مهاجران. وفي صحيح البخارى: فمات في اليوم الذى كان يدور علىٰ فيه في بيته فقبضه الله وإن رأسه لبين نحرى وسحري^(٤). وخلط ريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة^(٥) وأرضها^(٦).

الباب العشرون

في ترجمة السيدة عائشة الصديقة المبرأة

(رضي الله تعالى عنها) وأرضها

قال في أسد الغابة^(٧): عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله تعالى عنها) أم المؤمنين

(*) في قوله تعالى في سورة النور (٢٦): «الْخَيْبَاتُ لِلْخَيْبَاتِ وَالْخَيْرُونَ لِلْخَيْرَاتِ وَالطَّيْبَاتُ لِلطَّيْبَاتِ وَالطَّيْبُونَ لِلطَّيْبَاتِ أَوْلَكُمْ مُبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ».

(١) أخرج أحمد في مسنده (٢٠٦، ٥٤). قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن إسماعيل بن أمية قال: حدثني عبد الله بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: "تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وأدخلت عليه في شوال، فأي نسائه كان أحظى عنده مني، فكانت تستحب أن تدخل نساعها في شوال".

وأخرجه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (٣٤)، وعزاه لأحمد في مسنده.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (٢٥٠) كتاب الغسل - باب غسل الرجل مع امرأته، عن عائشة قالت: "كنت أغتسل والنبي ﷺ من إناء واحد من قدر يقال له الفرق".

وفي رقم (٢٦١) في الغسل، باب هل يدخل الجنب يده في الإناء قبل أن يغسلها، عن عائشة قالت: "كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد تختلف أيدينا فيه".

(٣) أخرج البخاري (٤٤٩) في المغاري باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ومسلم [٨٤-٢٤٤٣] كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة (٦٠).

(٤) أخرج البخاري في صحيحه (٤٤٩) كتاب المغاري، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، عن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله علىٰ أن رسول الله ﷺ توفي في بيته وفي يومي وبين سحري ونحرى، وأن الله جمع بين ريقه عند موته، دخل علىٰ عبد الرحمن وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: أخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناوله فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم فليته وبين يديه ركوة أوعلبة، يشتك عمر (من رواة الحديث) فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه يقول: "لا إله إلا الله، إن للموت سكرات" ثم نصب يده فجعل يقول: "في الرفيق الأعلى". حتى قبض ومالت يده.

(٥) انظر ترجمتها في: أسد الغابة (٧/١٨٨)، تهذيب التهذيب (١٢/٤٣٣)، التقريب (٢/٦٠٦)، أسماء

زوج النبي ﷺ، وأشهد نسائه. وأمها أم رومان^(١) ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن أذينة بن سبيع بن ذهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة الكنانية. تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بستين، وهي بكر.

قال أبو عبيدة: وقيل بثلاث سنين.

وقال الزبير: تزوجها رسول الله ﷺ بعد خليجة^(٢)، قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بأربع سنين، وقيل: بخمس سنين، وكان عمرها لما تزوجها رسول الله ﷺ ست سنين^(٣) وقيل سبع سنين، وبنيها وهي بنت تسع سنين بالمدينة. وكان جبريل قد عرض على رسول الله ﷺ صورتها في سرقة حرير في المنام لما توفيت خليجة. وكأنها رسول الله ﷺ أم عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير^(٤).

الصحابة الرواة^(٤)، الثقات^(٣)، أعلام النساء^(٩/٣)، تنوير قلوب المسلمين^(٤)، الصمط الشميين^(٣)، الدر المثور^(٢٨٠)، الاستيعاب^(٤/١٨٨)، الإصابة^(٤/٤)، تجريد أسماء الصحابة^(٢٨٦/٢)، الكاشف^(٤٧٦/٣)، الحالمة^(٣٨٧/٣)، الخلية^(٤٣/٢)، تذكرة الحفاظ^(١/٢٧)، شذرات الذهب^(١/٦١)، طبقات ابن سعد^(٨/٣٩)، معجم طبقات الحفاظ^(١/٥٠)، التاريخ الصغير للبخاري^(١/٩٩، ٩٩١)، أزمنة التاريخ الإسلامي^(٩٨٩)، تلقيح فهوم أهل الأثر^(٢٠، ٣٦٣).

(١) تقدمت ترجمتها قريباً.

(٢) في تزويع عائشة روى البخاري في صحيحه^(٣٨٩٤) كتاب مناقب الأنصار، ٤-باب تزويع النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، عن عائشة^(٣) قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة... وفيه: فأتتني أم رومان، وإنى لفقي أرجوحة، ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتتها، لا أدرى ما تريدي بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإنى لأنجح حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الحير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين^(١).

(٣) أخرج البخاري في صحيحه^(٥١٥٨) كتاب النكاح ٦٠-باب من بني بامرأة وهي بنت تسع سنين عن عروة: "تزوج النبي ﷺ وهي ابنة ست، وبنيها وهي ابنة تسع، ومكثت عنده تسعًا". ومسلم في النكاح، باب تزويع الأب البكر الصغيرة، وأحمد في مستنه^(٦/٤٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه^(٥/٢٥٣)، كتاب الأدب ٧٨-باب في المرأة تكni. رقم الحديث ٤٩٧٠، عن عائشة، والبخاري في الأدب المفرد^(٤٩٧٠)، عبد الرزاق في مصنفه^(١١/٤٢)، باب الأسماء والكنى، رقم^(١٩٨٥٨)، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصحابهان^(٢١٧)، وإسحاق بن راهويه^(٢٩٢) وأحمد في مستنه^(٦/١٠٧)، وأبي نعيم في أخبار أصحابهان^(١/٩٣)، وابن الأعرابي في معجم شيوخه^(١/٤٥)، رقم^(٩٩٥)، من تحقيقنا- طبعة دار الكتب العلمية.

وروى سند عن حاطب عن عائشة قالت: لما ثُوفيت أُي خديجة قالت خولة بنت حكيم^(١) بن الأوقص امرأة عثمان بن مطعون. وذلك بمحنة: أُي رسول الله ألا تزوج، قال: "من؟" قلت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيًّا. قال: "فمن البكر؟" قلت: ابنة أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر. قال: "ومن الثي؟" قلت: سودة بنت زمعة بن قيس^(٢)، آمنت بك، وابتعدت على ما أنت عليه. قال: "فاذهبي فاذكريهما علي". فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان أم عائشة^(٣). قلت: أُي أم رومان ما دخل الله عليكم من الخير والبركة. قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله أَخْطَبَ عَلَيْهِ عَائِشَةَ^(٤) قالت: وهل

(١) خولة بنت حكيم بنت أمية^(٥) يقال لها أم شريك، صحابية مشهورة يقال إنها التي وهبت نفسها للنبي^(٦)، وكانت قبل تعيين عثمان بن مطعون، أخرج لها البخاري في حلق أفعال العباد، ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة.

ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤١/١٢)، تقريب التهذيب (٥٩٦/٢)، الثقات (١١٥/٣)، أسد الغابة (٩٣/٧)، أعلام النساء (١/١)، الكاشف (٣٢٦)، الاستيعاب (٤٦٩/٣)، الإصابة (١٨٣٠/٤)، (٧)، (٦١٧، ٦٢٥)، تجريد أسماء الصحابة (٢٦٥/٢)، حلية الأولياء (٦٤/٢)، تبصير المتبه (١٠٨٦/٣)، الإكمال (٧٧/٧)، أسماء الصحابة الرواية (٢١٩).

(٢) سودة بنت زمعة بن قيس العامرية القرشية أم المؤمنين، تزوجها النبي^(٧) بعد خديجة^(٨) وهو بمحنة، آخر جواز لها البخاري وأبو داود والنسائى، ثُوفيت سنة (٥٥٥هـ).

ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤٢٦/١٣)، تقريب التهذيب (٦٠١/٢)، الثقات (١٨٣٣/٣)، أسد الغابة (١٥٧/٧)، أعلام النساء (٢٦٧/٢)، السمعط الشمين (١١٧)، الدر المثور (٢٥٢)، تجريد أسماء الصحابة (٢٨٠/٢)، الاستيعاب (١٨٦٧/٤)، الإصابة (٧٢٠/٧)، الكاشف (٤٧٣/٣)، أسماء الصحابة الرواية (٣٠٣).

(٣) في قوله عائشة: "تزوجني رسول الله^(٩) لست سجين، وبى ي وأنا بنت تسعة سجين". قال النووي: هذا صريح في جواز تزويج الأب الصغيرة بغير إذنه؛ لأنه لا إذن لها والجند كالأب عندنا. وأجمع المسلمين على جواز تزويجها بنته البكر الصغيرة لهذا الحديث، وإذا بلغت فلا خيار لها في فسخه عند مالك والشافعى وسائر فقهاء الحجاز. وقال أهل العراق: لها الخيار إذا بلغت، أما غير الأب والجند من الأولياء فلا يجوز أن يزوجها عند الشافعى والشورى ومالك وأبى ليلى وأحمد وأبى ثور وأبى عبيد والجمهور قالوا: فإن زوجها لم يصح.

شرح مسلم للنووى (١٧٦/٩).

(٤) قال الأوزاعي وأبى حنيفة وآخرون من السلف يجوز لجميع الأولياء^(١٠) ويصح لها الخيار إذا بلغت". إلا أبا يوسف فقال: لا خيار لها. واتفق الجماهير على أن الوصى الأجنبى لا يزوجها وجوز شریع وعروة وحماد له تزويجها قبل البلوغ، وحکاه الخطابي عن مالك أيضًا والله أعلم.

المرجع السابق (١٥/١٧٦).

تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه، وددت، انتظري أبا بكر، فإنه آت، فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة. قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عائشة^(١). قال: وهل تصلح له؟ إنما هي بنت أخيه. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. فقال: ارجعني وقولي له أنت أخي في الإسلام^(٢)، وابتكت تصلح لي^(٣). فأتت أبا بكر. فقال: ادعني لي رسول الله ﷺ. فجاء فأنكحه، وهي يومئذ بنت سنتين. وقال رسول الله ﷺ أذهبني - أي: إلى سودة^(٤) - فاذكريها عليًّا. قالت: فخررت، فدخلت على سودة. قلت: ياسودة، ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة. قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبتك عليه^(٥)، قالت: وددت، ادخلني على أبي فاذكري ذلك له.

(١) أعلم أن الشافعي وأصحابه قالوا: يستحب أن لا يزوج الأب والجد البكر حتى تبلغ ويسأذنها؛ لشأن يقعها في أسر الزوج وهي كارهة، وهذا الذي قالوه لا يخالف حديث عائشة؛ لأن مرادهم أنه لا يزوجها قبل البلوغ إذا لم تكن مصلحة ظاهرة يخاف فوتها بالتأخير كحديث عائشة، فيستحب تحصيل ذلك الزوج؛ لأن الأب مأمور بمصلحة ولده فلا يفوتها والله أعلم.

المرجع السابق (١٧٦/١٥).

(*) روى البخاري (٥٠٨١) في النكاح، باب تزويج الصغار من الكبار وفيه فقال: "أنت أخي في دين الله وكابي، وهي لي حلال".

(٢) قال النووي: أما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها، فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به، وإن اختلفا فقال أحمد وأبي عبيدة: تجبر على ذلك بنت تسع سنين دون غيرها. وقال مالك والشافعي وأبي حنيفة: حد ذلك أن تطيق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح وليس في حديث عائشة تحديد ولا المنع من ذلك فيمن أطاقته قبل تسع و لا الإذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعًا.

المرجع السابق (١٧٦/١٥).

(٣) كانت أم المؤمنين سودة قبل زواجها من النبي ﷺ عند السكران أخي سهيل بن عمر العامري، ولم تكملت وهب يومها لعائشة لتكون من زوجات النبي ﷺ في الجنة، روى عنها ابن عباس ويعقوب بن عبد الله الأنصاري، توفيت في آخر خلافة عمر رض، وقد انفردت بصحبة رسول الله ﷺ أربع سنين لا تشاركها فيه امرأة ولا سرية، وكانت سودة من سادات النساء.

وقال الواقدي: تزوج رسول الله ﷺ سودة في رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة، وهاجر بها، وتوفيت بالمدينة في شوال سنة (٤٥هـ).

انظر تاريخ الإسلام وفيات خلافة عمر بن الخطاب.

(٤) حديث زواج النبي ﷺ من عائشة وسودة أخرجه: أحمد في مسنده (٦/٢١٠، ٢١١)، والهشمي في مجمع الزواد (٩/٢٢٥)، وقال الهشمي: رواه الطبراني ورجاه رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن

قالت: وهو شيخ كبير، قد تخلف عن الحج. فدخلت عليه فقلت: إن محمد بن عبد الله أرسلني أخطب عليه سودة. قال: كفؤ كريم^(١)، فماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك. قال: ادعيها، فدعتها. فقال: إن محمدًا بن عبد الله أرسل إليّ يخطبك، وهو كفؤ كريم، أفتتحين أن أزو جك. قالت: نعم. قال: فادعه لي، فدعته. وجاء أخوها عبد الله بن زمعة^(٢) من الحج، فجعل يحتو التراب على رأسه، وقال بعد أن أسلم إني لسفيه يوم أحتو التراب على رأسى، أن رسول الله ﷺ تزوج سودة^(٣).

وروى بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على الطعام"^(٤).

وروى بسنده، عن هشام، عن أبيه قال: كان الناس يتحررون بهداياهم يوم عائشة. قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن يا أم سلمة^(٥)، والله إن الناس يتحررون بهداياهم

علقمة، وأخرجه: ابن سعد في طبقاته (٥٧/٨).

(١) وذلك من صفته ﷺ فهو محمد رسول الله أبو القاسم سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم - واسمه عمرو بن عبد مناف - واسمه المغيرة بن قصي - واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة - واسمه عامر - بن ليلاس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل بن ل Ibrahim (صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلم).

تاریخ الإسلام للذهبي. بدایة السیرة العطرة

(٢) عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أبو زمعة الأسدى القرشى، صحابي مشهور، قال الذهبي: أمه قرية أخت أم سلمة أم المؤمنين، قيل له صحبة: والأصح أنه لا صحبة له، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، استشهد يوم الدار مع عثمان رضي الله عنه. ترجمته: تهذيب التهذيب (٢١٨/٥)، تقریب التهذیب (٤١٦)، الكاشف (٨٧/٢)، التاریخ الكبير (٧٢، ٢١٨/٣)، التاریخ الصغير (١١٥/١)، الجرح والتعديل (٥٩/٥)، أسد الغابة (٢٤٥/٢)، تحریر أسماء الصحابة (١/٣١)، الإصابة (٩٥/٩)، الاستیعاب (٣/٩١٠)، الواقی بالوفیات (١٨٢/١٧)، الثقات (٣/٢١٧)، أسماء الصحابة الرواة (٧٠٤).

(٤) انظر تخریجه تقدم في سیاق لفظ الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٣٧٧) - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١ - باب فضل عائشة (٣٧٧)، ومسلم في صحيحه [٨٩-٢٤٤٦] - كتاب فضائل الصحابة، ٣ - باب فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها) والترمذى (٣٨٨٧) - كتاب المنافق، باب فضل عائشة (٣٧٧).

وقال الترمذى: وهذا حديث حسن

(٤) أم سلمة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ، اسمها: هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، القرشية، بنت عم أبي

يوم عائشة، وإنما نريد الخير كما تريده عائشة، فمرى رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ. قالت فأعرض عني، فلما عاد إلى ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: "يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي، وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها" (١).

وروي عن أبي سلمة، أن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: "يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام"، فقلت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى تريد رسول الله ﷺ (٢).

وعن عائشة أن جبريل جاء بصورتها في خرقه حرير خضراء إلى النبي ﷺ. فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة (٣).

جهل، وبنت عم خالد بن الوليد، وكانت من أجمل النساء، وطال عمرها، وعاشت تسعين سنة أو أكثر، وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة، وقد حزنت على الحسين (رضي الله عنه)، وتوفيت بعده بيسير سنة (٦١)، وقد بني لها النبي في سنة ثلاثة من الهجرة، وكانت قبله عند الرجل الصالح أبي سلمة بن عبد الأسد، وهو أخو النبي ﷺ في الرضاعة. ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤٥٥/١٢)، التفريغ (٦١٧/٢) الثقات (٤٣٩/٣)، أسد الغابة (٢٦٩/٧)، الإصابة (١٥٠/٨)، الكاشف (٤٨٣/٣)، أعلام النساء (٢٢١/٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٧٥) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي كتاب المبة، باب قبول المدية، وباب من أهدى إلى صاحبه وتحري بعض نسائه دون بعض، والترمذى (٣٨٧٩) كتاب المناقب، باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، والنسماتي في الكبرى، باب فضل عائشة بنت أبي بكر، وفي عشرة النساء باب الغيرة، وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٨) - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٦٢ - باب فضل عائشة (رضي الله عنها) ومسلم [٩١-٢٤٤٧] كتاب فضائل الصحابة ١٣ - باب في فضل عائشة (رضي الله عنها). قال النووي: فيه استحباب بعث السلام ويجب على الرسول تبليغه، وفيه بعث الأجنبي السلام إلى الأجنبية الصالحة إذا لم يخف ترتب مفسدة، وأن الذي يبلغه السلام يرد عليه، قال أصحابنا وهذا الرد واجب على الفور، وكذلك لو بلغه سلام في ورقة من غائب لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور إذا قرأه. النووي في شرح مسلم (١٧١/١٥).

(٣) أخرجه مسلم [٢٤٣٨-٧٩] كتاب فضائل الصحابة، ١٣ - باب في فضل عائشة (رضي الله عنها) عن عائشة، وبلفظه أخرجه الترمذى في جامعة الصحيح (٣٨٨٠) - كتاب المناقب، باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، وقال الترمذى: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمرو بن علقمة، وقد روى عبد الرحمن بن مهدي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن علقمة بهذا الإسناد مرسلاً، ولم يذكر فيه عن عائشة، وقد روى أبوأسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ من هذا.

وروبي عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل. قال: فأتيته فقلت: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة"، قلت: من الرجال؟ قال: "أبواها".

وروبي عن عمرو بن غالب^(١) أن رجلاً نال من عائشة (عليها) عند عمار بن ياسر^(٢) -أي: وكان من شيعة علي، وقتل معه - . فقال: اغرب مقبوحاً، أتؤذني حبيبة رسول الله ﷺ^(٣). وكان مسروق إذا روى عنها يقول: حدثني الصديقة بنت الصديق البريئة المبرأة، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض^(٤).

وقال عطاء بن رباح: كانت عائشة من أفقه الناس رأياً في العامة^(٥).
وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة^(٦).

(١) عمرو بن غالب الهمداني، مقبول، أخرج له الترمذى والنسائى. ترجمته: تهذيب التهذيب (٨٨/٨)
تقريب التهذيب (٧٦/٢)، الكاشف (٣٣٩/٢)، تاريخ البخارى الكبير (٣٦٢/٦)، الجرح والتعديل
(١٣٩٦/٦)، ميزان الاعتدال (٢٨٣/٣)، لسان الميزان (٣٢٧/٧)، ثقات ابن حبان (١٨٠/٥)،
ترجم الأخبار (٥٩٥/٢).

(٢) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحسين المذحجى العنسى أبو اليقطان مولى بني
خزروم، من نجاء أصحاب محمد ﷺ، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وعاش ثلاثة وتسعين سنة، وكان من
السابقين إلى الإسلام، ومن عذب في الله في أول الإسلام، وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام، وهاجر
عمار إلى الحبشة، وقد روى الترمذى (٣٧٩٨) في المناقب، باب مناقب عمار بن ياسر (عليها)، عن علي
قال: جاء عمار يستأذن على النبي ﷺ فقال: "اذدروا له، مرحباً بالطيب المطيب". وصححه الترمذى.
انظر تاريخ الإسلام وفيات سنة (٣٧).

(٣) أخرجه الترمذى (٣٨٨٨) -٥٠- كتاب المناقب، باب فضل عائشة (عليها). وقال الترمذى: هذا حديث
حسن.

(٤) أخرج أحمد في مسنده (٦٧/٦)، وأخرج ابن سعد في الطبقات (٦٦/٨) قال أخبرنا أبو معاوية
الضرير، حدثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، أنه قيل له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟
قال: إِيَّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتَ مُشِيقَةَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، الْأَكَابِرَ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ.

(٥) انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٦٠-٥١) ترجمة عائشة (عليها).

(٦) قال الزهري: لوجمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضلاً، وعنه أيضاً عن
القاسم بن محمد: أن معاوية لما قدم المدينة حاجاً دخل على عائشة، فلم يشهد كلامهما إلا ذكوان
مولى عائشة فقالت له: أمنت أن أخني لك رجلاً يقتلك بأخي محمد، قال: صدقت ثم إنها وعذته
وحضنته على الاتياع، فلما خرج اتكاً على ذكوان وقال: والله ما سمعت خطيباً ليس رسول الله ﷺ أبلغ
من عائشة.

ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكتفي بها فضلاً وعلوًّاً مجد. فإنها نزل فيها القرآن يتلى إلى يوم القيمة، ولو لا التطويل لذكرنا قصة الإفك بتمامها وهي أشهر من أن تخفي.

وروي عن القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت، فجاء ابن عباس فقال^(١): "يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر".

وروت عن النبي ﷺ كثيراً، وروى عنها عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة ومن التابعين ما لا يحصى^(٢).

مطلب مهم عن سيدنا عمر بن الخطاب :

وروي عن أبي أمامة^(٣)، أن عمر بن الخطاب قال: "ادنو الخيل، واتضروا، واتعلوا، وإياكم وأخلاق الأعاجم، وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر، ولا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن تدخل الحمام إلا بمئزر إلا من سقم". فإن عائشة حدثتني أن رسول الله ﷺ وهو على فراش الموت قال^(٤): "إيماء امرأة مؤمنة وضعت خارها على غير بيتها هتك الحجاب

تاریخ الإسلام للنھبی وفیات (٦٠٠-٥١)

(١) أخرج البخاري (٣٧٧١)-٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (٣٧٧١)، وروى البخاري أيضًا في رقم (٤٧٥٣)-كتاب تفسير القرآن-٩-باب **وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ تَكَلَّمَ بِهِدَا سُبْحَانَكَ...}** الآية. عن ابن أبي مليكة قال: "استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة... وفيه: "قال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير، إن اتقتت الله، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء... الحديث".

(٢) روى عنها جماعة من الصحابة، والأسود، ومسروق، وابن المسيب، وعروة، والقاسم، والشعبي، وبمأهده، وعكرمة، وعطاء بن أبي رياح، وابن أبي مليكة، ومعاذة العدوي، وعمرة الأنصارية، ونافع مولى ابن عمر، وخلق كثير. انظر تاریخ الإسلام. وفیات (٦٠٠-٥١).

(٣) أبو أمامة البليوي، الأنصاري، الحارثي، اسمه إياس، وقيل: عبد الله بن ثعلبة، وقيل: ثعلبة بن عبد الله بن سهل، صحابي له حديث، أخرج له مسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائي، وابن ماجة.

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٢/١٢) رقم الترجمة (٦٩)، تقرير تهذيب (٣٩٢/٢)، الثقات (٤٥١/٣)، أسد الغابة (٦/١٧)، الاستيعاب (٤/١٦٠١)، تجريد أسماء الصحابة (٢/١٤٨)، الاستبصار (٢٥١)، الإصابة (٧/١٩)، التاريخ الكبير (٣/٩)، الخلاصة (٣/٩)، (١٩٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/٣٠١) كتاب الحمام، في فاتحته رقم الحديث (٤٠١٠)، والترمذى (٥/١٠٥)، كتاب الأدب، ٣-باب ما جاء في دخول الحمام، رقم (٢٨٠٣)، وابن ماجة (١٢٣٤/٢)، كتاب الأدب، ٣٨-باب دخول الحمام، رقم (٣٧٥٠)، والدرامي (٢/٢٨١)، كتاب الاستذان، باب

بينها وبين ربهما **تجلي**".

وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين. وقيل: سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء لسبعين عشرة ليلة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً، فدفنت^(١)، وصلى عليها أبو هريرة^(٢)، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله، وعروة، ابنها الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر^(٣).

ولما توفي النبي ﷺ كان عمرها ثمان عشرة سنة، آخر جها الثلاثاء. انتهى.

وهي صحيح الإمام البخاري ما نصه عن عائشة أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين، وبنيها وهي بنت تسعة سنين^(٤). انتهى.

النهي عن دخول المرأة الحمام، وعبد الرازق (٢٩٤/١)، باب الحمام للنساء، رقم الحديث (١١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٤/٢٨٨) كتاب الأدب، وأحمد في مسنده (٤١، ١٧٣/٦)، وابن الأعرابي في معجم الشيوخ (٣٧٩/١) رقم الحديث (٧٢٨) - من تحقيقنا - دار الكتب العلمية.

(١) قال الذهبي: توفيت على الصحيح سنة سبع وخمسين بالمدينة، قال هشام بن عروة، وأحمد بن حنبل، وشيبان، وقال أبو عبيدة وغيره: في رمضان سنة ثمان وخمسين، وقال الواقدي: في ليلة سابع عشر رمضان، ودفنت بالبقيع ليلاً، فاجتمع الناس وحضرها فلم تر أكثر ناساً منها، وصلى عليها أبو هريرة، ولها ست وستون سنة، وذلك في سنة ثمان وخمسون.

تاریخ الإسلام وفیات (٦٠-٥١).

(٢) قال ابن سعد: أبا محمد بن عمرو، حدثنا ابن أبي سبرة، عن عثمان بن أبي عتيق عن أبيه قال: رأيت ليلة ماتت عائشة (ﷺ) حمل معها جريداً في الخرق والزبيب، فيه نار ليلاً، ورأيت النساء بالبقيع كأنه عيد. قال محمد بن عمر: حدثني ابن جريج، عن نافع "شهدت أبي هريرة صلى على عائشة بالبقيع، وكان خليفة مروان على المدينة، وقد اعتمر تلك الأيام، وقال هشام بن عروة، عن أبيه: إن عائشة دفنت ليلاً، قال حفص بن غياث: ثنا إسماعيل، عن أبي إسحاق قال: قال مسروق لولا بعض الأمر لاقمت المناحة على أم المؤمنين، وعن عبد الله بن عبيد الله قال: أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه. تاریخ الإسلام وفیات (٥١-٦٠).

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق التميمي، ابن أخت أم سلمة زوج النبي ﷺ، ثقة. أخرج له البخاري ومسلم، وأبو داود في الناسخ، والنسائي وابن ماجة. توفي بعد سنة (١٧٠). ترجمته: تهذيب التهذيب (٢٩١/٥) تقيييف التهذيب (١/٤٢٨)، الكاشف (٢/٤٢٨)، تاريخ البخاري الكبير (٥/١٣١)، تاريخ البخاري الصغير (١/١٥٩)، الجرح والتعديل (٥/١٣١)، النقاد لابن حبان (٥/١٠).

(٤) أخرج البخاري في صحيحه (٥١٥٨) كتاب النكاح، ٦٠-باب من بني بامرأة وهي بنت تسعة سنين، عن عروة. ومسلم في صحيحه [٦٩-١٤٢٢] كتاب النكاح، ١٠-باب تزويج الأب البكر الصغير. قال النووي: قال الداودي: وكانت عائشة قد شبت شباباً (ﷺ). وأما قوله في رواية:

أقول: فعلى هذا يكون عمرها (٦٦) لما توفيت خمساً وستين سنة، على القول بأمها توفيت سنة سبع وخمسين، وستة وستين على القول بأمها توفيت (٦٦) سنة ثمان وخمسين. فقد تزوجها ﷺ بمكة في شوال قبل الهجرة بستين، وكان عمرها ست سنين، وينبئ بها بالمدينة سنة الهجرة في شوال^(١) منصرفه من غزوة بدر العظمى على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على الصحيح، وكان عمرها تسع سنين، وأقامت عنده تسع سنين، وتوفي ﷺ سنة عشر من الهجرة، وكان عمرها ثمانية عشرة سنة، وتوفيت سنة سبع وخمسين^(٢).

وقال الواقدي: توفيت ليلة الثلاثاء لسبعين عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين. فيكون عمرها ستًا وستين سنة (٦٦). ورزقنا يوم القيمة شفاعتها^(٣). آمين.

* * *

تروجني وأنا بنت سبع، وفي أكثر الروايات بنت ست، فالجمع بينهما أنه كان لها ست وكسر، ففي رواية اقتصرت على السنتين، وفي رواية عدت السنة التي دخلت فيها. والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (١٧٧/٩). طبعة دار الكتب العلمية.

(١) قال الإمام أحمد في مسنده (٦/٥٤، ٦/٢٠٦): حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن إسماعيل بن أمية قال: حدثني عبد الله بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وأدخلت عليه في شوال، فأي نسائه كان أحظى عنده مني؟ فكانت تستحب أن تدخل نساعها في شوال". وذكره ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (٣٤/٦) نقلًا عن أحمد في مسنده.

(٢) قال ابن سعد في الطبقات (٨/٧٤): أخبرنا يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح والفضل بن دكين. قالوا: حدثنا هارون البربرى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: أوصت عائشة أن: لا تتبعوا سريري بنار، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء. أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا أسمة بن زيد عن بعض أصحابه عن عائشة أنها قالت حين حضرتها الوفاة: يا ليتني لم أخلق، يا ليتني كنت شجرة أسبح، وأقضى ما عليّ، وذكر ابن سعد بسنده قالت: يا ليتني كنت شجرة، يا ليتني كنت حجرًا، يا ليتني كنت مدرة؟ قلت: وما ذاك منها؟ قال: توبة.

(٣) أخرج البخاري في كتاب الاعتصام والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحضر على اتفاق أهل العلم، رقم الحديث (٧٣٢٧)، عن عائشة قالت لعبد الله بن الزبير: "ادفي مع صواحي ولا تلتفني مع النبي ﷺ في البيت، فإي أكره أن أزكي".

الباب الحادي والعشرون

في أنه لا يجوز التعرض لأحد الصحابة الكرام بسوء من سب^(١) أو شتم أو إيذاء

أو غير ذلك.

فضلاً عن الزوجات الطاهرات اللاتي كان **ﷺ** يفضى إليهن ويفضيin إليه. قال الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾** ^(٢) ...

وقال (عز شأنه): **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْدَدَ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾** ^(٣) **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِعِنْدِهِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُهِينًا﴾** ^(٤) ...

وقال رسول الله **ﷺ**: "الله الله في أصحابي، لا تخدوهم غرضاً بعدى فمن أحبهم فبحي

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٣٦٧٣) في فضائل الصحابة، باب قول النبي **ﷺ** لو كتبت متخدًا حلياً، وأخرج مسلم في صحيحه (٢٢١-٢٥٤٠) [كتاب فضائل الصحابة (٢٥٤٠)]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله **ﷺ**: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، والذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه". قال النووي: اعلم أن سب الصحابة **﴾** حرام من فواحش الحرمات سواء من لابس الفتنه منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك المروءة متألون كما أوضحته في أول فضائل الصحابة، (وقد ذكرنا ذلك في تحقيقنا من قبل). قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر ومنهنا ومنظب المهر أن يضر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل.

(٢) سورة الأحزاب (٥٣). قال ابن أبي حاتم يسنه عن ابن عباس قال: نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي **ﷺ** بعده، قال رجل لسفيان أهي عائشة؟ قال قد ذكروا ذلك، وكذلك قال مقاتل بن حجان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكر يسنه عن السدي أن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبيد الله **ﷺ** حتى نزل التنبية على تحريم ذلك، ولذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله **ﷺ** من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين. تفسير ابن كثير (٥٢٢/٣).

(٣) الأحزاب (٥٧).

(٤) الأحزاب (٥٨). قال ابن كثير: وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال رسول الله **ﷺ**: "يقول الله **ﷺ**: يؤذني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب ليله وهاره".

وقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾**، أي: يسبون **لِي**هم ما هم برأء منه لم يعلمه و لم يفعلوه **﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُهِينًا﴾** وهذا هو البهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتقصص لهم. ابن كثير في تفسيره (٥٣٤/٣).

أح恨هم، ومن أبغضهم فيبغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله،
ومن آذى الله يوشك أن يأخذه^(١).

وقال ﷺ: إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكرت النجوم فامسكوا، وإذا ذكر القدر^(٢) فامسكوا، رواهما السيوطي في الجامع الصغير.

وقد تعرضت لذلك في كتابي: "نشر الطي في حديث حب إلي". في بحث مخصوص، وأطلت الكلام فيه، وبيّنت بعض فضلهم^(٣)، وما يجب في حقهم، وأن حب النبي ﷺ وبغضهم من بغضه، وإيذاءهم إيذاء له، وأن سبهم أو أحداً منهم^(٤) يستوجب أن النبي ﷺ لعن من يفعله بل أن يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون كما يأتي، وهو أنا أذكر طرفاً مما ذكرته فيه. وقال القاضي عياض: وقال - أى: رسول الله ﷺ -: "من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صدقأً ولا عدلاً"^(٥).

(١) أخرجه الترمذى (٣٨٦٢) -٥-كتاب المناقب، باب في فضل من بايع تحت الشجرة، عن عبد الله بن مغفلة، وقال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) قال النووي: أعلم أن من هب أهل الحق إثبات القدر ويعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ~~بعلق~~ وعلى صفات مخصوصة، ففي تقع على حسب ما قدرها ~~بعلق~~، وأنكرت القدرة هذا وزعمت أنه ~~بعلق~~ لم يقدرها، ولم يتقدم علمه ~~بعلق~~ بها، وأنها مستأينة العلم أي: إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله ~~بعلق~~ عن أقوالهم الباطلة علواً كباراً، وسميت هذه الفرقة قدرية لأنكارهم القدر، قال أصحاب المقالات من المتكلمين، وقد انقرضت القدرة في القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرة في الأزمات المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون الخير من الله، والشر من غيره تعالى الله عن قوائم. انظر شرح مسلم للنحوبي (١٣٨) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أخرج الديبوري في كتابه المجالسة وجوه العلم (١٢٩/١) رقم (٢٣٤) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية. قال: حدثنا إبراهيم الحربي قال: سمعت أحمد بن عبد الله بن يونس يقول قال أبو الأحوص: لا تسبوا أصحاب النبي ﷺ فإنهم أسلموا حرفًا من الله، وأنت أسللت حرفًا من سيفهم، فانظروا كم بين الأمرين".

(٤) قال النووي: قال القاضي عياض: وذهب طائفة منهم ابن عبد البر إلى أن من توفي من الصحابة في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من يقى بعده، وهذا الإطلاق غير مُرضٍ ولا مقبول، وخالف العلماء في أن التفضيل المذكور قطعى أم لا، وهل هو في الظاهر والباطن أم في الظاهر خاصة، ومن قال بالقطع أبو الحسن الأشعري قال: وهم في الفضل على ترتيبهم في الإمامة، ومن قال بأنه اجتهادي ظنِي أبو بكر الباقلاني وذكر ابن البارقي اختلف العلماء في أن التفضيل هل هو في الظاهر أم الظاهر والباطن جميعاً. النووي في شرح مسلم (١٥١٢).

(٥) آخر جه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٢/١٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/٣٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤١/٢٤)، وأبا علي عاصم في السنة (٢/٤٨٣)، وأبا عبيدة (٥/١٨٥٥).

وقال: "أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم" ^(١).

وقال: "مثُل أصحابي كمثل الملح في الطعام، لا يصلح الطعام إلا به" ^(٢). وقال: "إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابَهُ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ" ^(٣) سُورَةُ النَّبِيِّ وَالْمَرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ لِي مِنْهُمْ أَرْبَعَةً: أَبُو بَكْرَ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيًّا، فَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أَصْحَابِيِّ، وَفِي أَصْحَابِيِّ كُلِّهِمْ خَيْرٌ" ^(٤).

وقال: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي راضٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، فَاعْرُفُوهُ لِهِ ذَلِكَ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي راضٌ عَنْ عُمَرٍ، وَعَنْ عُثْمَانَ، وَعَنْ عَلِيٍّ، وَطَلْحَةَ" ^(٥)، وَالزَّبِيرَ، وَسَعْدَ، وَسَعِيدَ ^(٦)، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ،

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية رقم (٤١٩٣)، وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٣٨).

(٢) أخرجه البغوي في شرح السنة (٥٥١/١)، والهيثمي في مجمع الروايد (١٨/١٠)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢٧٥/٢)، وقال: رواه ابن المبارك، وكذا أبو يعلي عن أنس رفعه، وأخرجه البغوي في شرح السنة بسند فيه كسابقه إسماعيل بن مسلم المكي ضعيف انفرد به الحسن البصري، انتهى كلام العجلوني، وانظر مشكاة المصايبع (٦٦٠٦).

(٣) في قوله تعالى: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْتِهِمْ رَكَعًا سُجَّدًا يَسْتَغْوِي فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا إِنَّ سِيَّاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَنْفُرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٌ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَأَسْتَعْلَطَ فَأَسْتَوْتَى عَلَى سُوقَهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" ^(٧) الفتح (٢٩). قال ابن كثير: ومن هذه الآية اتزرع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكبير الروافض الذين يغضون الصحابة ^(٨) قال: لأئمهم يغطيونهم، ومن غاية الصحابة ^(٩) فهو كافر بهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء ^(١٠) على ذلك، والأحاديث في فضل الصحابة ^(١١) والنهي عن التعرض بمساواهم كثيرة، ويفكيم شاء الله عليهم ورضاه عنهم.

تفسير ابن كثير (٤/٢٠٤، ٥/٢٠٥).

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عمر بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو محمد، أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة. غاب عن بدر في تجارة بالشام، فضرب له رسول الله ﷺ بسمه وأبره، وخرج مع عمر إلى الحجية، وكان على المهاجرين. قُتل في وقعة الجمل رماه مروان بن الحكم بسمه فقتله. وعن الشعبي قال: رأى علي طلحة في بعض الأودية ملقىً فنزل فمسح التراب عن وجهه. ثم قال: عزيز علي أبا محمد أن أراك مجندلاً في الأودية. ثم قال: إلى الله أشكو عجري ويجري. قال الأصممي: معناه: سريري وأحزاني التي تموح في جوفي، وقال ليث، عن طلحة بن مصرف أن علياً انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل وأجلسه، ومسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه ويقول: ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

تاریخ الإسلام وفیات سنة (٣٦).

(٥) سعید بن زید بن عمرو بن نفیل بن عبد العزیز القرشی العدّوی، أبو الأعور، أحد العشرة المشهود لهم

فأعروا لهم ذلك، أيها الناس، إن الله غفر لأهل بدر والحدسيّة، أيها الناس احفظوا في أصحابي وأصحابي وأختاني، لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة؛ فإنها مظلمة لا توهب في القيمة عدًا.

وقال: احفظوني في أصحابي وأصحابي، فإنه من حفظني فيهم، حفظه الله في الدنيا والآخرة، ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه، ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه^(١). انتهى.

وذكرت فيه أيضًا أن الأصحاب - بفتح فسكون - جمع صهر بكسر فسكون. وبينت فيه معنى الصهير^(٢)، والختن^(٣) والحمو، وأن الصهير يقال لمن بينك وبينه علاقة سبية بتزوجه، أو التزوج منه نقلًا عن الخفاجي على الشفاء.

وبغض أحدهم بعض النبي ﷺ، وإيذاؤه كذلك إيذاء النبي ﷺ، وإيذاء الله عزّجل.

لما قدمنا من قوله ﷺ: "الله الله في أصحابي، لا تخدوهم غرضاً"^(٤) بعدي فمن أحجمهم

بالجنة، وكان أميرًا على ربع المهاجرين وولي دمشق نيابة لأبي عبيدة، وشهد فتحها، وأسلم سعيد قبل دخول دار الأرقام، وكان متزوجًا بفاطمة أخت عمر وهي بنت عم أبيه. وقال أهل المغازي: إن سعيد بن زيد قدم من الشام بعد بدر فكلم النبي ﷺ فضرب له بسهمه وأجره، وعن ابن مكينث أن النبي ﷺ بعث سعيدًا وطلحة يتجلسان خبر غير قريش؛ ولهذا غابا عن وقعة بدر، وشهد أحدًا وما بعدها، توفي سنة (٥١٥هـ) وغسله سعد وكفنه، وقال الواقدي: نزل في قبره سعد وابن عمر.

تاریخ الإسلام وفيات (٦٠٥١-٥١).

(١) روى البخاري (٣٦٥٠) في فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، عن عمران بن حصين (رضي الله عنه) يقول: قال رسول الله ﷺ: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم". قال عمران: "فلا أدرى ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً" ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويذخرون ولا يذخرون ولا يوفون، ويظير فيهم السمن". وأخرجه مسلم في صحيحه [٤-٢١٤-٢٥٣٥] كتاب فضائل الصحابة. ٥٢-باب فضل الصحابة، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم.

(٢) الصهير: القريب بالزوج، ويوصف به، فيقال: هو صهيري، جمعها: أصحاب، والمصاهرة.

(٣) الختن: كل من كان من قبل المرأة كأبيها، وأخيها وكذلك زوج البنت أو الأخت.

(٤) قال النووي: أما عثمان رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وقتل مظلومًا، وقتلته فسقة؛ لأن موجبات القتل مضبوطة، ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه، ولم يشارك في قتل أحد من الصحابة، وإنما قتله همج ورعام من الغوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذال، تخربوا وقتلوا من مصر، فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحاصروه حتى قتلوا رضي الله عنه. وأما على رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة في وفاته لا خلافة لغيره. وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء والصحابي النجاء رضي الله عنه وأما الحروب التي جرت وكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببيها، وكلهم عدول رضي الله عنه.

شرح مسلم للنووي (١٥/١٢١).

فبحبي أحبابهم، ومن أغضبهم فيبغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه^(١) . وسب أحدهم يستوجب أن يلعن الله وملائكته والناس أجمعون من يفعله على لسان النبي ﷺ، لما روينا أنه (عليه وآلـهـ الصلاة والسلام) قال^(٢): من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(٣) . ومن أراد زيادة على ذلك فعله بكتابنا المذكور.

وروى البخاري^(٤) عن رسول الله ﷺ أنه قال: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر".

الباب الثاني والعشرون

في أنه لا يجوز لعن أحد بعينه، ولو كان كافراً فضلاً عن أن يكون مسلماً أو صاحبـاًـ والعياذ بالله تعالى، إلا أن يعلم موت الكافر على الكفر.

اعلم أن اللعن معناه لغة: الطرد والإبعاد^(٥)، وفي الشرع: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله

(١) أخرجه الترمذى (٣٨٦٢)ـ٥ـ كتاب المناقب، باب في فضل من بايع تحت الشجرة، عن عبد الله بن مغفل.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٣/٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/٢٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٨٣).

(٣) رواه البخاري وسيأتي. وقال النووي: وأما معنى الحديث فسب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة، وفاعله فاسق كما أخبر به النبي ﷺ، وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفراً يخرج به من الملة كما قدمناه في مواضع كثيرة إلا إذا استحله، فإذا تقرر هذا فقيل في تأويل الحديث أقوال: أحدها: أنه في المستحل، والثاني: أن المراد كفر الإحسان والنعمـةـ وأخـوـةـ الإـسـلـامـ لا كفر الجحود. والثالث: أنه يؤول إلى الكفر بشومه، والرابع: أنه كفعل الكفار والله أعلم. ثم إن الظاهر من قتاله المقاتلة المعروفة. قال القاضي: ويجوز أن يكون المراد المشارـةـ والمـادـعـةـ، والله أعلم. شرح مسلم لل النووي (٢/٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (١١٠/١)ـ٢ـ فتح، ٣٦ـباب خوف المؤمن من أن يحيط عمله، ١١٦ـكتاب الإيمان، ٢٨ـباب قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر". والترمذى (٦٤/١٩٨٣)ـكتاب البر والصلة. باب قول (٥٢)، والنمسائى (٧/١١١ـالجتبيـكتاب التحرير، باب قتال المسلم، وابن ماجة في (٣٩٣٩)ـكتاب الفتن. ٤ـباب سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وأحمد في مسنده (٤١١ـ١ـ١٧٦، ٣٨٥، ٤١١ـ٢ـ٢٤٥٣). وأخرجه: ابن الأعرابى في معجم شيوخه (٢/٤٧٤)، رقم (٢٤٥٣)ـعن ابن مسعودـ من تحقيقيناـ طبعة دار الكتب العلمية.

(٥) في قوله ﷺ: لا يكون اللعنون شفعاء ولا شهداء". قال النووي: لا يرثون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله، وإنما قال ﷺ: لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً". ولا يكون اللعنون شفعاء بصيغة التكثير، ولم يقل لاعناً ولا عنون؛ لأن هذا النمـةـ في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة وتحوـهـ؛ ولأنه يخرج منه أيضاً اللعن المباح وهو الذي ورد في الشرع به وهو لعنة الله الظالـمـينـ، لـعـنـ اللهـ الـيـهـودـ =

تعالى، وهذا لا يستحقه إلا كافر مات على الكفر^(١)، إذا عُلِمَ منه، وأما كافر حي لم يمت فلا يجوز لعنـه؛ رجاءً أن تدركـه رحمة الله تعالى فيؤمنـ. وأما كافر مات ولم يتبين حالـه، هل مات على كفرـه؟ أو آمنـ قبل موتهـ، فلا يجوز لعنـه أيضـاً؛ لاحتمال إيمـانـه بالله تعالىـ، وأما لـعنـ المؤمنـ والـعيـاذ بالله تعالىـ، فلا يجوز بـحالـ من الأحوالـ.

روى البخاري ومسلم^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: "من حلف بـملة غير الإسلامـ كـاذـباً فهو كما قالـ، ومن قـتل نفسه بشـيءـ، عـذـبـ بهـ فيـ نـارـ جـهـنـمـ، ولـعنـ المؤـمنـ كـفـتـلـهـ، ومن رـمى مـؤـمنـاً بـكـفـرـ فهوـ كـفـتـلـهـ".

وروى أيضـاً عنه ﷺ قالـ: "إـيمـاـ رـجـلـ قـالـ لـأخـيهـ: ياـ كـافـرـ، فـقـدـ بـاءـ بـهـ أـحـدـهـ". وروى

والـنـصـارـىـ، والـوـاـصـلـةـ والـوـاـشـةـ وـشـارـبـ الـخـمـ وـأـكـلـ الـرـبـاـ وـمـوـكـلـهـ وـكـاتـبـهـ وـشـاهـدـيـهـ وـمـصـورـيـنـ...ـ وغيرـهـ مـمـنـ هوـ مشـهـورـ فيـ الأـحـادـيـثـ الصـحـيـحةـ.

النوويـ فيـ شـرـحـ مـسـلـمـ (١٢٣/١٦)

(١) انظرـ ماـ سـيـأـتـيـ منـ شـرـحـ الإـمـامـ النـوـويـ لـصـحـيـحـ مـسـلـمـ فـيـ تـخـرـيـجـ حـدـيـثـ: "لـاـ يـكـونـ الـعـانـونـ شـفـعـاءـ وـلـاـ شـهـدـاءـ".

(٢) أـخـرـجـهـ البـخـارـيـ وـمـسـلـمـ وـغـيـرـهـاـ وـسـيـأـتـيـ عـقـبـ هـذـاـ. قـالـ النـوـويـ: وـالـحـلـفـ بـملـةـ غـيرـ إـسـلـامـ كـفـولـهـ هوـ يـهـوـدـيـ أوـ نـصـارـىـ إـنـ كـانـ كـذـاـ أوـ وـالـلـاتـ أوـ وـالـعـزـىـ وـشـبـهـ ذـلـكـ، فـإـنـ كـانـ كـانـ مـعـقـدـاـ عـظـمـتـهـ بـقـلـبـهـ، فـهـوـ كـاذـبـ فـيـ ذـلـكـ، وـإـنـ كـانـ غـيرـ مـعـقـدـ ذـلـكـ بـقـلـبـهـ فـهـوـ كـاذـبـ فـيـ الصـورـةـ؛ لـكـونـهـ عـظـمـهـ بـالـحـلـفـ بـهـ، وـإـذـاـ عـلـمـ أـنـ لـيـنـفـكـ عـنـ كـوـنـهـ كـاذـبـ بـحـلـ التـقـيـدـ بـكـاذـبـ عـلـىـ أـنـ بـيـانـ لـصـورـةـ الـحـالـفـ، وـيـكـونـ التـقـيـدـ خـرـجـ عـلـىـ سـبـبـ فـلـاـ يـكـونـ لـهـ مـفـهـومـ، ثـمـ إـنـ كـانـ الـحـالـفـ بـهـ مـعـظـمـاـ لـمـ حـلـفـ بـهـ بـجـلـأـ لـهـ كـانـ كـافـرـ، وـإـنـ لـمـ يـكـنـ مـعـظـمـاـ بـلـ كـانـ قـلـبـهـ مـطـمـئـنـاـ بـإـيمـانـ فـهـوـ كـاذـبـ فـيـ حـلـفـهـ بـمـاـ لـيـحـلـفـ بـهـ وـمـعـامـلـهـ إـيـاهـ. مـعـاـمـلـةـ مـاـ يـحـلـفـ بـهـ، وـلـاـ يـكـونـ كـافـرـ خـارـجـاـ عـنـ مـلـةـ إـسـلـامـ.

الـنـوـويـ فـيـ شـرـحـ مـسـلـمـ (١٠٨/٢).

(٣) أـخـرـجـهـ البـخـارـيـ (١٣٦٣)ـ ٢٣ـ كتابـ الجنـائزـ، ٨٣ـ ماـ جـاءـ فـيـ قـاتـلـ النـفـسـ، وـفـيـ رقمـ (٦٠٤٧)ـ فـيـ الأـدـبـ. ٤٤ـ بـابـ ماـ يـنـبـيـ منـ السـبـابـ وـالـلـعـنـ، وـرـقـ (٦١٠٥)، فـيـ الأـدـبـ، بـابـ منـ كـفـرـ أـخـاهـ منـ غـيرـ تـأـوـيـلـ فـهـوـ كـمـاـ قـالـ، وـرـقـ (٦٦٥٢)ـ كتابـ الـأـيـمـانـ وـالـنـذـورـ، ٧ـ بـابـ منـ حـلـفـ بـملـةـ سـوـىـ إـسـلـامـ". وـمـسـلـمـ [١٧٦ـ ١٧٦ـ (١١٠ـ ١١٠ـ)]ـ كتابـ الـإـيمـانـ، ٤٧ـ بـابـ غـلـظـ تـحـرـيمـ قـتـلـ إـلـيـانـ نـفـسـهـ، وـأـحـمدـ فـيـ مـسـنـدـهـ (٣٣/٤)، وـأـبـوـ دـاـوـدـ فـيـ الـإـيمـانـ وـالـنـذـورـ، بـابـ ماـ جـاءـ فـيـ الـحـلـفـ بـالـبـرـاءـةـ وـبـملـةـ غـيرـ إـسـلـامـ، وـالـتـرـمـذـيـ فـيـ الـإـيمـانـ وـالـنـذـورـ، بـابـ ماـ جـاءـ فـيـ كـرـاهـيـةـ الـحـلـفـ بـغـيرـ مـلـةـ إـسـلـامـ.

(٤) أـخـرـجـهـ مـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـهـ [١١١ـ ١١١ـ (٦٠ـ ٦٠ـ)]ـ كتابـ الـإـيمـانـ، ٢٦ـ بـابـ بـيـانـ حـالـ إـيمـانـ مـنـ قـالـ لـأـخـيهـ الـمـسـلـمـ؛ يـاـ كـافـرـ، عـنـ أـبـنـ عـمـرـ. وـقـالـ النـوـويـ: هـذـاـ الـحـدـيـثـ مـاـ عـدـهـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ مـنـ الـمـشـكـلـاتـ مـنـ حـيـثـ إـنـ ظـاهـرـهـ غـيرـ مـرـادـهـ، وـذـلـكـ أـنـ مـذـهـبـ أـهـلـ الـحـقـ أـنـ لـاـ يـكـفـرـ الـمـسـلـمـ بـالـمـعـاصـيـ كـالـقـتـلـ وـالـزـنـاـ،

أبو داود في سنته عن أبي الدرداء قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يكون اللعنون شفعاء ولا شهادة^(١)."

هذا إذا كان ذلك المؤمن من آحاد الناس فما بالك بمن كان له صحبة مع رسول الله ﷺ، بقطع النظر عن أن تكون له يدٌ وأيادٌ في الإسلام، كأبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه، فلا يُقدم على مثل ذلك إلا من أصله الله على علم وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة. وأراد به بدل الهدى والعناءة الضلال والغواية، ويكفي هذا الجاهم الغمر^(٢) والأحمق^(٣) (الفرانه)^(٤) يلقي نفسه بيده إلى التهلكة واللعنة المحققة المهلكة؛ لقوله ﷺ: "من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(٥)."

هذا في حق من يقع منه سب لأحد هم دون قذف أو لعن، فما بالك بمن يرتكب جريمة

وكذا قوله لأخيه (كافر) من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام، وإذا عرف ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه: أحدها أنه محمول على المستحل للذلّك وهذا يكفر، فعلى هذا معنى باء بها أي: كلمة الكفر، وكذا جار عليه وهو معنى رجعت عليه أي: رجع عليه الكفر فباء وجار ورجع بمعنى واحد. والوجه الثاني معناه رجعت عليه نقيضة أخيه ومعصية تكفيه. والثالث: أنه محمول على الخارج المكفرین المؤمنين. والرابع: معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر.

النووي في شرح مسلم (٤٣/٢). طبعة دار الكتب العلمية

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٧) كتاب الأدب، باب اللعن، عن أبي الدرداء، وقد رواه مسلم [٨٥-٢٥٩٨] كتاب البر والصلة والآداب، ٢٤-باب النهي عن لعن الذواب وغيرها. وقال النووي: فيه الزجر عن اللعن، وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة؛ لأن اللعنة في الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى، وليس بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى وجعلهم كالبنيان يشد بعضه ببعضًا وكالجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاومة والتذمّر، وهذا غاية ما يوده المسلم للكافر ويدعو عليه ولهذا جاء في الحديث الصحيح لعن المؤمن كقتله؛ لأن القاتل يقطعه عن منافع الدنيا وهذا يقطعه عن نعيم الآخرة ورحمة الله تعالى. النووي في شرح مسلم (١٢٣/٦).

(٢) الغمر: يقال الرجل الغمر أي: الذي لم يجرِ الأمور، فهو غمر.

(٣) الأحمق: فلان قل عقله فهو أحمق، وهي خمقاء، وجمعها: حُمُق. واتحمق: اندفع بلا رؤية. وتحامق: تظاهر بالحِمَاقَة.

(٤) كذا بالأصل.

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٣/٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٤١/٤). وابن أبي عاصم في الثقات (٤٨٣/٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٤٢/١٢)، وابن عدي في الكامل (١٨٥٥/٥).

القذف واللعن؟ على أن مثل ذلك لا يحط بسامي مقامهم رضوان الله تعالى عليهم وعلى آلهم. فإن مقامهم محفوظ واحترامهم في كل مكان وزمان ملحوظ.

وأما لعن غير الناس فقد روى أبو داود عن مسلم بن إبراهيم، عن ابن عباس (رضي الله تعالى عنهم) أن رجلاً لعن الريح، وقال مسلم: نازعته الريح رداءه على عهد النبي ﷺ فلعنها، فقال النبي ﷺ: لا تلعنها فإنها مأمورة، وإن من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه^(١). وأما ما ورد في الشرع من لعن نحو الكاذبين وغيرهم^(٢)، فإنه يجوز كما ورد بأن يلعن الكاذبين مثلاً، لا كاذب بعينه، ولو كان كافراً، وكذلك الظالمين لا ظالم بعينه، كما قدمنا، إلا أن يعلم موته على الكفر، فيجوز لعنه حينئذ بخصوصه.

وأما إذا لم يعلم ذلك فلا يجوز لعنه سواءً حياً أو ميتاً، وإن كذب وظلم و فعل الموبقات جميعها، بل وقتل نفسها ومات مصراً على ذنبه، لم يتبع منها فنقول فيه إنه مؤمن مسلم وأمره مفوض لله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لَمَنْ يَشَاءُ﴾. فلا يجوز لعنه بحال من الأحوال.

روى البخاري^(٣) عن أبي ذر (رضي الله تعالى عنه) قال: خرجت ليلةً من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، وليس معه إنسان قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فظللت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرآني. فقال: من هذا؟ قلت: أبو ذر، جعلني الله

(١) أخرجه أبو داود وقد تقدم. وقد روى مسلم في صحيحه [٢٥٩٨-٨٥] كتاب البر والصلة والآداب. ٢٤ – باب النبي عن لعن الدواب وغيرها، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: لا يكون اللعنون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة".

(٢) قال النووي في معنى الحديث المتقدم: "لا يكون اللعنون شفعاء ولا شهداء". هذا النم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة وتحوها، وأنه يخرج منه أيضاً اللعن المباح، وهو الذي ورد الشرع به وهو لعنة الله على الظالمين، ولعن اليهود والنصارى، ولعن الوالصلة والواشطة، وشارب الخمر، وأكل الربا وموكله وكاتبه وشاحديه، والمصورين ومن اتمنى لغير أبيه، وتولى غير مواليه وغير منار الأرض، وغيرهم من هو مشهور في الأحاديث الصحيحة.

شرح مسلم للنوعي (٦/١٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٣) كتاب الرقاق ١٣ – باب المكرون هم المقلون. وقد رواه أيضاً في الاستفراض، باب أداء الديون، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمَانَاتِ﴾ الآية. وأعاده في الاستئذان، باب من أجاب بليلك وسعديك، وفي الرقاق: "باب قول النبي ﷺ: ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً". وفي بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم. وأخرجه مسلم [٣٢-٩٩١] كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، وفي رقم (٣٣).

فداءك^(١) قال: "يا أبا ذر، تعال" ، قال: فمشيت معه ساعةً فقال: "إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيراً ففتح فيه يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً^(٢)" . قال: فمشيت معه ساعةً، فقال لي: "اجلس هنا" . قال: فأجلسني في قاع حوله حجارة. فقال لي: "اجلس هنا حتى أرجع إليك" . قال: فانطلق في الحرة حتى لا أراه، فلبت عندي فأطال اللبث، ثم أتي سمعته وهو مقبل وهو يقول: "وإن سرق وإن زنى" . قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت يا نبي الله جعلني الله فداءك، من تكلم بجانب الحرة؟ ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً. قال: ذلك جبريل (عليه السلام) عرض لي في جانب الحرة، قال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قلت: "يا جبريل، وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر^(٣)" . هذا مذهب أهل السنة والجماعة^(٤) . وأما عند الشيعة فيجوز لعن الغواة من المسلمين، قال شاعرهم كاظم الأسد في القصيدة:

(١) قال النووي في قوله: "من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق": فيه دلالة لمذهب أهل الحق أنه لا يخلد أصحاب الكبائر في النار، خلافاً للخوارج والمعتزلة، وخص الزنى والسرقة بالذكر؛ لكونهما من أفحش الكبائر وهو داخل في أحد أحاديث الرجاء. قوله: "فالافت فرآني فقال: من هذا؟ فقلت: أبو ذر" . فيه جواز تسمية الإنسان نفسه بكلته إذا كان مشهوراً بها دون اسمه، وقد كثر مثله في الحديث.

شرح مسلم للنووي (٦٥/٧) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال النووي: المراد بالخير الأول المال، كقوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَحُبُّ الْخَيْرِ﴾** أي: المال والمراد بالخير الثاني طاعة الله تعالى، والمراد بيمينه وشماله ما سبق أنه جميع وجوه المكارم والخير، وفتح بالحاء المهملة أي: ضرب يديه فيه بالعطاء والنفح الرمي والضرب.

شرح مسلم للنووي (٦٦/٧).

(٣) وأخرجه أيضاً الترمذى في الإيمان، باب ما جاء في افراق هذه الأمة، والنسائي في اليوم والليلة، وأحمد في مسنده (١٥٢/٥).

(٤) أهل السنة والجماعة هم الذين عناهم الرسول ﷺ لما سُئل عن الفرق الناجية فقال: "الجماعة" ، وقال: "ما أنا عليه وأصحابي" ، فكانت تسميتهم لذلك أهل السنة والجماعة، وأصحاب الحديث. وأهل الأهواء هم الذين لا يتبعون الكتاب، ويختلفون السنة، ويخرجون عن الإجماع، ويفرقون الأمة، ويصدق فيهم قول الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَةً لَّمْسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** . وجميع فرق المخالفين من الشيعة والروافض الخوارج والقدرية والمرجئة والغلاة وغيرهم، كانوا كما وصفهم الله تعالى، مفارقين للدين.

ولو دريا ما قالا لما تعرض لأحد من يلوذ بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بسوء؛ لأن ذلك ليس من الوفاء بحقه. فمن يفعله فهو من الغاوين ويستحق اللعنة إلى يوم الدين، فقد علمت وحجب لعنهم في مذهبهم لغوايتهم.

تفريغ: إن هذه الآية وهي قوله تعالى: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ»** (...الخ). عامة في أن غفران الذنوب ماعدا الإشراك بالله تعالى مناط بمشيئته تعالى عز شأنه^(٢). وحيثند يكون قوله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) المتقدم في الباب الحادي والعشرين: أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصحابي وأختاني، لا يطالنكم أحد منهم بمظلمة لا توهب في القيامة غدًا مخصوصاً لهذه الآية فليحرر، فنسأله تبارك وتعالى السلام من عثرات اللسان، والفوز يوم القيمة من الأهوال والامتحان.

* * *

(١) سورة النساء (٤٨). وقال ابن كثير في معنى الآية أحاديث، وقد ذكر منها: قال المأذن أبو بكر البزار في مسنده حديثاً أَخْمَدَ بْنَ مَالِكَ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ بْنُ أَبِي الزَّنَادِ النَّمَرِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره الله، وظلم لا يترك الله منه شيئاً: فاما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك وقال: **«إِنَّ الشُّرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»** وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين بعضهم من بعض ". تفسير ابن كثير (١/٥٠٨).

(٢) روى الترمذى (٣٥٤٠) في الدعوات، عن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله سبحانه وتعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم لو أتيتني بقراط الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأنك بقراها مغفرة". وقد أخرجه أيضاً الدارمى (٢٧٩١) وقال السخاوى في تخریج الأربعين النووية هذا حديث حسن.

الخاتمة

في بيان الفروق بين قوله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) للسيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) في قصة الإفك: "إِنْ كُنْتَ الْمُمْتَذِنَ بِذَنْبِكَ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ" (١). وبين قول عزيز مصر لامرأته في قصة سيدنا يوسف عليه السلام: "وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (٢). ليعلم أولاً أن العصمة عن اقتراف الذنوب والرذائل واجبة للأئمّة عليهم الصلاة والسلام، فلم يكن النبي أن يشرب حمراً، ونمى عن شربه (٣)، أو يزني ونمى عن الرزى (٤)، أو يربى ونمى عن المربا (٥)، أو يقامر ونمى عن المقامرة إلى غير ذلك. لاستلزام الاقتداء بفعله وعدم الإصغاء حيثند لقوله بل يستلزم الشك في صحة قوله؛ لأن المعموظ لهم ربما يتوهمون أنه لو كان قوله صدقاً لما خالف نفسه إن كان رسولاً، فلم يكن له أن يأمر بشيء ويأتي بضده. فيأمر بالمعروف ولا يفعله، ونمى عن المنكر (٦) ويفعله. أو يأمر غيره بالمعروف ونمى عنها عن المنكر، ويسى نفسه، فلا يأمرها بالمعروف ولا ينهاها عن المنكر، أو يقول ما لا يفعله فذلك كبر مفياً عند الله وعند عباده. إلا ما كان من خصائص ذلك النبي. وكذلك الرذائل، فلم يكن له أن يقترب ما يدخل بالمروة لاستلزامها الاستنذار من أصحابها، أو لم يرسل الله تعالى نبياً من قوم أدنية فقط لاستلزام الدناءة الترفع على أصحابها؛ ولذا جعل عز شأنه البوة في أشراف الخلاق (٧) وأفضل القبائل حتى يكون النبي عليه السلام معظماً في

(١) أخرجه بطروله البخاري (٤٧٥٠) - كتاب تفسير القرآن، ٦-باب **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ حِيرَةً** إلى قوله: **«الْكَادِيُونَ»** و مسلم [٥٦-٢٢٧٠] كتاب التوبة، ١ في حديث الإفك، وقوله توبة القاذف.

(٢) سورة يوسف (٢٩). قال ابن كثير: يقول لامرأته وقد كان لين العريكة سهلاً أو أنه عذرها؛ لأنها رأت ما لا صبر لها عنه، فقال لها: استغفرى لذنبك، أي: الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب، ثم قلده بما هو بريء منه **«إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ»**. تفسير ابن كثير (٤٨٦/٢).

(٣) في قوله تعالى: **«إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**

(٤) في قوله تعالى: **«وَلَا تَقْرِبُوا الرَّبِّيَ إِلَهَ كَانَ فَاحْشَةً وَسَاءَ سَيِّلاً»** الإسراء (٣٢).

(٥) في قوله تعالى: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَدَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَّا إِنْ كُثُرْتُمْ مُّؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأَذْلُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»**. البقرة (٢٧٩، ٢٧٨).

(٦) في قوله تعالى: **«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْمُعْدُنِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِعَظْمِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»**. النحل (٩٠).

(٧) روى أحمد في مسنده (٢٦٢/٥)، عن أبي أمامة قال: قلت: يا رسول الله، ما كان بدء أمرك؟ قال: "دُعْوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام". وروى

قومه مخترماً بينهم، والرسول كذلك ومقتدى به في فعله ممثلاً لأمره ونفيه، وهذا حكمته تعالى الظاهرة إجراء ما تستلزم النبوة والرسالة من الأحكام التي تقتضي أنها، وأوجدهما الله تعالى لأجلها. كما أن العصمة في تبليغ الرسالة واجبة^(١) أيضاً. فلا يجوز لرسول أن يكتم شيئاً مما أمره الله تعالى بتبلیغه. قالت السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها): لو كان رسول الله صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ كاتماً شيئاً^(٢) من الوحي لكتم هذه تعني: **﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْنَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** إلى قوله... **﴿مَفْعُولًا﴾**^(٣). وأما من يخنق العصمة بأمر التبليغ فقط،

الترمذى في سنته (٢٤٥/٥) عن أبي هريرة سئل النبي صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ متى وجبت لك النبوة؟ قال: "بين آدم ونفح الروح"، وقال الترمذى: حسن غريب.

(١) قال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس جاء رجل فقال له رجل: إن ناساً يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يدله رسول الله صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ للناس، فقال ابن عباس ألم تعلم أن الله تعالى قال: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** والله ما ورثنا رسول الله صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ سوداء في بيضاء. وقال البخاري قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستطغفهم بذلك في أعظم المخالف في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحو أربعين ألفاً، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ قال في خطبته يومئذ: أيها الناس، أنتم مسؤولون عن ما أتكم قاتلوك؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحتك، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم، ويقول: "اللهم هل بلغت". تفسير ابن كثير (٢/٧٩).

(٢) قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَقْعُلْ فَمَا بَلَغْتَ رَسَالَةَ﴾** روى البخاري في صحيحه (٤٦١٢) كتاب تفسير القرآن، ٧-باب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: من حدثك أن حمداً صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ كم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب والله يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** الآية.

(٣) سورة الأحزاب (٣٧). يقول تعالى مخبراً عن نبيه صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ أنه قال لمولاه زيد بن حارثة صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ هو الذي أنعم الله عليه - أي: بالإسلام - ومتابعة الرسول صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ، وأنعمت عليه "أي: بالعتق من الرق، وكان سيداً كبيراً الشأن جليل القدر حبيباً إلى النبي صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ يقال له الحب، ويقال لابنه أسامه الحب ابن الحب. وروى البخاري بسنده عن أنس قال: إن هذه الآية **﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾** نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ، وعن ابن أبي حاتم بسنده عن علي بن الحسين **﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾** فذكرت له فقال: لا، ولكن الله تعالى أعلم بنبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ يشكوها إليه قال: **﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَقِ اللَّهَ﴾** فقال: قد أخبرتك أني مزوجكها، وتحنقي في نفسك ما الله مبديه.

تفسير ابن كثير (٣/٥٠٧).

ويجوز أن يكون للأئمّة عليهم الصلاة والسلام عصاة قبل النبوة وبعدها، برأهم الله تعالى من ذلك^(١). فليس من العلم في شيء أصلًا؛ ولا يلتفت لقوله لجهله بمعنى النبوة والرسالة والعصمة، ولو علم حقيقتها لقال بالتألّم.

ولذا أرسل الله تعالى نبيه سيدنا محمداً ﷺ من خير بطون العرب، هم خير أولاد آدم وأعرقهم في النسب^(٢).

وأتفق أعداؤه (صلي الله تعالى عليه وآله وسلم) على أنه قبل النبوة لم يقترف رذيلة، ولا فعل ما يحرم مروءة، ولا عهد أحد عليه كذبة، ولا خيانة قط، فضلاً عما بعدها؛ ولذا كان يُدعى في الجاهلية بالصادق الأمين^(٣) ﷺ، وعلى صحبه أجمعين هذا مع أنه رُبِّي يتيمًا من الأب والأم في حجر عمه أبي طالب، وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ونشأ بين أقوام يعبدون الأصنام، يدعونه للاشتراك معهم بعبادتهم^(٤). فحمّاه الله تعالى وعصمه فكان يتركهم

(١) قال ابن إسحاق بسنده عن علي بن أبي طالب سمع رسول الله ﷺ يقول: "ما همت بقيع مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين، عصمني الله فيهما، قلت ليلة لفتى من قريش: أبصر لي غني حتى أسر هذه الليلة بمكة كما تسرم الفتى، قال: نعم، فخرجت حتى جئت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف وزمامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج، فلهوت بذلك حتى غلبتني عيني، فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، ثم فعلت ليلة أخرى مثل ذلك، فوالله ما همت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته". تاريخ الإسلام في السيرة العطرة (١/٤٢).

(٢) هو النبي ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مروة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم، وقيل بين عدنان وإسماعيل تسعه أو سبعة من الأباء، والذي عليه أئمّة هذا الشأن أنه: عدنان بن أدد بن مقمن بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل. تاريخ الإسلام للذهبي في بداية السيرة العطرة.

(٣) قال حماد بن سلمة، عن راود بن أبي هند، عن سماك بن حرب عن خالد ابن عرعرة عن علي عليهما السلام قال: لما تشارجوا في الحجر أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب، فكان أول من دخل النبي ﷺ فقالوا: قد جاء الأئمّة، وعن مجاهد في قصة أخرى فقال بطن من قريش: نحن نضعه، وقال: آخرؤن بل نحن نضعه، فقالوا: أجعلوا بينكم حكمًا، قالوا: أول رجل يطلع من الفخ، فجاء النبي ﷺ وقالوا: أئمّة الأئمّة، فقالوا: له فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم فأخذلوا بنواهيه معه، فوضعه هو. تاريخ الإسلام في بداية السيرة العطرة.

(٤) قال ابن سعيد بسنده عن ابن عباس قال: كان بوانه صنّاً تحضره قريش، تعظمه وتنسلك له النساك، ويحلقون رؤوسهم عنده ويعرفون عنده يوماً في السنة، وكان أبو طالب يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد، فلما حضر حتى رأيت أبا طالب غضب، ورأيت عماته غضبن يومئذ أشد الغضب... ثم

وشركهم وينذهب إلى غار حراء يتبعده فيه ربه عَزَّلَهُ إِلَى أن ينزل عليه جبريل الأمين بالنبوة على رأس الأربعين، وقال له: **«أَقْرَأْ»**، فقال: ما أنا بقارئ. وذلك معلوم لا يستدعي بياناً^(١).

وكان صدقة (صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعدم حياته وعدم غدره. وما ذكرنا معها من جملة العلامات التي استدل بها على نبوته. فقد روى أهل السير والحديث أنه عَلَّلَ لَهُ لما أرسل كتاباً مع سيدنا دحية^(٢) (رضي الله تعالى عنه) إلى قيسار ملك الروم في القدس، وأنحد قيسار الكتاب فوجد عنوانه عريباً، ودعا ترجمانه الذي يقرأ بالعربية. قال: انظروا لنا أحداً من قومه نسأله عنه. وكان أبو سفيان بن حرب^(٣) (رضي الله تعالى عنه) في غزة للتجارة مع

قال: فما زالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرجوياً، فقالت: ما دهاك؟ قال: إني أخشى أن يكون بي لعم، لاني كلما دنوت من صنم منها ت مثل لي رجل أبيض طويل يصبح: وراءك يا محمد لا تنسه، قالت: فما عاد إلى عيد لهم حتى تُبَيَّنَ.

تاریخ الإسلام بدایة السیرۃ العطرۃ. (٤٢/١).

(١) أخرج البخاري في صحيحه^(١) - كتاب بدء الوحي، باب ٣- عن عائشة أم المؤمنين قالت: أول ما بدء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم... الحديث، وفيه: وكان يخلو بغار حراء فيتحث فيه - وهو التعبد - الليلي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتوارد لذلك ثم يرجع إلى خليجة ويتوارد لمنتها، حتى جاء الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: **«أَقْرَأْ»**، قال: "ما أنا بقارئ"، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: أقرأ، قلت: "ما أنا بقارئ"، فأخذني فغطني الثالثة... الحديث بطوله.

(٢) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن امرئ القيس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الكلبي، الخزرجي، صحابي جليل مشهور، آخر جه له أبو داود، وتوفي في خلافة معاوية.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢٠٦/٣)، تقريب التهذيب (٢٣٥/١)، الكافش (٢٩٣/١)، تاريخ البخاري الكبير (٢٥٤/٣)، الجرح والتعديل (١٩٩٦/٣)، الاستيعاب (٤٦١/١)، تجرييد أسماء الصحابة (١٦٥/١)، أسد الغابة (١٥٩/٢)، الإصابة (٢٨٤/٢)، الواقي بالوفيات (١٤/١)، طبقات الحفاظ (٤٩٨)، طبقات ابن سعد (٤/١٨٤)، سير الأعلام (٥٥٠/٢)، الثقات (٣/١٧)، أسماء الصحابة الرواة (٣٦٩).

(٣) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سفيان، أبو حنظلة، الأموي الصحابي الشهير، القرشي، صحابي شهير، أسلم عام الفتح، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنمسائي، توفي سنة (٣٢، ٣١).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤١١/٤)، تقريب التهذيب (٣٦٥/١)، الكافش (٢٦/٢)، تاريخ البخاري الكبير (٤/٣١٠)، تاريخ البخاري الصغير (١)، الجرح والتعديل (٤/١١٢، ٧٠، ٦٩، ٤٤، ١)، الواقي بالوفيات (٤/١٨٦٩)، سير الأعلام (٢/٧١٤)، الاستيعاب (٣/١٠)، سير الأعلام (٢/١٠٥).

رجال من قريش زمن هدنة الحديبية^(١). وكان وقتئذ لم يسلم.

قال أبو سفيان فأثنا رسول قبصر فانطلق بنا حتى دخلنا عليه أبي: في بيت المقدس فإذا هو جالس وعليه الناج وعظاماء الروم حوله. فقال لترجمانه: سليم أقرب نسبياً لهذا الرجل الذي خرج بأرض العرب يزعم أنهنبي فقال أبو سفيان: أنا، فقال له: أدن مني. ثم أمر أصحابي فجعلوا خلف ظهري^(٢). ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنهنبي. وإنما جعلتكم خلف ظهره لتردوا عليه كذبًا إن قاله. قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياة يومئذ أن يردوا على كذبًا لكذبتك. ولكن استحييت فصدقت وأنا كاره^(٣). وفي الرواية: لولا المحافاة أن يؤثر عنك الكذب لكذبتك. ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو منا ذو نسب. قال: قل له: هل كان حلاًفاً كذبًا، مخادعًا في أمره؟ لعله يطلب ملكاً وشرفاً، لم يكن في أهل بيته. قال: قلت لا. قال: هل كان من آبائه ملك^(٤)؟. قلت: لا، قال: كيف عقله ورأيه؟ قلت: لم نعب عليه

النفقات (١٩٣/٣).

(١) قال النووي قوله عن أبي سفيان انطلق من المدة التي بيني وبين رسول الله ﷺ يعني الصلح يوم الحديبية، وكانت صلح الحديبية في أواخر سنة ست من الهجرة.
شرح مسلم للنووي (٨٨/١٢).

(٢) قال النووي: قوله عن هرقل: "إنه سأله أقرب نسبياً إلى النبي ﷺ ليس له عنه". قال العلماء: إنما سأله عن النسب؛ لأنه أعلم بحاله وأبعد من أن يكذب ذلك. فقال لأصحابه: إن كذبتي فكذبته أي: لاستحيوا منه فتسكتوا عن تكذبته إن كذب. قوله: "وأجلسوا أصحابي خلفي" قال: بعض العلماء إنما فعل ذلك ليكون أهون عليهم في تكذبته إن كذب؛ لأن مقابلته بالكذب في وجهه صعبة، بخلاف ما إذا لم يستقبله.
المرجع السابق (٨٨/١٢).

(٣) قوله: "لولا محافاة أن يؤثر على الكذب لكذبتك" معناه: لولا خفت أن رفقتي ينقولون عنك الكذب إلى قومي ويتحدثون في بلادي لكذبتك عليه بغضي إيه ومحبتي نقصه، وفي هذا بيان أن الكذب قبيح في الجاهلية كما هو قبيح في الإسلام، ووقع في رواية البخاري لولا الحياة من أن يأثروا على لكذبتك عنه وهو بضم الثناء وكسرها.
المرجع السابق (٨٨/١٢).

(٤) قوله: "فهل كان من آبائه ملك؟" هكذا هو في جميع نسخ صحيح مسلم، ووقع في صحيح البخاري "فهل كان في آبائه من مالك؟" وروى هذا القظ على وجهين: أحدهما: من بكسر الميم وملك بفتحها مع كسر اللام. والثاني: من بفتح الميم وملك بفتحها على أنه فعل ماض. وكلاهما صحيح، والأول أشهر وأصح، وتوبيخه رواية مسلم بحذف من.

عقلًا ولا رأيًا فقط. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم^(١). قال: هل يزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يغدر إذا عاشر. قلت: لا، ونحن الآن منه في ذمة لا ندرى ما هو فاعل فيها. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان حربكم وحربه؟ قلت: دول وسجال. قال: فما يأمركم به؟ قلت: يقولوا عبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، وينهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلة والزكاة. وفي لفظ: جمع بين الصلة والعفاف^(٢)، ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة^(٣). فاستدل فيصر بهذه الصفات الحميدة التي سأله عنها على رسالته ﷺ لأنها لازمة للنبيه والرسالة^(٤): ولذا كان يظهر في بادي النظر أن (قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم): **﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنِبِكَ﴾**. مثل قول عزيز مصر^(٥) لامرأته: **﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنِبِكَ﴾** وقد عدوا قول عزيز مصر المذكور من

المرجع السابق (٨٩/١٢).

(١) قال النووي: قوله: "وكذلك الرسل ثُبُث في أحساب قومها". يعني: في أفضل أنسابهم وأشرفها. قيل: الحكمة في ذلك أنه أبعد اتحاله الباطل وأقرب إلى اقتياد الناس له. وأما قوله: إن الضعفاء هم أتباع الرسل؛ فلكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم، والضعفاء لا يأنفون فيسرعون إلى الانقياد واتباع الحق، وأما سؤاله عن الردة فلأن من دخل على بصيرة في أمر محقق لا يرجع عنه بخلاف من دخل في أباطيل، وأما سؤاله عن العدد فلأن من طلب حظ الدنيا لا يالي بالغدر وغيره مما يتوصل به إلى ذلك، ومن طلب الآخرة لم يرتكب عدراً ولا غيره من القبائح.

المرجع السابق (٩٠/١٢).

(٢) قال النووي: قوله: "قلت يأمرنا بالصلة والزكاة والصلة والعفاف". أما الصلة: فصلة الأرحام وكل ما أمر الله به أن يوصل، وذلك بالبر والإكرام وحسن المراعاة، وأما العفاف الكف عن المحارم ومخوارم المروءة. قال صاحب الحكم: العفة الكف عما لا يحل ولا يحمل، يقال: عف يعف عفة وعفافاً وعفافه، وتعفف واستعفف ورجل عف وعفيف والأشى عفيفه وجمع العفيف أعفة وأعفاء. شرح مسلم للنووي (٩١/١٢) طبع دار الكتب العلمية.

(*) اخرجه بطلوه: البخاري (٤/٢)، ومسلم في صحيحه [٧٤-١٧٧٣] في الجهاد والسيرة، ٢٦ باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

(٣) قال النووي: قوله: "إن يكن ما يقول حقاً أنهنبي". قال العلماء: هذا الذي قاله هرقل أخذه من الكتب القلبية، ففي التوراة هذا أو نحوه من علامات رسول الله ﷺ فعرفه بالعلامات، وأما الدليل القاطع على النبوة فهو المعجزة الظاهرة للعادة، فهكذا قال المازري والله أعلم.

المرجع السابق (٩١/١٢).

(٤) في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مَصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرَمِي مُثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَقْعُدَنَا أَوْ تَسْخَدَهُ وَلَدَاهُ﴾** وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير، حدثنا العوفي عن ابن عباس وكان اسمه قطفي، وقال

المدخل بالمرودة، وناشئاً عن عدم الغيرة والشهامة والحمية، التي هي من مقتضيات الكمال في الإنسان حتى في غيره. فإنها ممدودة أيضاً مع أن بينهما فروقاً كثيرة، ولأجل بيانها عقدنا هذه الخاتمة راجين منه تعالى أن يمن علينا بحسن الخاتمة.

الفروق:

الفرق الأول: إن قول عزيز مصر لامرأته: **«وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ»** كان بعد ثبوت من نفسها، واتهمت به^(١). وأن قول النبي ﷺ ذلك كان قبله.

الفرق الثاني: أن عزيز مصر قال ذلك وهو معاشر لامرأته، مع ثبوت ما اتهمت به^(٢). وأن النبي ﷺ قاله وهو معتزل أهله من خلال تلك المدة، مع عدم ما يوجب شكًا أو وهمًا.

الفرق الثالث: أن عزيز مصر قال هذا القول وهو موقن بثبوت ما اتهمت به أمرأته^(٣).

محمد بن إسحاق اسمه أطفيه بن روحيب وهو العزيز، وكان على خزائن مصر، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالق، قال واسم امرأته راعيل بنت رعيل، وقال غيره: اسمها زليخا. تفسير ابن كثير (٤٨٥/٢).

(١) في قوله تعالى: **«فَلَمَّا رَأَى قَمِصَةً قُدْمَةً مِنْ ذِبْرٍ»** أي لما تحقق زوجها صدق يوسف وكلها فيما قبلته ورمته به.

«قَالَ إِلَهٌ مِنْ كَيْدِكُنْ»: أي إن هذا البهت واللطخ الذي لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدهن.

«إِنْ كَيْدِكُنْ عَظِيمٌ»: ثم قال أمراً ليوسف عليه السلام بكتمان ما وقع **«يُوسُفُ أَغْرِضُ عَنْ هَذَا»** أي: أضرب عن هذا صفحًا أي فلا تذكره لأحد. تفسير ابن كثير (٤٨٨/٢).

(٢) قال ابن جرير بنبله عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه؟ **«فَلَنَ حَاسَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ** الآية، قال يوسف: **«ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْتَهُ بِالْغَيْبِ»** فقال له جبريل (عليه السلام): ولا يوم همت بها، مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهزيل والضحاك والحسن وقتادة والسري. والقول الأول أقوى (أي: أنه من كلام امرأة العزيز). لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف (عليه السلام) عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك. تفسير ابن كثير (٤٩٤/٢).

(٣) في قوله تعالى: **«قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمَنِ الصَّادِقِينَ»**. قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يقول الآن بين الحق وظاهر ويرزق **«وَإِنَّهُ لِمَنِ الصَّادِقِينَ»** أي: في قوله **«هِيَ رَاوَدَتِي عَنْ نَفْسِي»**، ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع الحنور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أي بريئة. تفسير ابن كثير (٤٩٤/٢).

وأن رسول الله ﷺ قال وهو موقن ببراءتها إذ لم تكن تخفي عليه براءتها، ولكنه حيث كان مأموراً بالحكم والظاهر، ولم ينزل عليه في أمرها شيء حرى على مقتضى الظاهر.

فقال: فإن كنت ببرأة فسييرئك الله، وإن كنت ألمت ذنبي فاستغفري الله وتوبي إليه.

الفرق الرابع: إن عزيز مصر قال ما قال وشريعته مقررة لجائزه من يجرم مثل ما احترمه أمرأته بعد ثبوته. وأما النبي ﷺ، فإنما قال ذلك حين لم توجب شريعته على أهله شيئاً.

الفرق الخامس: إن عزيز مصر قال ذلك والشبهة ثابتة، والتهمة متيقنة، والحق باد، وأن النبي ﷺ قال ما قال لأهله، والدليل كان على جانب البراءة راجحاً، وهو أن صفوان لم يكن يدخل على أهله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) إلا معه^(١).

بخلاف عزيز مصر، فإن ما اتهمت به أمرأته كان حاله معها على خلاف ذلك.

وإن كان الله تعالى برأ سيدنا يوسف (عليه السلام)^(٢) وعلى آبائه الكرام.

والفرق السادس: إن أصل التهمة التي وقعت بين سيدنا يوسف (عليه السلام) وزليخا، وهي المراودة ثابتة. لم يكن فيها نزاع، وإنما النزاع كان في المراود فقال سيدنا يوسف: **﴿هِيَ رَأْوَدَتِي عَنْ نَفْسِي﴾** وقالت هي: هو أراد سوءاً^(٣).

(١) لما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، وقد تقدم تخریجه ففي البخاري (٤٧٥٠) - كتاب تفسير القرآن - باب **﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾** إلى قوله: **﴿الْكَاذِبُونَ﴾** عن عائشة وفيه: "قام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول قال: فقال: رسول الله ﷺ وهو على المنبر: "يا معاشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟" فرآه ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجالاً ما علمت عليه إلا خيراً، ما كان يدخل على أهلي إلا معي" ... الحديث بطوله.

(٢) قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهَمَ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِتُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِلَهٌ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾**. قال ابن كثير: قيل هم بضربيها، وقيل تناهياً زوجة، وقيل هم بها لولا أن رأى برهان ربه، أي فلم يهم بها، وفي هذا القول نظر من حيث العربية حكاية ابن جرير وغيره، وأما البرهان الذي رأه ففيه أقوال أية، فعن ابن عباس وسعيد ومجاهد وسعيد بن سيرين والحسن وقتادة وأبي صالح والضحاك ومحمد بن إسحاق وغيرهم رأى صورة أبيه يعقوب عاصماً على إصبعه بضميه، وقيل عنه في رواية فضرب في صدر يوسف وقال العوفي عن ابن عباس رأى خيال الملك يعني سيده، وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاها عن بعضهم إنما هو خيال قطفيه سيده حين دنى من الباب. تفسير ابن كثير (٤٨٦/٢).

(٣) لما قالت امرأة العزيز **﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءً﴾** أي فاحشة **﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾** أي يحبس **﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** أي يُضرب ضرباً شديداً موجعاً، فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رأته به من الخيانة، وقال **﴿هِيَ رَأْوَدَتِي عَنْ نَفْسِي﴾**، وذكر أنها تبعته تجذبه إليها حتى قدت قميصه

وإن أهل النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) لما قال ذلك كانت أصل التهمة لها موهوماً فيها، وإلى جانب النفي أقرب.

الفرق السابع: أن لفظ القولين وحالهما يدلان على الفرق بينهما لأن قول عزيز مصر مصدر بطلب الإعراض من سيدنا يوسف (عليه السلام)^(١).

ومختوم بالاعتراف بالخطأ، والخطأ مؤكد بأن فيه، وأن للتحقيق - فكان قوله له: **«استغفري للذنبك»** بعد تحقق خطأها وتأكده^(٢).

بخلاف قول النبي ﷺ: فإن كنت بريئة فسييرئك الله، وإن كنت ألمت ذنبًا فاستغفري الله وتوبي إليه^(٣).

فإنه مصدر بما يدل على الشك وهو "إن" وقدم فيه ما يدل على البراءة وهو "إإن" كنت بريئة^(٤) ولم يقدم ذلك إلا للإشارة إلى كونه هو الثابت، وأن الله سبحانه وتعالى

«وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلَهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْمًا مِّنْ قُبْلِهِ **أَيْ مِنْ قَدَمِهِ** **«فَصَدَقَتْ**^(٥) **أَيْ فِي قُرْلَهَا أَنَّهُ** راودها عن نفسها لأنها يكون لما دعاها وأبى عليه دفعته في صدره فقدت قميصه فيصبح ما قالت **«وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْمًا مِّنْ ذُبْرِ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ** **وذلك يكون كما وقع لها هرب منها وتطبّلته** أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها فقدت قميصه من ورائه. تفسير ابن كثير(٤٨٧/٢).

(١) في قوله تعالى: **«يُوْسُفُ أَغْرِضُ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ** قال ابن كثير: ثم قال آمراً ليوسف (عليه السلام) بكتمان ما وقع لامرأته وقد كان لين العريكة سهلاً أو أنه عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه فقال لها: استغفري للذنبك، أي الذي وقع منك من إرادة السوء لهذا الشاب ثم قلده بما هو بريء منه، **«إِنَّكِ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ**.

(٢) الخطأ مؤكد وهي اعترفت بذلك بما جاء في قوله تعالى: **«وَلَقَدْ رَاوَدَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمْ وَلَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرَهُ لِيَسْجُنَّ وَلِيَكُوَّنَا مِنَ الصَّاغِرِينَ**. وفي قوله تعالى: **«إِنَّ حَصْنَصَ الْحَقِّ أَنَّ رَاوَدَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمَنَ الصَّادِقِينَ**.

وقال ابن كثير في تفسيره(٤٨٨/٢): يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز وهي مصر حتى تحدث به الناس " وقال نسوة في المدينة " مثل نساء الأمراء والكراء ينكرن على امرأة العزيز وهو الوزير، ويعين ذلك عليها.

«أَمْرَاتُ الْعَرِيزِ تُرَاوِدُ شَاهِنَاهَا عَنْ نَفْسِهِ **أَيْ تَحَاوِلُ غَلَامَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَتَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهَا** **«قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا** **أَيْ قَدْ وَصَلَ حُبَّهُ إِلَى شَغَافِ قَبْلَهَا وَهُوَ غَلَافُهُ**.

(٣) في الرد على ذلك قالت عائشة: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلس دمعي حتى ما أحسن منه قطرة، فقلت لأبي أجب عن رسول الله فقال: والله لا أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي أحبي رسول الله ﷺ فقلت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: والله لقد علمت لقد سمعت بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، فلعن قلت لكم

سييرتها وقد برأها الله^(١)، وهذه الفروق في غاية من الظهور ولا غبار عليها ولا خفاء فيها، ولم أر من تعرض لها.

فالحمد لله تعالى على أن وفقني إليها فينبغي أن يعتمد عليها، ويرجع إليها.

ومن يرد زيادة بيان على ذلك فعليه بكتب الحديث والتفسير العربية فإنها مشحونة ببيان أخبار وسير النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)، وأزواجه الطاهرات وسائر أهل بيته وصحابته، ومن بعدهم من اقتفي أثراً لهم، والاطلاع على ذلك يقتضي قوة معرفة باللغة العربية.

إذا تمكن الإنسان من معرفتها ووقف على أسرارها وبلاغتها، علم محسنات هذا الدين الحمدي، وما اشتمل عليه من العدل والفضل الذين لم تحوهما شريعة قبله قط. فنسترحم من فضل مولانا السلطان المهمي بإحياء هذا الدين الحمدي، وتأييده أن يعمم تعلم اللغة العربية في المكاتب العالية والصبيانية، كما أمر بتعلم الحديث والتفسير والتوحيد فيها.

فجرأة الله تعالى عن هذا الدين خير جراء، وحفظه وآله، وعزه، وشكته، واقتداره، وسلطانه ما بقيت الأرض والسماء بجاه جميع الرسل والأنبياء، وخصوصاً خاتمهم سيدنا محمد (صلى الله تعالى عليه) وعلى آله أجمعين، فإن قلت حيث لم يثبت على السيدة عائشة الصديقة المبرأة البريئة وقوع ما اتهمت به فلم قال لها فاستغفري الله وتوبي إليه ^(٢)؟

إني بريئة والله يعلم أي بريئة لا تصدقوني، وإن اعترفت بأمر الله يعلم أي منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف فَصَبَرَ حَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَى عَلَىٰ مَا نَصَفُونَ ^(٣) .

تفسير ابن كثير (٢٧٨/٢).

(١) قال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكَرِ عَصَبَةً مِنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْفُعَالِ وَالَّذِي تَوَلَّ كُبْرَةٍ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَوْلَا إِذْ سَمِعَتُمُوهُ ظِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ بِأَنَفْسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْلَكٌ مُبِينٌ لَوْلَا فَلَعْنَاهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءِ فَإِذَا لَمْ يَأْتُو بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَلَوْلَا فَلَعْنَاهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ فِي مَا أَفْضَلْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلَقَّوْهُ بِالسِّتْكِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُوهُ هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ»** سورة النور (١٥-١١).

(٢) روى مسلم في صحيحه [٤٣-٢٧٠٣] كتاب الذكر والدعاء والتوبية والاستغفار، ١٢-باب استحباب الاستغفار والاستكفار من الذنب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه".

قال النووي: قال العلماء: هذا حد لقبول التوبة وقد جاء في الحديث الصحيح أن للتوبة باباً مفتوحاً فلا تزال مقبولة حتى يغلى، فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق وامتنعت التوبة على من لم يكن قبل ذلك. شرح مسلم للنووي (٢٠/١٧).

فأمرها بالتوبه والاستغفار.

قلت: أما أمرها بالتوبه، فإنها قضية شرطية وقد علمت أن الشرطية لا تستلزم لوقوع أمره إلا إيه بالتبه إمامها بالذنب لا يقتضي وقوعها منها ^(١).

وهذا أمر منه إلا إيه بمقتضى الظاهر. فإنه كما قدمنا مأمور بالحكم الظاهر، والظاهر هنا أحد شيعين، إما البراءة، وقد قال لها فسييرئك الله.

ولما إللام بالذنب، وحيث لم يثبت عليها فيقيم عليها الحد ^(٢)، ولم يبرئها الله تعالى، أمرها بما يجب على كل مسلم يذنب أن يفعله، وهو التوبه فأمرها أن توب.

فإن التوبه من الذنب واجبة عقبه على الفور، ولا يجوز تأخيرها.

فإنها تجب على الفور، وهذا من جملة الأحكام المأمور بتبلighها ^(٣).

وقد روى مسلم وغيره أن رسول الله ص قال: "يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة" ^(٤).

(١) باب التوبه لا يغلق إلا بظهور الشمس من مغربها فيما رواه مسلم وقد تقدم قبل هذا، فقد روى الترمذى في سنته (٣٤٢) كتاب الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ص قال: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قط من الجنة أحد".

(٢) حد المخصنة هو الرجم فيما رواه مسلم في صحيحه [٤٢-٦٧٦] كتاب القسامه والمحاربين والقصاص والديات، ٦-باب ما يباح به دم المسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ص: "لا يحل دم امرى مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلات: الشيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة".

(٣) وفيما تقدم من حديث مسلم قبل هذا قال التبوي: في هذا الحديث إثبات قتل الزانى المحسن، والمراد رجمه بالحجارة حتى يموت وهذا بإجماع المسلمين، وقال التبوي في موضوع آخر: وأجمع العلماء على وجوب جلد الزانى البكر مائة ورجم المحسن وهو الشيب ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكى القاضي عياض وغيره عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه فإنهم لم يقولوا بالرجم، واختلفوا في جلد الشيب مع الرجم.

شرح مسلم للتبوي (١١/١٣٦، ١٣٦/١٥٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢-٢٧٠] كتاب الذكر والدعاء، والتوبه والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، عن ابن عمر.

وقال التبوي: هذا الأمر بالتوبه موافق لقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صَوْحًا ﴾ قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: للتوبه ثلاثة شروط أن يقلع عن المعصية وأن يندم على فعلها وأن يعزز جازماً أن لا يعود إلى مثلها أبداً، فإن كانت المعصية تتعلق بأدمي فلها شرط رابع وهو رد الظلامة إلى أصحابها أو تحصيل البراءة منه.

مع أنه معصوم من جميع الذنوب الصغائر والكبائر^(١).
وأما أمره إياها بالاستغفار. فجوابه كالأول، ومع ما في هذا الإيراد فإن الاستغفار يستحب في كل حال.

وإن لم يكن ذنب، فقد صح أن النبي ﷺ كان يستغفر في كل يوم وليلة سبعون مرة. كما في صحيح البخاري^(٢).

وروى الإمام مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه أنه ﷺ كان يستغفر الله في اليوم مائة مرة^(٣).

وعن ابن عمر قال: إن كنا نلعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: **«رب اغفر لي وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم»**^(٤).

مع أنه معصوم من الذنوب الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها.

وفوائد الاستغفار وصيغه كثيرة جمة. وأفضل ما سماه النبي ﷺ سيد الاستغفار^(٥).

والتوبه أهم قواعد الإسلام وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة.

شرح مسلم للنووي (٢٠/١٧) طبعة دار الكتب.

(١) روى مسلم في صحيحه [٤١-٤٢] كتاب الذكر والدعاء والتوبه والاستغفار، ١٢-باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، عن الأغر المزني أن رسول الله ﷺ قال: "إنه ليعان على قلبي، وإنني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة".

قال القاضي: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه على الدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عن ذلك ذنبًا واستغفر منه، قال: وقيل هو همه بسبب أمته وما أطاع عليه من أحواهها فيستغفر لهم، وقيل سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو ومداراته وتأليف المؤلفة ونحو ذلك.

شرح مسلم للنووي (٢٠/١٧).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه [٦٣٠٧]، ٨-كتاب الدعوات، ٣-باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، "حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: قال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: "والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة".

وآخر حديث النسائي في الكبرى [١٠٢٦٩]، وابن ماجة (٣٨١٥)، والترمذى (٣٢٥٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤١-٤٢] كتاب الذكر والدعاء والتوبه والاستغفار، ١٢-باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، عن الأغر المزني. وأبو داود (١٥١٥) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار عن الأغر المزني والنسائي في الكبرى (١٠٢٧٦).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥١٦) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، عن ابن عمر، والترمذى (٣٤٣٠)، والنسائي (٤٥٨) في عمل اليوم والليلة، وابن ماجة (٣٨١٤)، وابن حبان (٩٢٧) الإحسان.

(٥) كذا رواه البخاري في صحيحه [٦٣٠٦]، ٨-كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار عن شداد بن

وروى أبو عيسى الترمذى^(١) في سنته في فوائد الاستغفار، عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتي غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي.

يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم إنك إن أتيتني بقراط الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأكثرك بقراطها مغفرة^(٢) وروى أيضاً عن أبي بكر^(٣) (رضي الله تعالى عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ما أصرَّ من استغفر، ولو فعله في اليوم سبعين مرة^(٤).

وكذا رواه أبو داود في سنته.

وروى أبو الدرداء عن زيد^(٥) مولى النبي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من قال استغفر

أوس بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: "سيد الاستغفار أن تقول: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتي... الحديث" وسيأتي لفظه.

(١) أبو عيسى الترمذى هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، وقيل ابن السكن، أبو عيسى السلمى، الترمذى، الصcriر البوعى، ثقة حافظ صاحب الجامع أحد الأئمة لم يخرج له أحد منهم، توفي سنة (٢٧٩، ٢٧٥).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٣٨٧/٩)، ميزان الاعتدال (٦٧٨/٣)، لسان الميزان (٣٧١/٧)، الأنساب (٣٦١/٢-٤٢/٣)، الثقات (١٥٣/٩)، المعين (١١٧٨)، الوافي بالوفيات (٤/٢٩٤)، طبقات الحفاظ

(٢٧٨)، سير الأعلام (١٣/٢٧٠)، العبر (١/٤٤٢)، الإكمال (٤/٣٩٦)، ديوان الإسلام (٥٨٧).

(٢) أخرجه: الترمذى (٤٠/٣٥٤)، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، عن أنس بن مالك. والدارمى في سنته (٢٧٩١)، وقال السخاوى في تخريج الأربعين النووية: هذا حديث حسن.

وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال ابن الإمام في سلاح المؤمن رواه أبو عوانة في مسنده الصحيح من حديث أبي ذر.

انظر مختصر سلاح المؤمن (ص ٢٤) - من تحقيقنا - طبعة من دار الكتب العلمية.

(٣) أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) تقدمت ترجمته من قبل.

(٤) أخرجه: أبو داود في سنته (١٥١٤)، كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار. وفي رقم (١٥١٨)، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب".

(٥) زيد، أبو يسار، مولى النبي ﷺ، صحابي أخرج له أبو داود والترمذى ويسمى زيد بن بولا.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤٣٠/٣)، تقريب التهذيب (٢٧٨/١)، الكاشف (٣٤٢/١)، تاريخ البخارى الكبير (٣٧٩/٣)، الجرح والتعديل (٥٧٦/٣)، أسد الغابة (٨٧/٢)، الاستيعاب (٥٥٩/٢)، الثقات (١٤٠/٣).

الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، غفر له، وإن كان فر من الزحف ^(١).

وقد روى السيوطي في الجامع الصغير عن البخاري ^(٢) والنسائي ^(٣)، والإمام أحمد في مسنده ^(٤) في فوائد الاستغفار ما نصه ^(٥): أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) قال: من قالها يعني كلمات سيد الاستغفار، من النهار موقتاً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة ^(٦).

أما لفظ سيد الاستغفار الوارد عن النبي المختار (عليه أفضل صلاة، وأتم سلام، وعلى آله الأطهار) على ما رواه هؤلاء الأئمة الأخيار فهو ^(٧):

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدي ووعدي ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بعمتك علىي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ^(٨).

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٧)، كتاب الصلاة باب في الاستغفار، عن زيد مولى النبي

ﷺ

.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦)، كتاب الدعوات، ٢-باب أفضل الاستغفار، عن شداد بن أوس

رض

، ورقم (٦٣٢٣) كتاب الدعوات، ٦-باب ما يقول إذا أصبح، عن شداد بن أوس

رض

.

(٣) والنسائي (٨/٢٧٩-المختي)، كتاب الاستعاذه، باب الاستعاذه من شر ما صنع، عن شداد بن أوس

رض

.

(٤) أحمد في مسنده (٤/١٢٤-١٢٥).

(٥) تقدم بلفظه من قبل.

(٦) انظر البخاري (٦٣٠٦) كتاب الدعوات، ٢-باب أفضل الاستغفار، قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا. يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مُّدْرَأً. وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَهْلًا رَّاً﴾ نوح (١٠-١٢).

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحشَةً أُولَئِكُمْ أَنفَسُهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يَصُرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران (١٣٥).

وكرره في رقم (٦٣٢٣) في باب ما يقال إذا أصبح.

(٧) أخرجه البخاري والنسائي وأحمد، وسيأتي، وأخرجه الترمذى (٣٣٩٣)، ٤٩-كتاب الدعوات باب ١٥-منه عن شداد بن أوس

رض

 أن النبي

ﷺ

 قال له: إلا أذلك على سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدي ووعدي ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء إليك بعمتك علىي، وأعترف بذنبي، فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، لا يقولها أحدكم حين يمسي فيأتي عليه قدر قبل أن يصبح إلا وجبت له الجنة، ولا يقولها حين يصبح فيأتي عليه قدر قبل أن يمسي إلا وجبت له الجنة،" و قال الترمذى: حديث حسن غريب.

(٨) أخرجه: أحمد في مسنده (٤/١٢٥-١٢٤) والبخاري في كتاب الدعوات، باب فضل الاستغفار، رقم الحديث (٦٣٠٦)، وفي باب ١٦-باب ما يقوله إذا أصبح، رقم الحديث (٦٣٢٣).

ورووا النسائي (٨/٢٧٩-المختي)، كتاب الاستعاذه، باب الاستعاذه من شر ما صنع.

ولفظ البخاري في موضع آخر ليس فيه "لك" في "أبوء لك بذنبي" ، وهو المشهور بين الناس^(١) .

أقول حيث صادف إنتهاء هذا الكتاب سيد الاستغفار.

أرجو منه تبارك وتعالى أن يكون ذلك فالأفضل لغفر ذنبي والأوزار^(٢) .

وإذا أعان الله تعالى وشاء ، وساعدت الأقدار سوف أحرر رسالة أخرى بعد انتهاء كتابي "التدقيق في الرد على التحقيق في مسألة الرقيق" الذي لم يتم بعد ، وأبين فيه براءة الصديق الأكبر (رضي الله تعالى عنه) ، مما نسب إليه أعداؤه الشيعة كونه اعتقد بالنبي (صلى الله تعالى عليه وآلها وسلم) أنه ساحر في تفسير قوله تعالى: **﴿ثُانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾**^(٣) .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

صلى الله تعالى على سيدنا وأسعدنا وسندها (محمد وإخوانه)^(٤)

وآلها وصحبه وسلم إلى يوم الحساب

والترمذى (٣٣٩٣) في الدعوات، باب منه وتقدم بلفظه.

وذكره ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (١٨٩٦-١٩٠) رقم (٤٢٣٩) عن شداد بن أوس رض .

(١) نظر البخاري (٦٣٠٦) -كتاب الدعوات، ٢-باب أفضل الاستغفار، عن شداد بن أوس رض عن النبي صل قال: سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدي ووعدي ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

(٢) حديث سيد الاستغفار رُوي عن بريدة بن الحصيب أخرجه: أحمد في مسنده (٣٥٦/٥).

وأبو داود (٥٠٧٠) كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى.

وذكره ابن كثير في مسنده بريدة بن الحصيب من كتاب جامع المسانيد والسنن.

(٣) سورة التوبة (٤٠).

(*) كذا بالأصل.

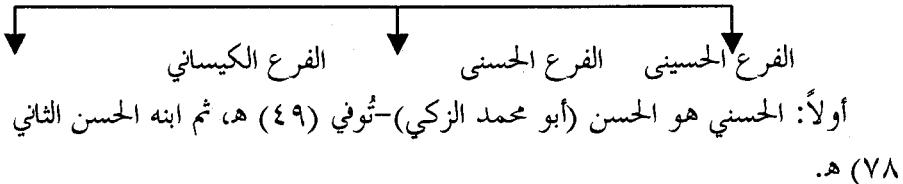
خاتمة المحقق

وبعد فقد اتهينا والحمد لله رب العالمين من تحقيق كتاب "الخصوص المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة".

والذي قام مصنفه بتفنيد آراء الشيعة مما نسبوه إلى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق من أنها هي صاحبة حادث الإفك، أي هي التي أفكت على السيدة مارية القبطية واتهامها في خادمتها في ولد النبي ﷺ سيدنا إبراهيم عليهما السلام.

وللشيعة آراء غريبة ومخالفة ليس في السيدة عائشة بل في رموز الإسلام من الصحابة الكرام، وعلى رأسهم عملاقي الإسلام الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه، والفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وطائف الشيعة كثيرة وسوف نجملها في هذا الملخص: أئمة الشيعة من آل البيت
علي بن أبي طالب (أبو الحسن المرتضى) ٢٣ ق. ٥٤٠ هـ



ووالده إبراهيم (توفي ١٤٥) - و محمد ذو النفس الزكية المتوفى (١٤٥) هـ.

ثانياً: الفرع الكيساني: قالوا الإمامة في محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب من خولة الحنفية (توفي ٥٨١).

ثم في ولديه: أبو هشام (عبد الله)، وعلي، ومن علي بن محمد بن الحنفية إلى ابنه الحسن بن علي، ثم ولده علي بن الحسن، ثم ولده الحسن بن علي.

ثالثاً:- الفرع الحسيني وهو علي بن الحسين الملقب بزین العابدین (توفي ٩٤).

ثم ولده: - محمد الباقر (توفي ١١٧)، وزيد بن على هو رأس الشيعة الزيدية المتوفى (١٢١)، ومن زيد ولداته يحيى وعيسى.

ومن محمد الباقر: جاء ولده جعفر الصادق (المتوفى ١٤٨).

ثم من جعفر الصادق:

١-إسماعيل (توفي ١٣٢) وولده محمد المكتوم (توفي ١٩٨).

٢- عبد الله الأفطح، ٣- إسحاق، ٤- محمد الديباج،

٥- موسى الكاظم (توفي ١٨٣) ←
 ومن الكاظم: على الرضا (٢٠٣) ← محمد الجواد (٢٢٠) ← علي الهادي (٢٥٤) ←
 الحسن العسكري (٢٦٠) ← محمد المهدي (٢٥٦).

وخلال هذه القول فقد حصر الشيعة الأئمة في آل البيت وفي الإمام على (عليه السلام) ثم
 أولاده ورثروا على فرع الإمام الحسين (عليه السلام).

ومنهم شعبت فرق الشيعة المختلفة والتي نجمل طوائفها في الجدول المبين الآتي.

فرق الشيعة

الغالية	الإمامية	الزيدية
البياتية	القطعية	الحارودية
الجناحية	الكيسانية	السلمانية
الخربية	الكرية	الصالحية
المغيرة	الراوندية	البرية
المنصورية	الابو مسلمية	التعيمية
الخطابية	الرازمية	اليعقوبية
المعمرية	الحربية	
البزيغية	البيلقية	
العميرية	المغيرة	
المفضلية	الحسينية	
الحلولية	الكاملية	
الشرعية	الحمدية	
النميرية	الباقرية	
السيئية	الناوسية	

(١) اختاروا تسعة من ولد الحسين وهم:

- ١- على زين العابدين ، ٢- محمد الباقر ، ٣- جعفر الصادق ، ٤- موسى الكاظم ، ٥- علي الرضا ، ٦- محمد الجواد التقي ، ٧- علي السهادي التقي ، ٨- الحسن العسكري ، ٩- محمد المهدي ويسمى الإمام المستظر.

القراططية	المفوضية
المباركية	الذهبية
الشميطية	الغرايبة
العمارية	الحلمانية
الزرارية	المقنعة
الواقفية	الحلاجية
الإسماعلية	العذافية
	الموسوية
	الهاشمية
	اليونسية
	الشيطانية

انظر موسوعة الفرق والجماعات (ص ٢٦٨).

تلك هي فرق الشيعة المختلفة، ولكل طائفة منهم منهج وآراء.
وقد قمنا بتحقيق ما ورد من كتب التفاسير لأهل السنة والجماعه وكذلك كتب
الصالح المجمع عليها عند أهل السنة وكتب الرجال وغيرها.
فلله الحمد في الأولى والآخرة، ونسأله أن يهدينا سواء السبيل إنه نعم المولى ونعم
النصير.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

الحق: السيد يوسف أحمد

الفهرس

٣	مقدمة المحقق
١٦	المقدمة في بيان معنى الإفك لغة واصطلاحاً
١٩	الباب الأول: في سبب تسميته بالإفك
٢٠	الباب الثاني: في أن الإفك وقع على السيدة عائشة البرية (عليها السلام)
٢٢	الباب الثالث: في سبب وقوع الإفك
٢٥	الباب الرابع: في بيان من جاء بالإفك، وهو كبيرهم
٣٠	الباب الخامس: في ذكر الآيات التي نزلت بالإفك
٣٢	الباب السادس: فيما فسر به هذه الآيات أهل السنة
٧٤	الباب العاشر: فيما رواه أهل الحديث من قصة الإفك
٨٥	الباب الحادي عشر: في بيان من جلده النبي ﷺ لأجل الإفك
٨٧	الباب الثاني عشر: في ترجمة السيدة مارية القبطية أم سيدنا إبراهيم ابن (رسول الله صلى الله تعالى عليه وآلها وسلم) ورضي عنها
٩٣	الباب الثالث عشر: في العذاب الذي أصاب من جاعوا بالإفك وتوبيهم
٩٩	الباب الرابع عشر: في أنه لم يقل بالإفك ويصدق به وقتذاك إلا عصبة
١٠١	الباب الخامس عشر: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُنذِهَ عَنْكُمُ الرُّجَسَ أَهْلَ النَّيْتِ وَيُظَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾
١٢٤	الباب السادس عشر: في نقد ما خالف فيه الشيعة أهل السنة وتحقيقه
١٥٢	الباب السابع عشر: في بيان أن السيدة عائشة الصديقة مبرأة
١٥٩	الباب الثامن عشر: في بعض ما ورد في فضل السيدة عائشة الصديقة المبرأة زوجته وحبيبة حبيب رب العالمين (رضي الله تعالى عنها)
١٨٣	الباب التاسع عشر: فيما كانت تفتخر به السيدة عائشة الصديقة

الباب العشرون : في ترجمة السيدة عائشة الصديقة المبرأة (رضي الله تعالى عنها) ١٨٤
الباب الحادي والعشرون: في أنه لا يجوز التعرض لأحد الصحابة الكرام بسوء من سب أو شتم أو إلذاء ١٩٤
الباب الثاني والعشرون: في أنه لا يجوز لعن أحد بعينه... الخ ١٩٨
٢٠٤ الخاتمة
٢١٩ خاتمة الحق